الوجه والقناع

أسرار السينما المصرية

محمود قاسم

الكتاب: الوجه والقناع.. أشرار السينما المصرية

الكاتب: محمود قاسم

الطبعة: **2017**

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575

فاكس : 35878373

http://www.apatop.comE-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

قاسم، محمود

أشرار السينما المصرية / محمود قاسم

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

.. ص، .. سم.

الترقيم الدولي: **2 – 342 –446 –977 – 978**

أ – العنوان رقم الإيداع :**8964 / 2016**

مقدمة

في عالم التمثيل فإن تجسيد الشر يفجِّر لدى الفنان طاقات بالغة القوة، باعتبار أن الشر له سطوة النيران التي لا توقفها قوى مهما بلغت، وبالتالي فإن تمثيل أدوار الشر يحتاج إلى موهوبين من طراز خاص، وفي السينما بشكل عام فإن الممثلين الذين احترفوا هذا النوع من الأدوار هم الأكثر موهبة والأكثر اقترابا من المشاهدين خاصة النجوم اللامعين، وأغلبهم أيضا برعوا في الأداء بشكل عام، وعلى رأسهم زكي رستم، ومحمود المليجي،

ومحمود مرسي، وليلى فوزي، وتوفيق الدقن، وعادل أدهم، وفي السينما الأمريكية هناك تشارلز لوتون، وروبرت ميتشوم، وكارل مالدن، وإيلي والاش، وجاك بالانس وغيرهم، وفي فرنسا جان جابان، والآن ديلون، وشارل فانيل، وفي إيطاليا راف فالوني، وكم من أسماء برزت في هذا المجال.

ولعله من السهل جدا أن يحاول الممثل أداء دوره عن طريق تحريك عضلات الوجه، أو تنغيم الصوت والنبرات، لكن هذا الأمر يرجع إلى المخرج وقدراته على إدارة الممثل، وسوف نرى – على سبيل المثال – أن زكي رستم كان في أحسن حالاته كممثل لأدوار الشر وهو يعمل مع صلاح أبو سيف، وحسن الإمام، ويوسف شاهين.. كما أن

محمود المليجي كان أداة طيِّعة مع مخرجين مهمين أسندوا له هذه الأدوار ومنهم أيضا أبو سيف، وشاهين، وفي الوقت الذي كان ممثلا نمطيا وهو يعمل مع نيازي مصطفى وكمال عطية .

ومن هنا جاءت أهمية عمل دراسة هي الأولى من نوعها عن الأشرار في السينما المصرية، والهدف هو التعرف على منابع العبقرية التي تتملك الممثل وهو يقوم بأدوار الشر، والمشكلة أننا في بلادنا نفكر بالطريقة النمطية التقليدية، فما أن ينجح ممثل في دور ما حتى يتم إلصاق هذا النوع من الأدوار به، ولعل كم الأفلام التي أخرجها نيازي مصطفى للثنائي: (محمود المليجي – فريد شوقي) كانت نموذجا بالغ الوضوح، وقد دفع هذا النجاح الكثير من المخرجين الآخرين إلى الاستفادة من هذا الثنائي الناجح، مثلما فعل عاطف سالم في العديد من الأفلام منها "النمرود" على سبيل المثال.

إذن فالكتابة هنا عن عبقرية التمثيل، فالممثل الذي جسَّد هذا النوع من الأدوار كان يحب العودة دوما إليها، من أجل استمرار النجاح، وإذا كان كل من (المليجي، وزكي رستم، وعادل أدهم) على نفس القامات وهم يؤدون أدوار الشر – إلى جوار أدوار الخير – فإن ممثلا أقل أهمية ظل طيلة حياته أسيرا لهذا النوع من الأدوار لم ينجح قط في الخروج منها وهو محمود إسماعيل الذي كان متعدد الموهبة، وكما أن التجربة أثبتت أن لكل شرير وجوه متعددة، فالوجوه التي جسَّدها توفيق

الدقن لم يستطع غيره أن يجسِّدها، وهو يمزج قناع الشر بالكوميديا الساخرة وبعبارات شعبية عاشت في ذاكرة الناس لعقود طويلة..

وقد أثبتت التجربة أن الجميلات يصلحن أن يكنَّ شريرات من الطراز الأول، ويتمثل ذلك في تجربة ليلى فوزي، والغريب أن أحسن ما جسدته جميلة الجميلات كانت هي أدوار الشر في أفلام من أشهرها:"من أجل امرأة"، و"الناصر صلاح الدين".. وقد رأينا كم كانت ليلى فوزي شريرة تجيد التآمر في أفلام كثيرة ومنها:"أمواج بلا شاطئ" و"ضربة شمس"

الأشخاص الوحيدون الذين نجوا من تكرار أدوار الشر هم الأطفال، وكم رأينا أفلاما قام فيها الأباء بدفع الأبناء إلى المساعدة في التهريب، وعلى مدى الزمن، فإن الأبناء ورثوا نشاط الآباء الإجرامي، مثلما حدث في فيلم: "الحب الخالد".

بالطبع نحن لم نرصد هنا كل الحالات؛ فالنجوم الكبار كانوا يفضلون القيام بدور الأخيار وحتى لا يفقدوا تعاطف الجماهير معهم، وهناك فارق كبير بين شخصية الشرير، والخارج علي القانون، فسعيد مهران في "اللص والكلاب" لكمال الشيخ، كان خارجا عن القانون قتل أبرياء، لكنه لم يكن شريرا بقدر ما هو ضحية، أما الصحفي رءوف علوان فرغم أنه صحفي مرموق، فإنه كما تم تصويره في الفيلم هو الشرير الذي يسعى للاستفادة من ورطة اللص من أجل تحقيق مكاسب وظيفية، ولذا فقد أفردنا مساحة للحديث عن أدوار الشر التي جسَّدها

كمال الشناوي، ولم نفعل ذلك بالنسبة لشكري سرحان الذي لم يبرز كثيرا في أدوار الشرير التي أداها بشكل تقليدي.

وفي فيلم "ملاك وشيطان" للمخرج نفسه رأينا كيف يتحول الشرير الذي يسرق الأطفال إلى رجل طيب يدافع عن البنت المخطوفة ويسعى لتسليمها إلى أهلها، حتى لو كلفه ذلك حياته.

إذن فهذا كتاب حاولنا فيه التعرف على أشهر من جسَّدوا أدوار الشر حتى مطلع القرن الحالي، ما يعني أن البحث في هذا الموضوع ممتد في هذا الجانب للباحثين الذين يمكنهم الغوص في جوانب أخرى عديدة.

محمود قاسم

زكي رستم

لو قارنّا عدد الأفلام التي مثل فيها زكي رستم بين عامي 1930 و1967، فهي أقل بكثير مما مثله أقرانه الذين بدأوا معه، خاصة "سراج منير" الذي شاركه بطولة أول أفلامها معا عام 1930، وهو "زينب" رغم أن زكي رستم قد أطال الله في عمره بعد وفاة صديقه بخمسة عشر عاما.

ورستم هو أهم عباقرة التمثيل بلا منازع في السينما المصرية، لديه قدرة غريبة على التقمص والاندماج، وأن يقنع المشاهد بأدائه مهما كان حجم الدور الذي يُسند إليه، فأنت تصدم فيه بقوة حين يكون شريرا، وبالقوة نفسها وهو رجل طيب. إنه ممثل يصنع الدور، مهما كان صغيرا، أو مهما تباينت أهميته.. وقد ساعدته عدة عوامل لأن يتبوأ تلك المكانة التي عرفت عنه، فالصورة المنشورة في عام 1925 في إحدى المجلات لشاب مفتول العضلات، كبطل رياضي في الثانية والعشرين من العمر تعكس إلى أي حد ساعده تكوينه الجسماني أن يؤدي دور العمالقة، في الخير والشر معا، وفي هذا العام كان يعمل في مسرح جورج أبيض، ثم انتقل إلى فرقة رمسيس، وفيما بعد عمل في العديد من المسرحيات مع عزيز عيد..

أدواته إذن هي: موهبته في الأداء، وتكوين جسماني مميز، وصوت أجش يستخدمه بمهارة، فهو واضح الألفاظ، بطيء النطق إلى حد ما، لا يبتلع الحروف.

وقد وضعت السينما عينيها عليه ليكون الوغد والشرير والمجرم، والخارج عن القانون، منذ فيلمه الأول "زينب" إخراج محمد كريم عام **1930**، فقد أسند إليه دور الزوج حسن، الذي يتزوج من زينب، وهو يعلم أنها تحب إبراهيم، أي أن قلبها ليس معه، لذا فإنه يتعامل معها بقسوة ملحوظة، وهو رجل ثري، يلوي عنقها حتى تحبه، ويمنعها من رؤية حبيبها، إنه رجل متسلط لم يهنأ معها بحياة أسرية، فبعد رحيل الحبيب إلى الجهادية، فإن الدرن يخترق رئة الفتاة الريفية، وتموت.

وفي عام **1932** قام زكي رستم بدور برعي، زعيم المخدرات في فيلم "الضحايا" من إخراج إبراهيم لاما، والذي يتزوج من امرأة جميلة لا تعلم عنه شيئا، بعد أن رفضته مرارا، ومشكلة برعي الزوجية أنه رجل فظ وخارج عن القانون، وأن عروسه تحب ضابط مباحث توكل إليه مهمة القبض على الزوج، وأنه سوف يتزوج من شقيقة الزوجة. وبرعي هنا لا يملك إزاء زوجته، سوى أن يعذبها، وأن يمنعها من لقاء حبيبها.

إذن، فنحن أمام دور مشابه، وإن كان حسن قد ارتدى ملابس الريفي الثري، فإن برعي هو زعيم العصابة الذي يتخفى في زي رجل من أعالي المجتمع.

وإذا كان زكي رستم قد حاول الخروج عن هذه الأدوار التي رأيناه فيها في أفلام مثل "الوردة البيضاء" فإنه ابتعد عن السينما لأسباب لا تعلمها طوال ثلاث سنوات، إلى أن شاهدناه عام **1937** في فيلم "ليلى بنت الصحراء" كي يعمل مجددا أمام المخرجة الممثلة بهيجة حافظ، ليقوم بدور كسرى، الذي يعمل على خطف الفتاة البدوية الجميلة ليلى، حتى يحترق قلب ابن عم ليلى "البراق"، حيث أن هناك من أبناء القبيلة من يشعر بالحقد والغيرة من البراق.. ومن جديد، فإن الممثل هنا يؤدي دور الرجل العاجز عن استمالة امرأة إلى قلبه، فهي تحب شخصا آخر، فليلى التي اختطفها تحب البراق، لذا فإنه يقوم بتعذيبها تعبيرا عما في داخله من مشاعر العجز والغل.. وكسرى هنا لا يمارس قسوته فقط تجاه ليلى، بل أيضا ضد كل من يحاول أن يعيد ليلى إلى قبيلتها وحبيبها، وقد وصل الأمر بليلى أن كسرى قد أمر حراسه بضربها على موطن العفة، فأرسلت قصيدة بذلك إلى قبيلتها، مما دفع البراق أن يأتي إلى بلاد فارس لإنقاذها.

فرغم تكرار الشخصية، ذلك الظالم المستبد، المقتدر ماليا، فإن زكي رستم غيَّر ملابسه، والماكياج في هذه الأفلام، ولم تعرف الرحمة أو التسامح طريقهما إلى قلبه، لكن الممثل لم يشأ أن يحبس نفسه في هذا الإطار.. وفي عام **1939**رأيناه في دور الرجل الطيب، رجل الأعمال العصامي الذي يؤمن بدور الشباب في تطوير المجتمع، لكنه يعود مرة أخرى إلى دور العاشق المحروم في فيلم "زليخة تحب عاشور" إخراج أحمد جلال عام **1940**، فهو الرجل الذي يأويه قريبه عاشور في بيته، ويحاول

أن يستميل قلب زوجة عاشور إليه، ليدفعها إلى الحب الحرام، لكنه يفاجأ بوفائها لزوجها وإخلاصها له، فيدبر للتفريق بين عاشور وزليخة، ويدير المكائد منها دفع فتاة سيرك في طريق الزوج كي تلهيه عن زوجته، إلا أن هذه الفتاة تشعر بمدى طيبة عاشور، وتنجح في إعادته إلى زوجته، بينما يغادر الغريب الشرير البيت.

وفي فيلم "الشريد" عام **1942** لهنري بركات، يقوم زكي رستم بدور مشابه، فهو حسين الذي يحب الفتاة سهير، إلا أن صديقه محمد يتزوج منها، أي أن هناك فاصلا دائما بين الشخصية التي يجسدها الممثل، والمرأة التي يحبها، مما يدفع حسين إلى اللهو، وقضاء أوقاته بين الميسر والشراب، ويسوء حاله، ولا ينقذه مما أصابه سوى صديقه محمد زوج حبيبته، ويحدث أن يتواصل حسين مع سهير، ويشتعل حبهما من جديد، ويكتشف محمد خيانة زوجته مع صديقه حسين.

هي إذن نماذج محددة نمطية مصنوعة كي يختار ممثل من طراز زكي رستم، وأجزم أنه لم يكن في السينما المصرية، ممثل له شعبيته، يقوم بأدوار البطولة الثانية، يمكنه أن تسند إليه هذه الأدوار سوى زكي رستم، وكما أشرنا، فإنه ليس لدينا تفسير محدد للسبب الذي جعل الممثل يعزف عن العمل بالسينما، فهذه الأدوار تدر الكثير من المال، والطلب على الممثل، ولا أعتقد أن السبب هو انشغال زكي رستم بالمسرح، ولكن التفسير الأمثل أن زكي رستم كان يميل إلى العزلة، ولم يكن رجلا اجتماعيا، لذا فإنه كان يُطلب بالاسم لأداء مثل هذه الأدوار وغيرها،

فهو يؤدي دور الزوج الطيب في فيلم "المتهمة" لبركات، المأخوذ عن مسرحية "المرأة المجهولة".

يكفي أن نقول أن زكي رستم لم يعمل بين عامي 1940و1945، أي طوال ست سنوات سوى في ستة أفلام فقط. منها فيلم "ليلى البدوية"، الذي أعادت بهجة حافظ إخراج أجزاء منه، كي يتناسب مع الظروف السياسية الجديدة، ومصاهرة إيرانية مصرية، مما يعني أن الممثل لم يعمل سوى في خمسة أفلام فقط، لكن في العام 1945، رأيناه فقط في خمسة أفلام. وسوف يتبع ذلك نشاط ملحوظ له في السنوات التالية.

وقد تنوعت أدوار الممثل في هذه الأفلام الخمسة بشكل ملحوظ، ففي"الحياة كفاح" لجمال مدكور، يقوم بدور الأب الذي يعترض على زواج ابنه الوحيد من ممرضة أحبها، فيطرده هو وزوجته من المترل، ليعيشا حياة الشقاء، والأب لا يتراجع قط في موقفه تجاه ابنه، إلا بعد أن ينفصل عن زوجته التي لم تشأ لزوجها أن يعيش معها في شقاء، وهو الذي لم يفلح في الكفاح كي يكون مستقلا، ويظل الأب القاسي على موقفه إلى أن يعرف الزوج الحقيقة، فيعود إلى زوجته رغما عن موقف أبيه.

وإذا عدنا إلى التكوين الجسماني لزكي رستم الذي كان سببا في إسناد هذه الأدوار إليه، فإن الممثل المولود عام 1903، كان أبا لأنور وجدي المولود في العامل التالي له، أي أنه يصغره بعام، وقد تكررت هذه

الظاهرة بين الممثلين في أفلام تالية، إذن فضخامة جسم الممثل وصلعته وشاربه قد أعطوه الفرصة ليلعب دور الأب لرجل في مثل سنه، وكان الاثنان في تلك الآونة، قد تجاوزا الأربعين من العمر .

وفي العام نفسه، جسَّد زكي رستم دور الأب المحامي، الذي يوكل له صديقه المقرب أن يدافع عن ابنه ضد فتاة تتهمه بأنه أغواها، وأنها حامل منه، هذا المحامي الماهر في المرافعات، يبدو متشددا فيما يخص مسألة الشرف، وهو لا يعرف المراجعة في هذا الشأن، ويستخدم مفردات لفظية عن الشرف والخطيئة ضد الفتاة التي سلَّمت شرفها لرجل آخر في قاعة المحكمة، وذلك في فيلم "هذا جناه أبي" لبركات، إلا أنه يكتشف أن الفتاة هي ابنته، من امرأة أخطأت معه، وماتت، وتركت الابنة (صباح) لأسرة تولت تربيتها، ويكتشف أن مسألة الخطيئة تتكرر.. ونحن هنا أمام واحد من الأفلام القبلية التي يحدث فيها تحول ملحوظ للشخصية التي يجسدها، من التصلب في موقف إلى العكس تماما، فهو يدافع بالقوة نفسها عن ابنته الخاطئة، ضد صديقه الذي سبق أن وكله، حتى تتم المصاهرة، وقد أبدع زكي رستم في الموقفين معا، موقف المحامي الصداح ضد الخطيئة، ثم موقف المحامي الذي يدافع عن خطأ حدث لابنته من شاب لاهٍ..

ومن المقارنة يمكن أن نكتشف عظمة الممثل، المقارنة بين الأدائين في مشاهد متقاربة، ومقارنة ما جسَّده زكي رستم هنا، وبين الدور نفسه الذي جسَّده فريد شوقي عام **1980** في فيلم "عاصفة من الدموع".

وفي العام نفسه **1945**، جسَّد زكي رستم دور الشرير في فيلم "قصة غرام" إخراج محمد عبد الجواد، فهو الرجل الظالم الشرير الذي استولى على ثروة هدى، ويتولى تربيتها، يتفنن في إذلالها وتعذيبها مع قريبها جلال، ويتعمد أن تعمل كخادمة في بيته، وتتمكن هدى من الهرب من نير ولي أمرها، إلا أن جلال يقع في قبضته، فيحبسه في كوخ بالمزرعة ويتفنن في تعذيبه، ربما تعود هدى يوما ما، إلا أن جلال يواجهه ويقاتله بشراسة ملحوظة، ويتخلص من سطوته كي يذهب للبحث عن هدى.

وفي عام **1946** ظهر زكي رستم مجددا في خمسة أفلام، فهو في فيلم "ضحايا المدينة" لنيازي مصطفى، ضابط شرطة يعاني من تذمر زوجته، وهو في "النائب العام" رجل قانون، إلا أنه يعود إلى دور الزوج البالغ القسوة في فيلم "هدمت بيتي" إخراج حسين فوزي، فهو شعبان الصيدلي القاسي القلب، الذي لا يعرف الرحمة، يعامل أهله المتمثلين في أمه وزوجته وابنه وابنته بمنتهي القسوة، كذلك العاملين بالصيدلية، الذين يفضلون أن يتركوا العمل على أن يعملوا معه.

صارت الأدوار نمطية لكن زكي رستم يعطيها قيمة ومعنى، فالأب تشتد قسوته حين يعرف أن ابنته أحبت موظفا يعمل لديه في الصيدلية، ويقوم بطرد الموظف، وتبعا للقسوة التي تشتد في البيت يوما وراء آخر، فإن الابنة تهرب من المنزل، وعلى إثر ذلك تمرض الزوجة وتموت، بينما يفشل الابن في الدراسة ويقرر الانتحار، وتسوء الأحوال

المهنية بشعبان الذي يصاب بالإفلاس. إنه دور مكرر للمثل، الذي يدفع حياة أبنائه ثمنا لقسوته، مثلما سنراه يفعل فيما بعد في فيلم "عائشة".

وفي فيلم "الهانم" لبركات أيضا عام 1947، فإن زكي رستم يعود لدور مهرب المخدرات، واسمه هنا حافظ الذي يرق قلبه لامرأة قادمة من الشام توهم ابنتها أنها صارت ثرية في مصر، وتدعوها إلى القاهرة لتقيم لها حفل خطبة، وتلجأ إلى حافظ وتحدثه عن ظروفها، فيعيرها فيلته، وفي يوم الخطبة تقرر الشرطة مهاجمة الفيلا، وحتى لا يتم إفساد الخطبة، فإن حافظ يعترف بنشاطه، بشيء من النبل، ويرشد الشرطة عن أعماله، في مقابل عدم إفساد الحفل.

نحن هنا أمام رجل نبيل، وإن كان مهرب مخدرات، وهو يمر بمرحلة من الإجرام إلى الصفاء الذاتي، مثلما سبق أن رأيناه في "هذا جناه أبي" وقد لعب زكي رستم الدور نفسه، تاجر المخدرات الذي يتوب ويدفع ثمن إجرامه، فهو رب الأسرة الذي يتاجر في المخدرات.. عندما تهاجم الشرطة البيت، فإن الابن يدعي أن المخدرات ملك له، ويتم سجن الابن، بينما يموت الأب من الحزن والندم. وهذا الدور قام زكي رستم بأدائه مرة أخرى عام 1961 في فيلم "أعز الحبايب".

وفي فيلم "خاتم سليمان" لحسن رمزي، يلعب الممثل دور بيومي صديق العم الذي يعمل بالعطارة، وهو رجل غامض مريب، وعندما يتقدم بيومي لخطبة الفتاة ليلى، فإن العم يرفض الطلب بقسوة، ويعود بيومي إلى شقته المتواضعة منكسرا، ويتمنى لو كان يملك مال الدنيا لينال

ليلى، وفجأة يعثر على خاتم في بطن سمكة من السمك الذي ينظفه، إنه خاتم سليمان يلبي له طلباته، ويتحول إلى حسني باشا، الثري، ويتقدم مرة أخرى إلى العم الثري، ويبدأ في ممارسة سحر شرير على ليلى كي يسلبها إرادتها، وفيما بعد يدور صراع بين بيومي والعم وسالم لامتلاك الخاتم..

الشرير هنا هو العاشق الذي لا يمكنه امتلاك قلب من يحب، حتى وإن كان يمتلك خاتم سليمان، وهو الثري المقتدر، فاقد العاطفة، الجلف، جامد القلب تجاه الآخرين، وهو – كما شرحنا – دور أسنده المخرجون دوما في أفلامهم إلى زكي رستم، الذي توقف مجددا عن التمثيل لمدة ثلاثة أعوام، دون أي سبب ظاهر، كي يعود في دور الرجل الطيب جدا عام **1950** في "معلهش يا زهر" لبركات، فهو الأب الذي يواجه المتاعب في البيت والعمل، ثم هو الجد الثري في "ياسمين" لأنور وجدي .

وفي عام **1951** عاد إلى أدوار الشر المؤقت في فيلم "أنا الماضي" لعز الدين ذو الفقار، وهو دور رجل زج به صديقه في السجن ظلما، لذا فحسب قانون الانتقام في السينما، فإنه يسعى للانتقام ممن ظلموه وكانوا السبب في حبسه خمسة عشر عاما، وعندما يخرج حامد من السجن لا يجد صديقه الذي زج به إلى الحبس، ويبدأ حامد في البحث عمن ينتقم منهم، فيجدهما قد ماتا، ويحدد انتقامه في الشابة سامية، التي تصغره بكثير، وهي ابنة إلهام التي كانت السبب في سجنه، فيحاول إيهام سامية أنها مجنونة، ويبث الرعب في قلبها من خلال أشباح مزيفة، تساعده في ذلك أخته (نجمة إبراهيم)، حتى تصل سامية إلى حافة الجنون، لكن حامد

لا يلبث أن يتغير عندما يعرف أن زوجته حامل، فيتراجع عن خططه الشريرة.

نحن هنا أمام شرير لا يلبث أن يصفو من مشاعره، عندما تتغير الظروف، وهو منذ البداية بريء.. إذن، فهو ليس في حاجة إلى عقاب، أسوة بالمجرمين في الأفلام الأخرى.. والجدير بالذكر أنه حتى الآن، فإن شخصيات الأشرار الذين جسدهم زكي رستم، كانوا في طريقهم إلى الصواب والتوبة والصفاء، أو الخلاص للأفضل، وكما سنرى، فإنها أفلام قليلة تلك التي تنال فيها الشخصية التي يجسدها العقاب على أيدي رجال الشرطة، أو بالموت ، مثلما حدث في فيلم "النمر".

الدور الذي لعبه زكي رستم في هذا الفيلم عام **1952**، كان واحدا من أكثر أعماله عبقرية وشرا، فهو من ناحية عامل بار طيب القلب، خفيف الظل، لكنه على الجانب الآخر – ودون أن يعرف أحد – يرأس عصابة لتهريب المخدرات، ويتصرف بوحشية مع رجاله وخصومه، له ابنة تعمل في الصالة، وهي – كما سنعرف – ابنة زوجته التي أصابها الشلل .

التناقض الحاد بين الشخصيتين لا يمكن أن يحدث الفارق بينهما سوى زكي رستم، فالرعب الذي يسببه لخصومه، أو الذين ينشقون عنه، يبدو واضحا في المشهد الذي يمزق ملامح أحدهم، ويبث في قلبه الرعب، فهو لا يقتل قتلا عاديا، ولكن بدون شفقة، وبكل ما يثير الخوف والرعب في القلب.

النمر هنا رجل مزدوج الوجه، إلا أننا كمتفرجين سرعان ما نتعرف على هذين الوجهين، بينما يتعذر ذلك على من يبحثون عنه، ومنهم الضابط الذي يتخفى في شخصية صحفي من ناحية، وابنته من ناحية أخرى، كما أن النمر هنا مهرب، وقد سبق أن قتل والد الفتاة التي تعتقد أنه أبوها، وأصاب زوجته بالشلل من الرعب الذي أحاطها به.

وقد تكررت هذه الشخصية في عام **1952** من خلال "بائعة الخبز" إخراج حسن الإمام عام **1953** وهو هنا يقوم بدور عبد الحكيم رئيس العمال، والذي قتل صاحب المصنع عندما ضبطه يسرق الخزانة، ويتهم خديجة (أمينة رزق) بأنها حرقت المصنع، يختفي عبد الحكيم بعد الجريمة، كي يعود بعد سنوات في ثوب جديد، وباسم "غريب أبو شامة"، وقد أصبح من الأثرياء، ويشتري مصنعا في البلدة.. نحن هنا أمام رجل مزدوج الوجه، فهو ناجح في عمله، طيب، يعمل الخير، لكن ماضيه كقاتل يطارده بقوة، فعندما تخرج خديجة من السجن يصبح عليها أن تكشفه من جديد، وتتعقد الأحداث هنا، فابنة هذا المجرم تقع في حب مدحت الذي سبق للأب أن قتل أباه، وتنمو بذرة القاتل القديم في أعمال غريب، الذي يحاول قتلها، إلا أن محاولته لا تنجح، وتذهب خديجة إلى منزله أمام ابنته، وتواجهه، ويعترف بأنه هو المجرم الحقيقي، ويبريء خديجة، والعقاب هنا أن ابنته تموت بأزمة قلبية بين يديه.

في العام نفسه قام زكي رسم بدور مدبولي، بائع اليانصيب في فيلم "عائشة" إخراج جمال مدكور، وهو رجل شديد القسوة، خاصة

على أسرته، وابنته عائشة التي يجبرها على بيع ورق اليانصيب على المقاهي، ويدفع ولداه للعمل في النشل، يرتدي الجلباب الشعبي، ويضع الطاقية فوق رأسه، لا يكاد يعرف الرحمة قط ولا أي مراجعة، كل ما يبغيه الحصول على المال من أجل تدبير ثمن الخمر، وفيما بعد يتفاوض مدبولي مع رجل ثري، كي يتبنى ابنته عائشة، وهي صديقة لابنة هذا الثري، على أن يقوم بتعليمها وتربيتها على أحسن ما يكون مقابل راتب شهري، ويحدث أن يتم القبض على مدبولي في إحدى الجرائم، وعند خروجه من السجن يذهب في مشهد بالغ القسوة ليأخذ ابنته من الرغد الذي تعيش فيه، كي يعيدها إلى الشوارع تبيع ورق اليانصيب، وهذا المشهد وحده، ضمن أعمال زكي رستم كفيل أن يجعلك لا تحبه طيلة عمرك، وهو "يجر ابنته" إلى عالم سفلي حقيقي، ويدفعها إلى أن ترى الأعمال القديمة، وأن تبيع أوراق اليانصيب في المقاهي..

ومدبولي هذا، الذي يصدم في وفاة ابنه بشكل مأسوي، يتغير تماما، ويتحول إلى شخص آخر، يتوب إلى الله، ويترك الحرية إلى ابنته أن تتزوج من الشاب الثري الذي أحبته.

وعملا بمبدأ المقارنة أيضا، فإن فريد شوقي قام بإعادة هذه الشخصية تحت اسم "رجب الوحش" عام **1985**، ومن يود التأكيد على عبقرية أداء زكي رستم الذي ليس له مثيل، أن يشاهد الفيلمين معا، مثلما سبق أن إشرنا عنه في فيلم "هذا جناه أبي".

في العام نفسه قدم فطين عبد الوهاب ممثله زكي رستم في دور الحاكم الظالم في "حكم قراقوش" الذي يسعى إلى استمالة فتاة من الشعب، تعترض على الارتباط به لأنها تقف ضد ظلمه، لذا فإن قراقوش يعين والد الفتاة رئيسا للوزارة، وتستمر الرحلة ضد الظلم. بما يعني أن زكي رستم قد ارتدى ثوب الشرير في الأفلام التاريخية، ومنها "مسمار جحا" عام **1952**.

وفي عام **1954** لعب دور الباشا في "صراع في الوادي" ليوسف شاهين، وهو الرجل الذي يحتكر زراعة قصب السكر وتصديره، وهو يلعب ضد مصلحة ابنته، فيعترض على زواجها من ابن شيخ القرية، كي يزوجها لابن أخيه الذي يدبر جريمة قتل يدخل على إثرها شيخ القرية السجن ويتم إعدامه. والشر هنا مشترك بين رجلين: الباشا، وابن أخيه، والجرائم المرتكبة هنا هي القتل والتحريض على القتل، بالإضافة إلى المؤامرات والاحتكار الاقتصادي.. وفي نهاية الصراع فإن الباشا يموت على يدي سكرتيره، أو ابن أخيه.

وفي عام **1955** قام زكي رستم بدور رجل يود الزواج من فتاة صغيرة في فيلم "حب ودموع" لكمال الشيخ من خلال الضغط على أبيها الذي سلمه إيصالا بمبلغ كبير، أما في"رصيف نمرة **5**" في العام **1956** لنيازي مصطفي، فهو أيضا مهرب المخدرات ذو الوجهين، فهو أمام الناس ذلك الطيب الذي يؤدي الصلوات جهرا، ويتصرف بأريحية مع من حوله في حي الأنفوشي، لكنه في الحقيقة مهرب مخدرات يستخدم

الطيور في التهريب، ويمكنه أن "يقتل" كل من يعترض طريقه، خاصة العريف خميس الذي ينجح في معرفة سره..

الشرير هنا يستخدم سلاح القتل والمكائد، فهو يذهب بنفسه إلى فراش خميس ليقتله، ويقتل امرأته التي نامت بالمصادفة في فراشه في تلك الليلة، كما يقتل مساعده قبل أن يعترف باسمه كزعيم عصابة، وفي النهاية تدور معركة شرسة للغاية بين خميس، وبين المهرب في الميناء تنتهي بسقوطه في أعماق البحر.

ولعل شخصية المعلم أبو زيد في فيلم "الفتوة" لصلاح أبو سيف 1957 تعكس كيف تحول المنافسة غير الشريفة في سوق الجملة أباطرة السوق إلى أشرار، يسعون إلى التخلص من بعضهم عن طريق القتل بوسائل غير مألوفة، فأبو زيد يسوق أحد رجاله لإغلاق باب ثلاجة الخضروات والفاكهة على هريدي ليلة زفافه كي يموت، والاثنان معا يموتان في الثلاجة نفسها في الصراع الأخير، أي أن الشر هنا لم يكن ضد الخير، بل ضد شر مثيل له، خلقته لغة المنافسة في السوق.

وشيئا فشيئا، بدأت أدوار الشر تقل في أعمال زكي رستم، الذي قل تواجده بشكل ملحوظ كما أشرنا، فهو الإقطاعي بالغ القسوة الذي لن يلبث أن ينهزم اقتصاديا في "لن أبكي أبدا" لحسن الإمام عام 1957 وهو الباشا القديم الذي يود شراء الأرض الصغيرة المجاورة لأراضيه الواسعة في "لحن السعادة" لحلمي رفلة عام 1960، وهو زعيم العصابة الذي يخطف طفلة صغيرة في "ملاك وشيطان" لكمال الشيخ عام

1960، ويرسل رجاله لمطاردة أحد أتباعه الذين قرروا إعادة الطفلة إلى أسرتها.. وفي "يوم بلا غد" لبركات عام 1962، كان هو الأب الذي أحب ابنة زوجته الراحلة، وحاول أن يقف ضد زواجها. إلا أن المفارقة الظريفة أنه قدم أول وآخر أفلامه الكوميدية، وآخر أعماله على الإطلاق عام 1967 باسم "أجازة صيف" لسعد عرفة..

استيفان روستي

ذلك الممثل، المخرج،كاتب السيناريو، صاحب الأداء التمثيلي الفريد الذي لم يقلد أحدا، ولم يتمكن أي ممثل من تقليده، برز في أدوار الشر والكوميديا.. النمساوي الأب، سليل بارونات أوروبا، الذي عاش بين والديه بين مدن أوربية عديدة، ثم استقر به المقام في القاهرة، عاش في شبرا.. وكان من أول من ساهموا في عمل أول فيلم مصري عام 1923.

هذا الممثل، حالة خاصة، نعرفه كممثل، أكثر منه كمخرج، وتأتي سماته أنه عمل في كافة الأدوار بين عامي 1927 وحتى سنة وفاته 1964، وبالنسبة لأدوار الشر والجريمة، فقد تباينت أدواره، من الوغد إلى رجل المؤامرات والنميمة، إلى مهرب المخدرات، والخارج عن القانون، والقاتل.

وروستي، ممثل كثير التواجد، مثلما كان نشطا كمخرج في العقدين الأول والثاني من عمر السينما المصرية فقد عمل كممثل مساعد في تسعين فيلما طوال سبع وثلاثين عاما. كان هو المخرج أحيانا، وعمل كممثل مع أغلب مخرجي عصره .

ممثل، متوسط الطول، رشيق القد، له صوت مميز، ورغم أصوله الأجنبية، إلا أنه صحيح النطق، فيما يتعلق بالحروف والكلمات، فيجيد إحداث التأثير على المتفرج، وأيضا على الشخصيات التي تقف أمامه، يعرف كيف يحرك حاجبه، بما أعطى رموز التآمر والشر، لم يتخل أبدا عن شاربه، ولم يغير من شكله، وله صلعة لم يحاول إخفاءها عن طريق تسريحة خاصة، أو بوضع شعر تكميلي "بوستيج"..

شارك في كتابة وإخراج فيلم "ليلى" عام **1927**، وجسد فيه دور رءوف بك الثري الذي تزوج ليلى، وعاشت معه في ضيعته، إلا أن ليلى تحب شابا آخر وتترك بيتها، وفي نهاية الفيلم فإن رءوف يصدم ليلى بسيارته، ثم يحملها بين ذراعيه إلى منزله، حيث سيقضى نحبها.

إذن، فقد بدأ الممثل حياته في السينما من خلال دور الجنتلمان الثري المحب الأخلاقي، لكن أدوار الشر التي قدمها فيما بعد لم تنحصر عند دور بعينه، فهو الجنتلمان العنيف، وهو أبو العز البالغ الشراسة إلا أنه لم يتخل قط عن زي المدينة، ولم نره في دور الريفي على سبيل المثال.

كان أول أدواره كشرير في فيلم "ليلة ممطرة" لتوجو مزراحي عام **1939**، فهو الشاب الأفاق الذي يطلب يد سنية، إلا أن الأب يرفض طلب الزواج، فيخطط هذا الشاب لإيقاعها، حتى يفلح في سلب شرفها، وتبدو مفردات روستي في أدوار الشر هنا واضحة، فعيناه لامعتان، وهو يحرك مقلتيه ذات اليمين واليسار، بما يوحي أنه يفعل شيئا غير طبيعي، ثم هو يتصرف كوحش وهو يفترس جسد الفتاة، ومن

الصعب أن نتعاطف معه، وقد تخلى الشاب هنا عن فريسته وهرب، مما دفع بالأب أن يزوج ابنته إلى شاب فقير لإخفاء العار، وفيما بعد يظهر الأفاق، الذي غرر بسنية،كي يبتزها، ويبتز أسرها، ويحصل على المال..

ورغم أن دور استيفان روستي في فيلمه "الورشة" عام **1940** لم يكن بالشرير الحقيقي، وهو من إخراجه، فإن ظهوره في نهاية الفيلم، يعني نهاية قصة حب جميلة تولدت بين زوجته وبين الشاب أحمد الذي يصلح من أحوال الورشة، فالأسطى علي هنا، صاحب ورشة الميكانيكا يسافر مع زملاء له في رحلة صيد، وبينما هم في طريقهم تهب عاصفة يختفي بعدها الأسطى علي، ويعتقد الجميع أنه قد مات، وعندما يعود "علي" للظهور، فإن روستي كمخرج قدم نفسه في صورة دراكيولا العائد من الظلام وإلى الظلام، يرتدي عباءة سوداء، طالما رأينا بها روستي في أفلام أخرى، مثل "قلبي دليلي"، "عنبر" وتراه زوجته وسط بصيص من النور،كأنه قادم من المقبرة، أو كأنه ملاك الموت قادم ليقتل قصة حب جميلة تمت بقوة بين الزوجة وأحمد، الذي يقرر أن ينضم إلى الجيش، وأن يضحي بقصة حبه.

إذا كان روستي قد قام بدور أحد أبناء العم في فيلم "شهداء الغرام" لكمال سليم الذين يناصبون العداء لأسرة العاشق بدر، فإن هناك دورين متشابهين تماما جسدهما الممثل في فيلمين من إخراج أنور وجدي، وهما "قلبي دليلي" عام **1947**، و"عنبر" عام **1948**، وكأنهما فيلم واحد من جزئين، حيث رأينا العصابة نفسها بأفرادها تتكرر بين الفيلمين،

وهما نفس الزعيم، بملابسه الدراكيولية، السابق الإشارة إليها، فهو يرتدي عباءة سوداء، ويظهر دائما في الظلام أو الأقبية، في الفيلمين

رئيس العصابة هنا، في الفيلمين، له هدف محدد، العثور على شيء ثمين، العقد الثمين الذي دسته إحدى المجموعات في رداء ليلى، وصار على رجال الشرطة ورجال العصابة أن يطاردوهما طيلة الأحداث، وذلك في الفيلم الأول، أما في فيلم "عنبر" فإن زعيم العصابة يبحث عن خريطة دست في فستان أيضا، وبها سر كنز ثمين أخفاه والد عنبر، وأبلغها عن سره قبل أن يموت.

أي أن رئيس العصابة، وأغلب الظن أن اسمه أيضا أبو العز في الفيلمين،كان له هدف محدد، وهو لم يظهر إلا في الظلام، داخل القبو الذي أخفوا فيه ليلى،كي تبلغ عن مكان العقد، ثم في قبو مماثل حبسوا فيه عنبر حتى تبوح بالسر الذي لم يبلغها والدها به، ومات.

وقد استعان المخرج بأغلب طاقم الأشرار ليقوموا بدور أفراد العصابة مثل: فريد شوقي، وسعيد أبو بكر، وعبد المنعم إسماعيل، ورياض القصبجي..كما أن المخرج استعان بنفس مؤلف القصص البوليسية الشهير محمد كامل حسن المحامي ليكتب القصة والسيناريو..

رئيس العصابة هنا، هو نفسه، يؤدي الدور المحدد له، وفي النهاية يتم القبض عليه، مع عصابته بأسلوب مقارب، وقد أسس هذان الدوران للممثل النمط الذي سوف يظهر عليه في الأفلام التالية، ففي فيلم

"المغامر" إخراج حسن رضا عام 1948، وهو من إنتاج محمود المليجي، رأيناه يقوم بدور رجل العصابة الذي يحاول استمالة عضو تائب من العصابة للعودة إلى ممارسة نشاطه الإجرامي مرة أخرى، لكن الشاب يرفض العودة إلى العصابة، بفضل زوجته، ويضغط عليه زعيم العصابة بسبب مهارته في فتح الخزائن، لكن الشاب التائب يوافق على المشاركة في إحدى العمليات، ويكون قد أبلغ عن العملية لرجال الشرطة، ويعتبر شاهد ملك.

وقد أدى استيفان روستي في تلك الفترة أدوار الشرير الوغد، خفيف الظل في أفلام كوميدية غنائية أمام فريد الأطرش، مثل "بلبل أفندي" لحسين فوزي عام 1948، و"عفريتة هانم" لبركات، و"أحبك أنت" لأحمد بدرخان عام 1949، ففي "عفريتة هانم" يقوم بدور الأب صاحب الملهى الليلي، الذي يعمل فيه المطرب الشاب عصفور، الذي يحب ابنته "عليه" ويريد أن يتزوجها، ولأن عصفور شاب فقير في مقتبل العمر، فإن الأب والابنة يسخران منه، بل يقوم الرجل بطرد الشاب من الملهى الليلي، ويوافق على أن تخطب ابنته إلى "ميمي بك" الشاب الثري.

وينتقل هذا الأب المتعجرف تجاه عصفور، من السلوك إلى نقيضه تماما عندما تأتي الثروة إلى عصفور عن طريق المصباح السحري، فيتملقه ويوافق أن يتزوج من ابنته، ويبدو الأب متذبذبا بين ثراء عصفور، وعودته مرة أخرى إلى الفقر، فيجمع بين الجحود واللين، وبين الإغواء

والطرد، وعلى كل فنحن هنا في فيلم كوميدي غنائي، ودور الوغد هنا لا يتعدى أن يكون مصدرا للإضحاك .

في بعض الأفلام، فإن المخرجين قد استفادوا من الأصول الأوربية لاستيفان روستي، فسنجده في دور الشرير الأجنبي، مثل دور الحاكم الروماني في "مغامرات عنتر وعبلة" لصلاح أبوسيف عام **1948**، ودور اليهودي المصري فيما بعد في أفلام "حسن ومرقص وكوهين" عام **1954**، وفي فيلمه الأخير "آخر شقاوة" عام **1964**.

في عام **1949**جسد دور زعيم العصابة في "ليلة العيد" إخراج هذه العصابة التي تجتمع في إحدى الشقق لتدبر خطة يتم فيها استخدام شقيقتهم اللعوب، من أجل تدبير مؤامرة على "عادل بك" الشاب الثري، دون أن يعرفوا أنه تحت المائدة التي يتآمرون حولها، توجد الفتاة ياسمينة، والتي تكتشف سرهم، فيصير عليهم مطاردهما، قبل أن تبلغ عادل بالأمر .

وكما نرى فإننا أمام مطاردات كوميدية، ليس الشر أو الإجرام فيها متأصل؛ فأفلام الكوميديا تخلو من الجرائم الدموية، وتنحصر الجريمة هنا في مؤامرات وعمليات نصب، ثم تأتي الشرطة للقبض على الأشرار.

أما بركات، فقد قدم استيفان روستي، في دور الموظف في فيلم "معلهش يا زهر" عام **1950** ونحن لا نجد التسمية الحقيقية لمثل هذا النوع من السلوك، هل هو شر، أم أنه تنافس مشروع بين اثنين من

الموظفين يعملان في الوظيفة نفسها فمدير الشركة يقرر ترقية "صابر" لمجرد أنه زوج جارته القديمة، فيكون ذلك على حساب المدير الأسبق، الذي جسده استيفان روستي، هو إذن تنافس، ومن حق أي من الطرفين أن ينال المكان إلا أن الفيلم صور المدير القديم أكثر شرا، فهو يفعل أي شيء من المكائد والمؤامرات بهدف استرجاع منصبه المفقود، حتى وإن قام بالتشهير ضد صابر وزوجته، وادعاء أن هناك علاقة ما بين المدير العام، وبين زوجة صابر، وأن ابنة هذا الأخير قد هربت من بيت أبيها وتزوجت من شاب لا يوده أبوها..

المدير القديم، يستخدم كافة أسلحة الدسيسة والوقيعة، بل أنه عندما يعود مديرا، فإنه يتفنن في إذلال موظفه صابر، ومن هنا جاءت تسمية الفيلم "معلهش يا زهر" ..

في العام نفسه **1950**، كان هناك دور الشرير الأنيق، في فيلم "شاطيء الغرام" فهو زواج العمة التي تود أن يتزوج ابن أخيها الشاب الثري، من ابنتها، حفاظاً على ثروة العائلة. وتتضايق العمة حين يذهب ابن أخيها إلى مرسى مطروح، ويتزوج من ابنة موظف التلغراف، وعندما يعود العروسان إلى القاهرة، فإن العمة وزوجها يدبران المقالب لإفساد الزواج، وبث الغيرة في قلبي الزوجين، ويسعى زوج العمة لإحراج العروس ليلى حين يطلب منها الغناء في حفل أقامته الأسرة، إلا أن ليلى تنجح في أن تتجاوز المؤامرة.

الشرير هنا يدبر الخطط العائلية لإفساد ما بين العروسين، وإثبات أن الزوجة خائنة وتنجح الخطة المتقنة، ويقوم الزوج بطرد امرأته، لكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر، وهي الشخصية نفسها التي سوف نراه بها في فيلم "سيدة القصر" لكمال الشيخ عام **1958**، فهو واحد من أصدقاء شلة السوء التي تحيط بالثري الشاب عادل، الذي تزوج من فتاة الكانفاه الفقيرة سوسن، والتي يعلن وجودها كزوجة في القصر خطرا على وجود هذه الشلة، فالزوجة لا تتكيف مع هؤلاء الأصدقاء الذين يلعبون الورق، ويسعون إلى ابتزاز عادل واستغلاله والكسب منه، وهناك قصة حب بين الزوج وامرأته، لكنه يتعامل معها بقسوة، فهو لا يود التخلص من أصدقائه، ويقوم استيفان هنا بدور أقرب إلى أياجو في مسرحية عطيل، فهو يدبر الخطة المتقنة لإقناع عادل أن زوجته سوسن تخونه مع أقرب أصدقائه، وأنها ستذهب إلى العزبة معه، ورغم هذه الخطة، فإنها تكشف مشاعر الزوج تجاه امرأته التي يغير عليها، ويسعى إلى أن يعاملها بعنف، بعد أن يذهب خلفها إلى مزرعته، وهناك يكتشف حقيقة المؤامرة، فيطردهم جميعا، ويعود إلى زوجته.

إذن، فأدوار الممثل متقاربة، ويعني ذلك أن السيناريوهات وضعته داخل إطار محدد، يتكرر بين فيلم وآخر، لكن يمكن الوقوف عند شخصية أبو العز في فيلم "قطار الليل" لعز الدين ذو الفقار، حيث تعتبر الشخصية الشريرة الأكثر إتقانا، والأكثر شرا، في تاريخ أفلام الممثل .

أبو العز، الأقرب إلى دراكيولا، الذي يرتدي الملابس السوداء، يرأس عصابة لتزييف النقود، ومنذ اللحظات الأولى لهروب عادل في القطار، فإنه يقرأ خبرا عن مجرم هارب تبحث عنه الشرطة اسمه أبو العز، وإمعانا في إحداث التوتر فإن الرجل الذي يقرأ الجريدة هو أبو العز نفسه المطلوب من العدالة وعلى طريقة فيلم "غريبان في قطار" لهيتشكوك عام 1951، يفرض أبو العز نفسه على الشاب، ويجبره على القيام بمهمة في أحد الملاهي الليلية، حيث عليه الذهاب لمقابلة راقصة، هي في حقيقة الأمر زوجة لهذا الهارب، وحتى لا يتسرب الشك إلى الشرطة التي تبحث عن "أبو العز" فإن عادل يقوم بهذه المهمة.

والمصادفات التي تتكرر من فيلم لآخر، تجعل من الراقصة التي يذهب عادل لمقابلتها في الملهي الليلي بالإسكندرية، هي نفسها حبيبته القديمة، وأنها احترفت المهنة، وصارت زوجة لرجل عصابات من أجل حماية أبيها.

نحن هنا داخل أجواء عصابات شريرة، فعادل قام باختلاس مبلغ خمسة آلاف جنيها من خزانة الشركة التي يعمل بها، وهو مختلس غير محترف، يحمل معه حقيبة، والمبلغ يمثل بالنسبة له عبئا، ومثل هذه الفعلة الشنعاء تجعله متوترا ويوافق على الامتثال لأوامر أبو العز.

أما الراقصة، فقد أجبرت أن تتزوج من رجل تكتشف جبروته بعد الزواج، وذلك حماية لأبيها من البطش، دون أن تفقد المشاعر القديمة التي تكنها لحبيب انقطعت بينهما السبل، وحسبما كتب سمير سيف في

كتابه عن "أفلام الحركة في السينما المصرية" فإن الفيلم يزخر برجال العصابات بأنماطها المختلفة، فالعقل الإجرامي والقسوة التي تختفي خلف لسان عذب الألفاظ ينبري في شخصية أبو العز، الذي تميز بمعطفه الواسع، وطربوشه الذي يعطي انطباعا بأنه من الطبقة الوسطى الموسرة.

وتظهر عصابة أبو العز، كمجموعة منتقاة من الأنماط الإجرامية التي تتراوح بين النمر بوجهه الذي شوهه مرض الجدري، والعصابة السوداء تغطي عينيه، وأبو مشرط النشال السابق، ومنظر، وكلهم من الوجوه التي اعتاد المتفرج رؤيتها في أفلام الجريمة.

الأشرار في هذا الفيلم، وعلى رأسهم أبو العز، يزدادون صلفا وقوة، بفضل أعوان من هذا النوع السالف الذكر، مما يوسم المواجهة بالتوحش الذي لا حدود له، ويبدو ذلك في المعركة الشرسة الطويلة التي تندلع بين قطبي الشر في الفيلم: أبو العز، والمالطي، مما يعني أن الأول أكثر توحشا وإجراما، وأن الذي انتصر على المالطي يمكنه أن يتغلب على عادل – الشاب المسالم – بسهولة، ورغم المواجهة بين الرجلين، فإن الشرطة هي التي حسمت المعركة، ويتم القبض على أبو العز.

ومثلما حدث مع استيفان روستي، وأنور وجدي في فيلمي "قلبي دليلي"، و"عنبر"، فإن الأمر تكرر مع عز الدين ذو الفقار، فبعد نجاح "قطار الليل" استعان بالكاتب محمد كامل حسن المحامي الذي كتب فيلمي أنور وجدي، ليكتب له قصة جديدة مشابهة تقريبا في فيلم "رقصة الوداع" عام **1947** استعان فيه المخرج بأبطال الفيلم وهم: سامية

جمال، وعماد حمدي، واستيفان روستي، وصلاح نظمي، ورياض القصبجي. والشرير هنا منح الراقصة اسمه، هذه الراقصة تعمل في الملاهي الليلية، وتقع في حب شاب ثري، يعرف من هو الأب الحقيقي لها، ويعرف ماضيها باعتبارها أنها ابنة سفاح، أنجبتها الأم الخادمة الفقيرة، من علاقة عابرة مع سيدها الشاب الثري..

الشرير هنا، يدعي أنه الأب الرسمي للراقصة، وهو يشتهيها دون أن تعرف أنه صاحب الملهى، يعمل معه رجال أشداء، إنهم المزيج نفسه من رجال العصابات الذين سبق أن عملوا مع أبو العز، ويقوم بتجسيد أدوارهم الممثلون السابق ذكرهم، الشرير هنا يحاول بشتى الطرق الاحتفاظ بابنته بالتبني وأن ينالها، ومقاومة الحبيب الذي تحبه، وفي النهاية يقوم صراع شرس بين الشاب الذي يحب الراقصة وبين خصمه، يعضده الأب الثري، بينما لا تتدخل الشرطة هنا، حتى يحسم الصراع لصالح الأخيار.

إذن، كانت تلك الفترة من حياة استيفان روستي المهنية، هي الأكثر لمعانا في أداء أدوار الشر، ولم يستطع الممثل أن يقوم بمثل هذين الدورين مرة أخرى، فقد اتجه إلى الأداء الكوميدي في أفلامه التالية، مثل "حسن ومرقص وكوهين"، و"الستات ما يعرفوش يكدبوا"، و"الدنيا لما تضحك"، و"كدبة إبريل"، و"بنت البلد" ثم "تمر حنة" عام **1957**، وفي فيلم "أحبك يا حسن" عام **1958** قام بدور الأب الذي يرسل شخصا لاقتفاء أثر ابنه، ويقع في حب الفتاة التي يحبها الابن حسن.

كانت عودة استيفان روستي إلى أدوار الشر، تتم بشكل متقطع، واستطاع أن يفلت من هذه الأدوار بسهولة، ففي عام 1958قدم الدور بشكل خفيف في "سيدة القصر"، وفي "إسماعيل يس طرزان" كان واحداً من أفراد أسرة، تسعى لامتلاك ثروة يرثها شاب عاش في الأدغال، فيحضرونه من هناك، ويحاولون أن يجعلونه متحضرا، وتكون المؤامرات هنا هي إيقاعه في حب فتاة بعينها،كي يتزوج منها وتؤول الثروة إليهم..

كما قام روستي أيضا بدور كوميدي في فيلم "أبو عيون جريئة" إلا أن دوره كرجل عصابة في فيلم "حبيبي الأسمر" لحسن الصيفي، لم يكن هو الشرير الرئيسي، بل هو التابع الأول للثري، مهرب المجوهرات، الذي تزوج من الجميلة الفقيرة سميرة، ونقلها إلى طبقة اجتماعية مختلفة، وهي التي هجرت بذلك حبيبها الميكانيكي أحمد، أما الشخصية التي أداها استيفان روستي هنا، فهي الرجل الأول لهذا الثري، الذي ينفذ تعليماته وينقل إليه الأخبار الجديدة، ولعلها المرة الأولى في تاريخ الفنان أن يؤدي مثل هذه الشخصية التابعة، وربما لا عجب في ذلك إذا رأينا أن الشرير الرئيسي هنا قد جسده يوسف وهبي.

إلا أن استيفان روستي قد عاد لزعامة العصابة مرة أخرى في فيلم " قاطع طريق" من إخراج حسن الصيفي أيضا عام 1959، والغريب أن اسم أبو العز يرتبط أيضا برئيس العصابة، فهو يتولى تدريب وحيد على لعب القمار، حتى يفقد ثروته كلها، وفيما بعد يعرض عليه لإعادة ثروته أن يشاركه في أعمال تهريب المخدرات، وأبو العز هذا هو الذي يورط

وحيد في جريمة قتل، بعد أن دفع أحد رجاله – الأسمر – لقتل ابن عم وحيد، وتنسب الجريمة ضد وحيد، الأسمر هذا لن يلبث أن يتمرد على عصابة أبو العز، فيما بعد يقوم أبو العز بخطف المطربة التي يحبها وحيد ويتخذها كرهينة مع بعض الرهائن الأخرى، ويسعى وحيد إلى الإيقاع به..

إذن، فنحن أمام أبو العز مرة أخرى، وقد مر عليه الزمن، ففي هذه السنة كان استيفان روستي قد تجاوز الثامنة والستين من العمر، باعتبار أنه من مواليد عام **1891**، ولم يعن ذلك أنه فقد بريقه، فقد استطاع الممثل الاحتفاظ بحيويته حتى اللحظة الأخيرة من حياته، وذلك بفضل تناوله للأعشاب،كما قيل في سيرته .

عام **1960**، عاد مرة أخرى إلى أدوار الكوميديا أمام إسماعيل يس، إلا أنه عاد لأدوار الشر بشكل مكثف في آخر حياته، ففي عام **1961**، عاد مرة أخرى إلى أدوار رئيس العصابة في فيلم "بلا عودة" إخراج ريمون نصور.. هذا المهرب أرغم فتاة بريئة طاهرة على تعاطي المخدرات، ثم اغتصبها، وهجرها،كي تتعرض لنوبات الرغبة في تعاطي المخدرات، ونحن هنا أمام فيلم تقليدي، لم يضف فيه الممثل أي أداء جديد، فقد بدا روستي كأنه اعتاد هذا النوع من الأدوار، فمن بين مطاردات وعمليات تهريب داخل سيناء ومقاومة من رجال الحدود، تدور الأحداث.

أما في فيلم "النصاب" لنيازي مصطفى، فإننا نرى الممثل يقوم بدور واحد من زعماء عصابات تقوم بمطاردة شاب نصاب، دون أن تعرف أن من تطارده هو الشقيق التوأم للشاب الذي يبحثون عنه، وقد صيغ الفيلم في إطار كوميدي، لذا بدا رئيس العصابة هنا مشذب الأظافر.

كما تكرر الأمر نفسه في فيلم "النشال" لمحمود فريد، إلا أن استيفان روستي قد اختتم حياته بفيلم صغير من الأفلام البوليسية،كان الإخراج لحسن الصيفي عام 1964بعنوان "الحقيبة السوداء"..

نحن في الفيلم، أمام اثنين من رجال العصابات، الأول حنفي رئيس العصابة الذي يسعى لسرقة البخيل حسين. أما الثاني فهو القط الذي سرق الخزانة فعلا وهرب، ونحن هنا أمام صراع عصابات تطارد بعضها للحصول على الحقيبة السوداء، فمرة تقوم عصابة بالتحفز برجال الشرطة، ومرة أخرى تتم المطاردة في القطار، وتتعدد العصابات، فهناك أيضا عصابة زرزور التي تتدخل للحصول على الحقيبة، وتنجح في ذلك قبل أن يتم القبض عليها.

بالنظر إلى استيفان روستي وأدواره السينمائية فإن عدد الشخصيات الكوميدية التي جسدها تزيد عددها بكثير عن الأفلام التي قام فيها بدور الشرير، لكن دورا واحدا في فيلم "قطار الليل" يمكن أن يمسح من الذاكرة الكثير من أدواره الكوميدية..

سراج منير

في السينما المصرية، هناك ثلاثة من الممثلين العظماء، اتسم أداؤهم، وملامحهم بالمرونة الشديدة التي ينتقلون فيها من أدوار الخير النموذجي إلى أدوار الشر، وهؤلاء الثلاثة من جيل واحد عملوا بين المسرح والسينما، كما انتقلوا بشكل حاد بين أدوار البطولة والأدوار الثانية، هؤلاء الثلاثة هم: سراج منير، وحسين رياض، وزكي رستم، وسوف نتحدث عنهم تباعا.

التكوين الجسماني الرياضي لسراج منير وثقافته ومخارج ألفاظه، والتغير الشكلي الذي طرأ عليه، أشياء أكسبته جاذبية واستمرارا، أما ذكاؤه فقد أكسبه المرونة والتجدد والتواجد الدائم منذ بدايته وحتى رحيله، وقد عمل بشكل مكثف في كافة الأدوار، فهو البطل الشعبي عنتر بن شداد، وهو الوغد، وهو الشرير والقاتل والمجرم، بالإضافة إلى أنه الأب الحنون، والرجل الرقيق، وعمل في أدوار كوميدية عديدة وهو ينتقل من أبو زيد الهلالي إلى ابن عنتر، وشمشون الجبار، ثم قراقوش، وعنتر ولبلب، ووالد السيد أحمد البدوي، ولا أعتقد أن مثل هذه الأدوار المتنوعة قد أتيحت لممثل في السينما المصرية، باستثناء فريد شوقي، لكن سراج منير كان أكثر موهبة وإقناعا، وهو لم يحاول إخفاء صلعته في أى من الأفلام، محاولةً للتجمل، وكان من الصعب على المتفرج أن يتوقع الدور الجديد

الذي سيقدمه في فيلمه القادم، فهو الضابط، ثم المجرم، الفارس، ثم الخائن، البدوي، ثم ابن المدينة، وهو الذي يقنع المشاهد في كل حالاته، بأنه "هو".

وقد جسد سراج منير دور الشرير في أفلامه بكافة أشكال هذا الشرير، ليس فقط من حيث التدرج، بداية من الوغد إلى الأفاق، والمجرم، والقاتل، بل أنه في إطار المجرم نفسه، تدرجت الصورة، وتنوعت، فحسب رأييّ، فإنه ليس هناك أكثر قسوة وشرا وعنفوانا من شخصية المالطي في "قطار الليل" التي سنتوقف عندها في حينها، حيث ارتدى الممثل ملابس الشرير كبدوي في "رابحة"، والملابس الأنيقة في "جعلوني مجرماً"، وتلك الملابس التي رأيناه بها في "قطار الليل".

إذا كانت بداية سراج منير السينمائية قد كانت في فيلم "زينب" لمحمد كريم عام **1930**، فإن المخرج قد أعطى لصديقه دورا للعاشق الريفي حسن، ومنح صديقه الثاني زكي رستم دورا للزوج المتزمت، ولم يجرؤ مخرج على منح سراج دور الشرير إلا بعد سنوات طويلة من عمله الفني، فنحن نذكر دور ابن العم الساذج الطامع في فيلم "سى عمر" عام **1941**، فهو ابن لضابط شرطة سابق، يسعى إلى الاستيلاء على ميراث الأسرة بحيله التي تعلمها من الشرطة، والابن هنا أقرب إلى الساذج، منه إلى الشرير، وهو يمشي في ركاب أبيه، إلى أن ينكشف أمر الاثنان معا، أما في فيلم "رابحة"، فإننا نرى الممثل لأول مرة تقريبا في دور الشرير،

والفيلم من إخراج نيازي مصطفى الذي سوف يمنح له فيما بعد شخصية عنترة بن شداد، التي سيمنحها أيضا بعد عقد ونصف إلى فريد شوقي.

في هذا الدور بدت أولى سمات الفتى الشرير عند سراج منير، فهو الرجل الصحراوي غليظ القلب، قوي البنيان، الذي يتحسس خنجره دوماً، الذي عليه أن يتزوج من ابنة محمد (رابحة)، وهي المغرمة بشاب من الحضر، وفي ليلة في فيلم "أمير الانتقام" إخراج بركات أيضا، عام **1950** ارتدى سراج منير شخصية مسئول الشرطة الذي يستجوب المواطن حسن الهلالي الذي تم القبض عليه ليلة زفافه بوشاية من زملاء وخصوم، وفي مقره يبدو بدران بالغ الهدوء والثقة، وهو يسأل المتهم إن كان له خصوم يوشون به، ويقدمون ضده الشكوى التي أدت به إلى السجن، وبالفعل فإنه يطلق سراحه، لكن ما أن يقرأ بدران الرسالة التي كان على حسن أن يسلمها إلى صاحبها، حتى يستبد به الغضب الشديد، فالرسالة تتعلق بأسرار حول انقلاب وشيك، مما سيعطل مشروعه في السيطرة على الحكم، وهنا يتحول مدير الداخلية الرقيق المتفاهم إلى وحش كاسر يأمر بإعادة حسن وحبسه حتى الصباح، وتبدو مخالبه قوية، حين يأمر بعد أيام أن يتم إرسال حسن الهلالي إلى سجن رهيب، يتم حبسه انفراديا، حتى يطمئن أن أمر الرسالة لن يصل أحدا.

وهذا الرجل، سوف يتحول إلى واحد من الخصوم الأربعة الذين سينتقم منهم حسن الهلالي، بعد أن هرب من سجنه الرهيب، واستطاع أن يحصل على الكتر الذي دله عليه العجوز الذي تعرف عليه في

السجن، فالشرير هنا أيضا رجل غليظ القلب، يطمع في الحصول على منصب سياسي، ويدهس أسفل قدميه من يعترض طموحه، ابتداءً من عبد الجليل شقيق الحاكم، ثم الحاكم نفسه حيث يعصى أوامره، ويطلب القبض عليه.

والكاميرا في الفيلم، صورت بدران من بعيد، يبدو قوي البنيان، مهندم الملابس، تتجسد مشاعر الغضب لديه في صوته، وقد استطاع الرجل أن يبقى في الحكم لسنوات طويلة إلى أن تمكن حسن الهلالي من الهرب، وتغيرت ملامحه، وجاء مدعيا أنه أمير كي ينتقم ممن كانوا سببا في دخوله السجن.

وقد أدى سراج منير دور الرجل الغليظ القلب أكثر من مرة، منها دور الشرطي الذي يقوم بالتحقيق مع مواطن ادعى أنه قتل زوجته "قطر الندى" في فيلم يحمل الاسم نفسه إخراج أنور وجدي، أما في فيلم "من القلب للقلب" إخراج بركات عام **1953**، فهو رب الأسرة، الذي يرفض أن يتزوج ابنه من فتاة كانت تعمل في صالات القمار، ويتعامل بغلظة وحسم شديد مع هذه المسألة، ولا يتراجع عن موقفه إلا حين يهجره أفراد الأسرة جميعا متكاتفين.

وفي هذه الفترة،كان سراج منير يجسد أيضا أدوار الرجل البالغ الطيبة، ولا يمكن أن ننسى دور ابن البلد الذي يدفع حياته في حرب فلسطين، ويترك أبناءه في رعاية أخيه الخصم اللدود له، أما دوره في فيلم "شمشمون ولبلب" إخراج سيف الدين شوكت عام **1952**، فقد بدا

الشر هنا كاريكاتوريا، حيث مزجت شخصية شمشون وعنتر بين القوة الغاشمة، وبين الغباء الواضح، وقد ارتدى سراج منير هنا الفانلة التي تكشف عن قوة عضلاته، وعن ما يتمتع به من سطوة لدى أهل الحارة.

ويهمنا في هذه الدراسة أن نقتبس ما كتبه سامي السلاموني عن الممثل في هذا الفيلم، إلا أن سراج منير كان موجودا دائما بقوة من خلال طابعه الخاص والمميز في الأداء الرصين، وربما الأهم من ذلك من خلال تكوينه الجسماني الفارع والمهيب، يوم الزفاف، تهرب رابحة من زوجها، ابن العم، ولا شك أن مثل هذا الحدث يفجر الشر، والرغبة في الانتقام لدى الزوج، الذي عليه أن يطارد عروسه، وإحضارها، وسفك دمائها، وأيضا سفك دماء من هربت من أجله، وفي هذا النوع من الأفلام، فإن السيناريو يكسب الشرير كل ما يمكن أن يجعل المشاهد يكرهه، ويتمنى السعادة للعاشقين – كما أشرنا – غليظ القلب، بالغ القسوة، شديد البنية، يجيد استخدام السلاح والمطاردات، تزداد رغبته في الانتقام حين يعلم أن عروسه قد تزوجت الشاب الذي هربت من أجله، ويصر على الإتيان بها، لكن رابحة تعود بنفسها إلى القبيلة بهدف إنقاذ زوجها من انتقام ابن العم، وتظن القبيلة أن ابنتهم قد هربت مع عشيق، وليس زوج، وعندما يأتي الزوج (بدر لاما) لإنقاذ زوجته، يجد نفسه في مواجهة شرسة مع ابن العم، وتدور بينهما مقاتلة في الصحراء، تتسم بالشراسة والتوحش، يبغى فيها ابن العم أن يثأر لعاره واستعادة شرفه، أما الزوج فإنه يبقي عليه ولا يقتله حتى لا يفسد ما بينه وبين القبيلة التي تبارك الزواج.

وكما أشرنا، فإن نيازي مصطفى الذي أسند إليه هذا الدور، هو الذي سوف يعطيه شخصية عنترة التي جسدها سراج منير في أفلام عديدة، بعضها من إخراج نيازي، والبعض من إخراج صلاح أبوسيف، وفي هذه الأفلام كلها كانت البطولة المطلقة من نصيب الممثل عريض المنكبين، المفتول العضلات، الأسود الوجه، الذي ينتصر على جيوش بأكملها.

وقد تجاهلنا الإشارة لدور ضابط الشرطة التي يؤدي واجبه الوظيفي، والذي يتعاطف في النهاية مع الشرقاوي الهارب من العدالة، فضابط الشرطة غليظ القلب لا يعرف الرحمة مع المساجين، وهو يفهم لغة التعامل مع هؤلاء المساجين، وإذا كان الممثل قد فعل ذلك بإتقان، فإننا لا يمكن أن نضعه في إطار الشرير.

أما دور الأب غليظ القلب في "هذا جناه أبي" لبركات عام **1945**، فإنه قد جسد فيه دور أب يدافع عن مستقبل ابنه سمير، وعن الخطيئة التي ارتكبها، فسراج منير هنا من رجالات العائلات الراقية، يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة، وهو أيضا رجل أعمال ناجح، يعرف أن ابنه قد أخطأ مع الفتاة الفقيرة سميحة، فيستعين بصديقه المحامي الكبير ذى المكانة الرفيعة،كي يخلصه من هذه الورطة، إنه لا يود أن يلصق اسم عائلته العريقة بهذه الفتاة التي أخطأت، نحن هنا أمام أب غليظ القلب، تجاه ما يحدث، ويتعامل بعقلانية شديدة، حين يدفع ابنه للسفر خارج البلاد، حتى ينسى فعلته وحبيبته، وهو يؤازر المحامي الذي يستخدم أقسى

العبارات واصفا الفتاة الخاطئة بأنها غاوية، وأن ماضيها غير مشرف، وفجأة يكتشف المحامى (زكي رستم) أن الفتاة سميحة، هي ابنته من خطيئة مشابهة ارتكبها مع فتاة فقيرة تركت ابنتها لأسرة متقدمة في السن، فيتغير موقف المحامي، ويسعى لدى صديقه الثري كي يتزوج ابنه من سميحة، وأن يصلح خطأه بأي ثمن.

لم نكن أمام رجل شرير، بقدر ما نحن أمام أب غليظ القلب، يستخدم كافة أدواته لإنقاذ ابنه وسمعة العائلة من فضيحة أخلاقية، لكن هذا الغليظ لن يلبث قلبه أن يرق، ويوافق أن يزوج سميحة من ابنه.

الذي فرض عليه، فيما أعتقد، شخصية خاصة للرجل الضخم أو الكبير أو المهم، وهي الشخصية التي لعبها في معظم أفلامه، فـــ شمشون ولبلب هنا أشبه بتوم وجيري، القط هنا ليس شريرا إنه قط ضخم، لكن الفأر لبلب يتمكن منه، فنحن أمام رجل قوي وعدواني، يحطم مطعم لبلب ويطرده من الحي، إلا أن لبلب يقرر مواجهة شمشون ويراهنه أنه سوف يتمكن من صفعه سبع مرات خلال سبعة أيام فقط أي بمعدل صفعة كل يوم، وفي الفيلم يتحول شمشون الضخم، القادر، إلى شخص ضخم الجسم كل ما عليه أن يحمي كرامته من أن يحقق لبلب تهديده فيختبئ منه في منزله، ويضع احتياطاته لمنع الكارثة التي تتفاقم يوما بعد يوم،فنحن هنا أمام الحيلة في مواجهة القوة الجسمانية الغاشمة، فشمشون الذي استطاع أن يطرد لبلب ويكاد يسلبه خطيبته، فإن ذكاءه يخونه في حماية نفسه، وبالفعل فإن العقل والحيلة ينتصران على القوة الغاشمة.

وفي عام 1953قدم سراج منير عدة أدوار شر، لعل أبرزها على الإطلاق دور الأب في فيلم "دهب" إخراج أنور وجدي، ثم "قطار الليل"، ففي الفيلم الأول، هو الزوج الذي يغوي خادمته، فتحمل منه سفاحا، وعندما تكتشف زوجته الحقيقة، تجبره أن يتخلص من الجنين، وأن يرسل الوليدة مع ابنة أخيه "دهب" للتخلص منها، ويبدو الزوج هنا مغلوبا على أمره، لا يعرف خط الرجعة، فهو صلد القلب مثل زوجته، ولا يعرف الندم، وبالفعل فإنه يتم التخلص من الطفلة "دهب" التي يتولى رعايتها رجل فقير يدعى وحيد ألفونسو، وبعد عدة سنوات، وفي البيت الواسع الذي صار خرابا بسبب لعب الميسر يدخل وحيد ومعه طفلة في الثامنة من العمر، وعندما تلتقي أعين الأب وابنته، يبدو مختلفا رقيقا، إلا أنه لا يلبث أن يطرد الطيبة عن نفسه، ويطرد الفتاة والرجل من المترل، نحن أمام شخص صلد المشاعر، لا يعرف الرحمة، يلعب القمار، مع زوجته، ولا ينظر قط إلى الماضي، وهو مساق إلى امرأة شديدة القسوة، لا يراجعها، حتى حين يتراجع عن موقفه، وحين يعرف الأب الحقيقة، فإنه يسعى إلى استعادة ابنته من أبيها بالتبني للاستفادة من مواهبها واستغلالها، كما أنه يبتز ألفونسو كي يعيد إليه ابنته، وقد وضع المخرج الممثل هنا في منطقة بالغة الذكاء، فهو ليس أكثر من "طويل أهبل" مثلما وصفته زوجته أمام الضابط، لا حول له ولا قوة، ينصاع دون تفكير، حتى المشهد الأخير الذي يذهب فيه مع هذه الزوجة إلى وحيد يتوسل إليه أن ينقذ الصغيرة التي تكاد أن تنتحر بعد أن حكم القاضي برد الابنة إلى الأب الحقيقي، وليس إلى من رباها طوال سنوات.

أما الدور الذي يعتبر الأهم والأفضل في عالم الشر، فهو الذي جسده في "قطار الليل"، وفي الحقيقة، فإن صياغة هذا الدور تعود إلى المخرج عز الدين ذو الفقار الذي صنع أبرز أدوار الشر في السينما المصرية، وهو هنا لم يقدم نموذجا واحدا، بل قدم رجلين متكافئين في عنفوان الشر وقوته، هما "المالطي" و"أبو العز" والفيلم يزخر برجال العصابات بأجسامهم المختلفة، وكما يقول سمير سيف في كتابه عن "أفلام الحركة في السينما المصرية" فإن العقل الإجرامي والقسوة التي تختفي خلف لسان عز بالألفاظ ينبري في شخصية أبو العز، الذي تميز بمعطفه الواسع وطربوشه الذي يعطي انطباعا بأنه من الطبقة الوسطى الموسرة، أما المالطي – سراج منير – فيبدو كأنما استوحى مباشرة من أفلام القراصنة، بوشاحه الذي يضعه حول رقبته، والسوارات الجلدية حول معصميه والغليون الغريب الذي يدخنه، وعصابة أبو العز استيفان روستي، تظهر كمجموعة منتقاة من الأنماط الإجرامية التي تتراوح بين النمر بوجهة الذي شوهه مرض الجدري، والعصابة السوداء تغطي إحدى عينيه، وأبو مشرط النشال السابق، ومنظر..

وقد قامت بين المالطي وأبو العز معركة شرسة وطويلة فوق المركب، لم يكن فيها منتصر أومنهزم بل أن كل واحد منهما انهال على خصمه يطعن فيه ويضرب، لذا طالت المعركة ولم تنته، واستكملت عند المرفأ، حيث انتهت المعركة بمقتل المالطي بهامته العالية وكاسكته، وذراعه القوية وجبروته، وذلك في واحد من أهم مشاهد العنف في السينما المصرية،حتى تاريخ صناعة هذا الفيلم.

تعطي هذه الشخصية "المالطي" مفتاح التعرف على عبقرية الأداء عند سراج منير، فهو حين يؤدي دور الرجل الطيب، فإنه يتسم بالهدوء، والتلقائية، وفي أدوار الشر، فإنه يتدرج من درجة إلى أخرى، إلا بعد أن تكون تفجرت كافة قوى الشر في داخله، فهو الخصم اللدود الدائم لأبي العز، والذي تستعين به فتاة للتخلص منه، فتكون فرصة للمواجهة الحاسمة فيما بينهما.

لعل الدور الأخير في حياة سراج منير كشرير هو "جعلوني مجرما" لعاطف سالم عام **1955**،كان سراج منير قد بلغ في هذا العام الرابعة والخمسين من العمر، فلم يكن باستطاعته عمل أدوار عنف، مثل المالطي، وقد قيل أن الدور كان مخصصا أساسا لزكي رستم، وأن سراج منير كان الممثل البديل، وقد ذكر البعض أن الدور افتقد ممثله الأصلي، بأداء سراج منير، ولكننا لا نحكم على الأشياء بمنطق "لو"، بل نحلل ما رأيناه من أفلام، فقد استطاع أن يعكس الكراهية في قلوب المشاهدين، ضد العم الذي ابتز ابن أخيه سلطان، فالسبب الأول في جعل الصغير مجرما هو عمه، وهو الذي يقف دائما وراء متاعبه ومشاكله إلى أن أصبح رجلا ناضجا، يود لو عاش حياة شريفة، فالصبي سلطان عاش معذبا شريدا، ماتت أمه أمام عينه، وأمام صديقه الشيخ حسن، الصغير أيضا، فقد تزوج أبوه من أمه زواجا عرفيا، ولم يستطع أن يثبت البنوة، ولما مات الأب ورث أخوه كل ما يملك، وعندما ذهب الصبي سلطان إلى العم، قام هذا الأخير بطرده، بل سعى إلى إدخاله الإصلاحية.

الشر الذي جسده سراج منير، لا يعرف التراجع، ولا الرحمة، ويبلغ حد التآمر للتخلص من الخصوم، خاصة مع أشخاص من دمه، وقد تكررت مواقف العم الشريرة في أكثر من موقف، فبعد أن يخرج الشاب سلطان من الإصلاحية، يعمل بائعا للبن، لكن العم القاسي يتدخل مرة أخرى ليحول مجرى حياته إلى مأساة، إذ يطلب من صاحب المحل أن يطرده، بعد أن سمعه يحادث بواب القصر المغتصب ويخبره أنه صاح بهذا القصر.

الشر هنا متكرر ومتعمد، وهي خصومة بين طرفين ليست هناك كفاءة فيما بينهما، فسلطان يتحول إلى أعمال الإجرام والسرقة والنصب والاحتيال.

أما المرة الثالثة التي يظهر فيها العم، فهي في مجال منافسة عاطفية، فالعم هو عشيق المطربة التي ينقذ سلطان أخاها من عصابة الأطفال، وتنشأ بين سلطان والمطربة قصة حب، في الوقت الذي تصد العم.

وعندما يعرف العم القاسي بسر الصد الذي أبدته نحوه المطربة، يعمل على التخلص من سلطان الذي يعترض طريقه دائما، في الوقت الذي كان المحبان يتأهبان للزواج، ويدبر العم جريمة، حيث يحدث شجارا مصطنعا بمعاونة صاحب الملهي، بين الشاب وبعض المتشردين المرتزقة، لكن الطفل الذي أنقذه سلطان من العصابة، يجمع زملاءه وتحدث معركة حامية تتدخل فيها الشرطة، ويتم القبض على بعض هؤلاء الصبية الذين يعترفون بمقر العصابة، ويقبض عليها في وكرها الجبلي الثاني، وكان بينها

سلطان الذي ذهب لإحضار الصبي الصغير إلى شقيقته التي سيتزوج منها ويحكم على سلطان بالسجن بعد أن شهد العم القاسي والمتواطئون معه بأنه قتل أحد رواد الملهي الذي حدثت به المشاجرة.

الشخصية التي جسدها سراج منير هنا، لشرير لا يعرف قطار الرجعة، عليه أن يتخلص من خصمه بأي ثمن، سواء عن طريق الوشاية، أو الشهادة الزور، أو أن يفقده ثروته، وأيضا سبل رزقه البسيطة، وهو من ناحية أخرى عاشق يود الحصول على عشيقته بأي ثمن، إذن فهو عابث متصاب يبحث عن نزواته.

والبطولة هنا مشاركة بين سلطان وعمه، وينتهي الصراع بأن يهرب سلطان من الشرطة وقد قرر أن يتخلص من عمه، سبب آلامه، بأن يقتله مع سبق الإصرار والترصد.

رغم أن سراج منير، جسد في السنوات الأربع الباقية من حياته العديد من أدوار الأب الرقيق الرائع، وكان أجملها في نظري "بنات اليوم" فإن أدوار الأب الحازم قد لاحقته في فيلم "إني راحلة" لعز الدين ذو الفقار عام 1955 فهو العم الذي لا يود أن يزوج ابنته الوحيدة من ابن أخيه ضابط الجيش، ويقف ضد الحب المتألق بين الشابين، ويزوج الفتاة من أحد الشباب العابثين، ابن إحدى الأسر الميسورة، مما يسبب التعاسة الحقيقية لابنته، والتي تضطر للهرب من حبيبها إلى منطقة نائية،كي تموت معه هناك.

وفي العام نفسه، قام سراج منير بدور العاشق المتصابي الذي يبحث عن نزواته، وهو رجل ثري من أعالي القوم في فيلمي:"عهد الهوى" لأحمد بدرخان، ثم "الجسد" لحسن الإمام، فهو في الفيلم الأول يتخذ من غانية شابة عشيقة يدفع من أجلها، ويسعى للاحتفاظ بها،ويشعر بالغيرة من الشاب الذي وقعت في هواه، وعندما تصاب بمرض عضال، فإنه يتخلى عنها، ولا يدفع لها ما توده منه للعلاج.

وفي فيلم "الجسد" جسد دورا مشابها تماما، فهو ابن العجوز المتصابي، الذي يلتقط الفتاة الفقيرة الصغيرة نعمت، ويدفع بها للعمل في أحد الملاهي الليلية، ويسعى للاحتفاظ بها، وعند أول مواجهة فإنه يتخلى عنها ويحرمها من أمواله، وهو الذي فصل والد نعمت من الشركة التي يعمل بها مديرا كما أنه الذي يتودد إلى الفتاة وتصبح عشيقته، ويصدم حين يعرف أن ابنه المحامي حسين قد وقع في حب نعمت، وأنه سوف يتزوج منها، وينجح في إفشال الزواج، وتصاب نعمت أيضا بداء الصدر مثلما حدث للفتاة في فيلم "عهد الهوى" ويحاول أن يمنع عنها المساعدات المالية، إلى أن تموت نعمت ليلة زفافها على حسين.

استطاع سراج منير بهذه الأدوار في عالم الشر والإجرام أن يثبت قدرته الفائقة على التنوع والتقمص، فكان في أحسن حالاته وهو يجسدها، مثلما جسدبقية أدواره كلها.

محمودالمليجي

(22ـ12ـ1910 ، 6ـ6ـ1983)

محمود المليجي هو الممثل صاحب أكبر رصيد من الأفلام في تاريخ السينما المصرية كلها، يبلغ عدد أفلامه التي تم حصرها **750** فيلما أي ما يساوي خُمس كل الأفلام التي أنتجتها هذه السينما على مدى عمرها الذي يتجاوز المائة عام بسنوات قليلة، ومازال الباحثون مختلفون في عددها.

والمليجي هو صاحب أهم دور في تاريخ هذه السينما، وهو صاحب أخلد لقطاتها في نفس هذا الدور، فهو محمد أبو سويلم في فيلم (الأرض) رمز كل فلاحي مصر في كل العصور، والذي يتم سحله في مشهد النهاية فوق أرضه التي تُغتصب منه فيتمسك بها وبجذور القطن المغروسة فيها وكأنه وهذه الجذور والأرض كيان واحد.

المليجي هو أول فنان مصرى يدخل مجلس الشورى عند إنشائه عام **1980**

المليجي ظل يعمل حتى آخر لحظة في حياته حيث وافته المنية أثناء شربه لفنجان من القهوة وهو ينتظر دوران الكاميرا لتصوير آخر مشاهده

في فيلم (أيوب) أمام عمر الشريف في أول عودة له للسينما المصرية بعد سنوات الهجرة الطويلة.

المليجي من مواليد حي المغربلين في 22 ديسمبر 1910 كانت أسرته فقيرة، أتهم والده بقتل طبيب في الحي أهمل في علاج شقيقة المليجي الصغرى فماتت، اختفى الطبيب بعد تهديدات والد المليجي له، التصقت به تهمة القتل حتى من زوجته، مات الأب في مستشفي للمجانين فاقدا للبصر، ودفن في مقابر الصدقة بعدما فشل الابن في تدبير تكاليف الجنازة.

بدأ المليجي حياته حالما بأن يصبح بطلا للملاكمة ولكنه فشل، فقرر احتراف الغناء، كان أستاذه في المدرسة هو الموسيقار محمد عبد الوهاب، وما أن انفتح فمه بالغناء أمامه حتى صرخ فيه الموسيقار"صوتك نشاز يا أستاذ" وطرده من الحصة، قرر المليجي احتراف عزف الكمان.. ذهب الى بديعة مصابني صاحبة أشهر كازينوهات هذا العصر أثناء الاختبار تقطعت أوتار كمانه فطردته، لم ييأس وقرر احتراف التمثيل، في مدرسته (الأبراهيمية الثانوية) زامل مصطفي وعلى أمين، فتحي رضوان، عبد الحميد يونس، يوسف حلمي، وكامل الشناوي. كان يجلس معه على نفس التختة احمد حسين زعيم حزب (مصر الفتاة) فيما بعد وقد تشارك الاثنان فيما بعد في بطولة مسرحية (جميل بثينة) 1934عام والتي قدمتها فرقة الإخوان المسلمين المسرحية من تأليف عبد الرحمن البنا شقيق حسن البنا مؤسس الجماعة .

في مدرسته الثانوية كان أستاذ التمثيل هو الفنان أحمد علام، وقد صارحه بأنه لا يصلح للتمثيل، أصيب بإحباط لم ينقذه منه سوى استبدال أحمد علام بأستاذ جديد هو فتوح نشاطي الذي آمن بموهبته حتى أنه أسند اليه بطولة مسرحية المدرسة، والتي قرر عرضها على مسرح الأزبكية– القومى الآن– وبالفعل حجز المسرح ودعا عددا من كبار الفنانين للحضور كان من بينهم فاطمة رشدي التي أعجبت به فأرسلت مدير فرقتها الأستاذ شكري راغب إليه ليتعاقد معه للعمل في فرقتها كممثل محترف بأجر أربعة جنيهات ونصف كل شهر كان ذلك عام **1929** ، كان المبلغ كافيا بالنسبة له حتى يترك المدرسة دون الحصول على التوجيهية وترك البيت أيضا عندما اعترضوا على اختياره الجديد وسكن فوق أحد أسطح بيوت شارع عماد الدين، في هذه المرحلة ظهر مع فاطمه رشدي في فيلم (الزواج) **1933**، ولكن حظه تبدل فقد غضبت صاحبة الفرقة منه وطردته ليجد نفسه بلا عمل أو مأوى، وقتها اشترك مع بشاره واكيم وفؤاد شفيق في تكوين فرقة تقدم الفواصل الكوميدية في الملاهي والكباريهات، ولكن ضآلة الدخل لم تمكنه من توفير نفقات الأكل والمأوى، فلم يجد غير العمل كملقن في فرقة (رمسيس) لصاحبها يوسف وهبى في أحد جولاتها في الدول العربية، لعب الحظ معه لعبته حين مرض أحد الممثلين فلم يجد يوسف وهبي من يقوم بالدور سوى الملقن الذي يحفظ الدور ولم يكن سوى المليجي ليتحول بعدها إلى ممثل في الفرقة.

كانت زميلته في الفرقه السيدة اليصابات خليل مجدلانى والتي كان أفراد عائلتها يسموها جورجيت أما يوسف وهبي فقد اختار لها اسمها الفني (علوية جميل) عندما انضمت إلى فرقته عام 1932 .

علويه مولودة في السنبلاوين عام 1898، تعود أصول عائلتها إلى لبنان، عندما توفيت في 15 أغسطس 1994 تمت الصلاة عليها في كنيسة الموارنة الكاثوليك بمصر الجديدة، فقد احتفظت بديانتهاولم تغير ملتها التي يعيش أغلب أفرادها في لبنان.

نتيجة موقف جدعنة من علوية عندما وضعت في كفه عشرين جنيها عندما بلغه نبأ وفاة والدته ليتمكن من دفنها وهو الذي لا يملك مليما في جيبه، قرر المليجي الزواج من المرأة التي تكبره بأكثر من اثنى عشر عاما والتي لها ثلاثة أبناء من زواج سابق ولكن الغريب في علاقة المليجي بالسيدة علوية والذي يستوقف النظر الآن ويدعونا إلى تفسيره هو سطوتها الشديدة عليه إلى درجة التسلط، وخوفه الشديد منها وكأنها تمسك عليه (ذلة)، فالرجل رغم زواجه من علوية الذي استمر أربعة وأربعين عاما وحتى وفاته عام 1983 لم يتوقف عن الوقوع في غرام الشابات الجميلات بل والزواج منهن، ولكن ما أن يصل الخبر إلى علوية حتى تصر على أن تبلغ هي بنفسها خبر الطلاق إلى الزوجة الجديدة وتحرص على تشريدها من الحياة الفنية إن أمكنها ذلك ودون أن يحرك المليجي ساكنا على الأقل لإنقاذ من أحبته ووثقت فيه.

وترصد ثناء البيسى في جريدة (الأهرام) بتاريخ 31 مارس 2007 حبيبات المليجي من الوسط الفنى وطريقة تعامل زوجته معهن "علوية القوية.. طيرت من أحضانه بالأمر السلطاني كل من سولت لها نفسها الاقتراب من نجمها الشرير، بداية من لولا صدقي في عام 1953 ملكة الإغراء في السينما المصرية ذات القوام الرشيق واللثغة المحببة، فاختنق الحب أمام عدم القدرة على الزواج علانية أو سرا تحت نفوذ الرقابة المستمرة.. وتعلق قلب شريرنا الدونجوان بزميلته درية أحمد والدة سهير رمزي في أواخر الخمسينات فقام باقتراف الخطأ الجلل، وهو لا يزن ضعف مقاومته كدونكيشوت، تزوجها في السر.. ووصل الخبر علوية القوية لتجبره على طلاقها على الفور، وقام إسماعيل ياسين صاحب الفرقة بفصل درية لإرضاء علوية.. ويقع محمود في غرام سميحة توفيق نجمة صف الإغراء بعد ميمى شكيب.. تزوجها في السر.. بلغ الخبر علوية القوية طلقتها منه، ولأن من خصال محمود قلبه الضعيف أمام فتنة بطلات فرقته عقد قرانه أمام شاكر عبد الباقى المأذون الشرعي في إمبابة على فوزية الأنصاري خريجة الحقوق وزميلة نبيله عبيد في فرقة إسماعيل ياسين، ودفع لها مهرا الف جنيها 300 مقدم و700 مؤخر، وبلغ الخبر أسماع علوية القوية فحددت إقامة البعل العزيز جنبها في البيت ورفعت سماعة تليفون الصالون تعلن فرمانها لأبو السعود الأبياري مدير الفرقة بأن محمود لن يغادر مطرحه بجوارها، وأبدا لن يخطي عتبة المسرح إلا بعد تسريح فوزية، وبالفعل قام عبد الله فرغلي بأداء دور المليجي لليلة واحدة كانت كافية للطلاق والطرد وإزالة جميع الآثار . ولأن الزمار يموت

وصباعه بيلعب، لعب محمود وعرف يلعب ويداري سره في بير عندما مكث سنوات في الخفاء متزوجا من نجمة الكوميديا الراحلة ثناء يونس التي لامست فيما بينهما شرارة الحب فاندفع متأججا في مسرح البالون مع زيارات ثناء المعجبة بأدائه الفذ في مسرحية (زباين جهنم)، وعرفت علوية القوية فخرجت ثناء من اللعبة بعدما رمت عليها الولية يمين طلاق بالثلاثة وكسرت من وراها قلة.

اشتهر بأدوار الشر حتى في الأفلام التي كان ينتجها لنفسه،كون المليجي شركة إنتاج (النجم الفضي) عام **1947** ومحلها **36** شارع شريف أمام شركة أفلام فريد شوقي، وقدم من خلالها عددا من الأفلام منها (الملاك الأبيض)، (الأرملة القاتلة)، (نحن بشر)، (سوق السلاح)، (آلو أنا القطة) وكان آخر إنتاج له عام **1974**.

انضم المليجي إلى فرقة إسماعيل ياسين في أوج مجد إسماعيل ياسين عندما كان نجم الجماهير الأول من منتصف الخمسينات وحتى منتصف الستينات من القرن الماضي وقدم المليجي للمسرح **74** مسرحيةكان آخرها (انتهى الدرس يا غبي) أمام محمد صبحي.

ظهر المليجي في حوالي **750** فيلما بداية من أدوار الكومبارس وحتى أدوار البطولة كانت البداية فيلم (الزواج) أمام فاطمة رشدي عام **1933** وكان آخرها فيلم (أيوب) عندما توفي **6** يونيو **1983** وهو ينتظر دوران الكاميرا لتصوير آخر لقطاته في الفيلم أمام عمر الشريف .

نـجمة إبراهيم

لا أعتقد أن أحدا منا يذكر دورا واحدا للممثلة نجمة إبراهيم، وهي تقوم بدور المرأة الطيبة، أو صانعة الخير، لعلها فعلت ذلك في بعض أفلامها الأولى التي لم نرها، أو حدث ذلك في مسرحياتها، لكن الصورة السائدة بالنسبة لها، هي أنها امرأة شريرة على الشاشة..

وقد ساعدت عدة عوامل الممثلة التي تتملك سلطة المرأة الشريرة الخارجة عن القانون، أولها أنها لم تكن امرأة جميلة بالمرة، أي أنها لم تكن تصلح قط للقيام بدور المرأة الرومانسية أو العاشقة، بالإضافة إلى أنها جسدت غالبا الأدوار الثانوية، وهي الأدوار التي تسند للأشرار، باعتبار أن الشخصية الرئيسية، أو الأساسية هي من الأخيار، كما أننا لم نر الشخصيات التي تجسدها الممثلة إلا في سن متقدم نسبيا، وما شابه ذلك، وقد ساعد في ذلك شعرها الأشعث، أو غير الناعم، بالإضافة إلى صوتها الأجش، والحول البارز الذي كان بارزا على عينيها في بعض الأفلام، ويضاف إلى ذلك بالطبع أنها كانت ممثلة موهوبة استطاعت أن تتقمص هذه الأدوار، فلم تتفوق عليها أي ممثلة أخرى في هذه الأدوار طوال تاريخ السينما المصرية.

وأذكر أن الناقد سعد الدين توفيق قد كتب في كتابه "تاريخ السينما المصرية" المنشور في كتاب الهلال أن نجمة إبراهيم ظلت أسيرة

شخصية ريا التي جسدتها في فيلم "ريا وسكينة" لصلاح أبوسيف، ولازمتها هذه الشخصية طوال عمرها السينمائي، والحقيقة أن هذه المقولة تلغي نصف تاريخ الممثلة التي ظهرت في سبعة عشر فيلما قبل ظهورها في "ريا وسكينة" طوال عشرين عاما كاملة، عملت فيهم في أدوار الشر التي لمعت فيها دائما.. فالممثلة، هي التي أضافت على الشخصية من موهبتها، ويمكن أن تقارن بين الدور الذي جسدته في فيلم "اليتيمتين" لحسن الإمام عام **1948**، فهناك تقارب واضح بين المرأتين، سواء في الملابس، أو في الأداء، أو في طريقة تعاملها مع الضحايا.فالمرأة هنا تتزعم مجموعة من النشالين واللصوص والشحاذين، تدفع بهم إلى الشوارع من أجل إحضار النقود، وسوف نرى أن هذه الشخصية قد تكررت بحذافيرها في أفلام أخرى أبرزها "جعلونى مجرما"، وفي "اليتيمتان"، فإن إحدى الفتاتين، الأختين بالتبني، تسقط في شباك المرأة الشريرة، هي فقدت أختها وأصابها العمى، وفي محطة السكة الحديد بالقاهرة تقع بين يدى شحاذ أعرج، وهو أيضا لص يرق لحالها، ويأخذها لدى أمه، التي تحاول أن تجعل من الفتاة شحاذة، أو سارقة، إلا أن الفتاة ترفض، مما يكشف عن الجانب الشرير للمرأة، فتسومها سوء العذاب، وفي هذه المشاهد تبدو مدى قسوة امرأة، تحاول أن تدفع بفتاة بريئة عمياء إلى الخروج عن القانون، وتبدو السمات التي تتسم بها نجمة إبراهيم في هذا المضمار، فهي زاعقة الصوت، جامدة الملامح، كما أن الكاميرا لا تقترب كثيرا من وجهها إلا لكشف مدى قسوتها، وهي لا

تعرف الرجوع عن مواقفها، كما أنها تتحكم في مصائر الآخرين، إلى أن تلقى جزاءها..

أى أن هذه الشخصية، لم تتولد في فيلم "ريا وسكينة" كما قال سعد الدين توفيق، بل سبقت ذلك التاريخ بسنوات. ويؤكد على كلامي ما كتبه يوسف السباعى عن أداء نجمة إبراهيم في فيلم "رجل لا ينام" إخراج يوسف وهبي عام **1948**، في مجلة استديو عدد ديسمبر عام **1948**، (أما نجمة إبراهيم فإني بعد أن رأيتها في هذا الفيلم، وفي فيلم "اليتيمتين" أعترف أنها ممثلة نموذجية في دور المرأة التي تفيض شرا وتغلي مراجلها بالسوء)..

وقد تكررت هذه الشخصية أيضا في فيلم "ولدي" عام **1949**، إخراج عبد الله بركات، فهي تتولى رئاسة عصابة لخطف الأولاد، وتقوم باختطاف طفل صغير من أبيه، يبتعد عنه سنوات، والمرأة هنا تتعامل أيضا بقسوة ملحوظة مع الطفل المخطوف الذي سيعود إلى أبيه بعد سنوات من الخطف.

وقد ظلت هذه الأدوار تطارد صاحبتها في أفلام أخرى مع بداية الخمسينات مثل "غرام راقصة" عام **1950** إخراج حلمي رفلة و"ضحيت غرامي" لإبراهيم عمارة، و"أنا الماضي" لعز الدين ذو الفقار، "ليلة غرام" إخراج أحمد بدرخان عام **1951**، ففي هذا الفيلم قامت بدور صغير نسبيا، هو الممرضة سميرة، التي تكره اللقيطة، وتعاملها بقسوة ملحوظة، وتدبر لها المكائد، أما فيلم "أنا الماضي" فإنها تؤدي دور الأخت

لحامد الذي تشعل في قلبه نيران الغيرة والحقد تجاه زوجته، وهو الذي قضى في السجن خمسة عشر عاما بسبب جريمة لم يرتكبها، حيث أتهم بقتل صبحي، وعندما يخرج السجين فإنه يحاول الانتقام ممن زجوا به في السجن ظلما، فإنه يجد من فعلوا ذلك قد ماتوا، ويكتشف أن سامية هي ابنة إلهام التي دبرت له الجريمة، فيتزوجها كي ينتقم منها، ويوهمها بالجنون، وتقوم أخته بمساعدته في ذلك، فهي التي تنفذ الخطة، تبدو صارمة الوجه، حادة الملامح، وهي تدبر لها المكائد كي توهم الزوجة الشابة أنها مريضة بالجنون والنسيان حتى تكاد أن تنجح في خطتها، إلا أن الزوج حامد يتغير سلوكه عقب أن عرف بحمل زوجته..

لم تتغير الأدوار التي جسدتها نجمة إبراهيم، رغم أنها تعاملت مع أكثر من مخرج، رغم تباين اتجاهات كل منهم وأهميتهم، ومع عام **1953** تجسدت هذه الأدوار بقوة، من خلال أربعة مخرجين، هم حسن الإمام في "حب في الظلام" لعاطف سالم في فيلمه الأول "الحرمان" وصلاح أبوسيف في "ريا وسكينة" وفطين عبد الوهاب في "عبيد المال" وأحمد بدرخان في "لحن حبي"، ففي فيلم "حب في الظلام" تلعب دور المرابية التي تقوم بالتعامل بالربا مع أهل الحي، وهي فقط لا تقوم بعمل مخالف للشريعة، لكنها أيضا امرأة قاسية، شديدة البخل، وتحب المال حبا جما. ومن بين الذين يترددون عليها الأم التي تعيش مع ابنها، وابن زوجها، فهذا الأخير يبدد أموال البيت لذا فإن الأم تضطر إلى رهن مصاغها لمواجهة أعباء الحياة لدى هذه المرأة، التي تعيش وحدها أسوة بامرأة أخرى في رواية "الجريمة والعقاب" لدوستويفسكي، وسوف نرى أن المرأتين قد اتسمتا

بالسمات نفسها، وستلقى المصير نفسه، وهو القتل على يدي أحد الزبائن الذين يحتاجون المال ثم سرقة المصاغ، لكن التفاصيل التي تختلف هنا، أن الأخ غير الشقيق، هو القاتل، وأن الأخ الطيب سوف يأتي في لحظة قتلها، وتشاهده فتاة تصبح شاهدة عليه.

وما يهمنا في هذا الفيلم، الدور القصير الذي لعبته نجمة إبراهيم، فهي المرابية الوحيدة عاشقة المال، لا تعرف أى تعامل إنساني، تتحرك يدها وهي تمسك المال مرتجفة لا تكاد تعرف الوجوه، بل ما لدى الناس من أموال، أو أشياء صالحة للرهن، وهي امرأة شديدة القسوة كما أنها امرأة عجوز بلا جذور تقريبا.

أما فيلم الحرمان، فإن نجمة إبراهيم تقوم بدور مشابه لما رأيناه في أفلامها الأخرى، فهي امرأة تقوم بخطف الأطفال أو اصطيادهم، لتعليمهم أصول السرقة والنشل، حيث تقابل طفلة في القطار، هاربة من أبويها، فبعد انفصال الأبوين تتسبب الصغيرة في إصابة أبيها، وتهرب إلى الإسكندرية في القطار، ثم تقع في طريق الشريرة، فتصطادها، وتبدأ في تعليمها أصول السرقة والنشل، ولأن الصغيرة ليس لها من مأوى غير هذه الشريرة، فإنها تقبل أن تعيش، وأن تتعلم لبعض الوقت، المرأة الشريرة هنا لا جديد لديها في الأداء، مثلما سبقت الإشارة عن الحديث عن فيلم "اليتيمتين" فليس هنا كجديد لدى الممثلة، ولا لدى المخرجين الذين يعملون معها.

لذا، فإن دور "ريا" في فيلم صلاح أبوسيف، هو بمثابة تكرار ملحوظ لأدوارها السابقة واللاحقة، الجلباب البلدي، والمنديل أبو أويه، وتنغيم الصوت والعين الحولاء، والجديد هنا أننا أمام امرأة قاتلة بشكل مركب، أي أنها لا تقتل عن عمد مرة واحدة، بل مرات عديدة، وهي تتفنن في ذلك، لكن ليس جديدا في صياغة المرأة نفسها، فهي ترأس عصابة، وتتحكم في مصائرهم، على رأسهم زوجها حسب الله، وزوج أختها عبد العال، وأيضا رجال آخرين منهم الأعور والشاب الذي يجلب النساء حاملات المصاغ حول معاصمهن، والمرأة المجرمة هنا، لا تعرف المراجعة ولا التوبة، والجرائم الجماعية التي ترتكبها تمثل تشكيل عصابة بالغة الخطورة، وهناك جمل تركت أثرها في ذهن المتفرج مثل "قطيعة ماحدش بياكلها بالساهل" كما أن ريا تشير إلى الرجال العمالقة الأقوياء البدن، إن الرجولة لم يعد لها وجود، وأنها هي صاحبة القرار والقوة: "الرجالة اللى زيكو لازم". فالمرأة هنا ذكية، بالغة الخطورة وقوية، يمكنها أن تتشاجر مع الرجال، وتضربهم وتعاركهم، وتبدو قوتها، حين يتم القبض عليها، فلا ترتسم أى ملامح ندم على وجهها، بل هي تدفع بيد الضابط بعنف ملحوظ، تعبيرا عما تتسم به من قوة داخلية.

وقد تكررت هذه الشخصية بالملامح نفسها في فيلم "إسماعيل يس يقابل ريا وسكينة" ورغم أننا في فيلم كوميدي، كان يمكن أن تأخذ الشخصية سمة الاحتمال، لكن نجمة إبراهيم جسدت الشخصية داخل بيت ريا وسكينة، أو المواقف مثل القطن المبلل المخدر الذي يبتلعه إسماعيل، وأيضا مثل أكواب المخدر الموضوعة في صينية، التي تدور

بسرعة، وعندما تتوقف فإن حسب الله وزوجته ريا يقعان في حيرة أمام الأكواب التي يوجد المخدر داخل واحد منها..

لعل عاطف سالم، هو الوحيد الذي كرر الاستعانة بالممثلة في مثل هذا النوع من الأدوار في فيلمه الرائع "جعلوني مجرما" عام **1954**، فالمرأة هنا تدير عصابة لتسريح الأطفال لممارسة أعمال السرقة والشحاذة، وهي امرأة بالغة القوة والقسوة، أشد من الرجال، ومصلحتها في لمّ النقود بطريق غير شرعي هي الأهم، والأكثر تركيزا بالنسبة لها، إنها امرأة تقود الرجال، لكنها لا تستطيع السيطرة على سلطان، الذي يواجهها من وقت لآخر، إنها تقيم في الأقبية، وتعرف متى تتصرف، وكيف تسلك بما يحميها، هي امرأة قوية مقطوعة الجذور، تمارس هذا العمل، ليس لها زوج ولا أسرة، وهي صورة مكررة من كافة النساء التي جسدتها نجمة إبراهيم..

وفي فيلم "رنة الخلخال" لمحمود ذو الفقار عام **1955**، فإن نجمة إبراهيم جسدت مجددا دور المرأة الخارجة عن القانون بشكل مختلف، فهي القابلة أم بدوي التي تشارك زوجة الأب، ذلك العجوز الذي تزوج من شابة صغيرة ملتهبة الجسد، جريمة تدبير رضيع. فزوجة الابن فضيلة حين تضع مولودها على يدي القابلة التي تستبدله بمولود آخر ميت، وتخبرها أن ابنها قد مات، وتعطي هذا الابن إلى لواحظ زوجة الأب، وتعلن وفاة ابن فضيلة، وهذه القابلة لها نفس ملامح نجمة إبراهيم من قسوة وعدم رجوع عن ممارسة الجريمة، ففيما بعد يحدث اختلاف بين

لواحظ وأم بدوي التي تبدأ في ابتزازها وتهديدها، مما يدفعها إلى إلقائها من السور المتهالك لتسقط فوق أرض الفرن صريعة، وقبل أن تموت القابلة فإنها تعترف بما فعلته مع لواحظ، وأنها استولت على المولود، الذي هو ابن فضيلة.

المصير الذي يلحق بالمرأة هنا هو أيضا الموت، مثلما شنقت ريا من قبل، لكن في أفلام أخرى فإن نجمة إبراهيم لم تكن القاتلة، أو الخارجة عن القانون، بل هي فقط المرأة القاسية، التي لا تعرف المشاعر العاطفية أو الحنو، بل هي شديدة القسوة في معاملة بنات الملجأ في فيلم "4 بنات وضابط" لأنور وجدي عام 1954، ففي هذا الفيلم هي امرأة تعمل في إصلاحية للبنات، تتعامل بقسوة مع البنات، تفرض عليهن نوعا معينا من الأطعمة "العدس" وهي تبدو بالغة القسوة تجاه الضابط الذي يتعامل مع البنات بإنسانية ملحوظة، خاصة نعيمة، وتتسبب في فصل الضابط من وظيفته بسبب هروب نعيمة، ورغم أن الفيلم صور المرأة بالغة القسوة أفاق ما كانت تفعله هذه الشخصية، هو من صميم العمل، بدليل أن نعيمة هربت وأنها لم تكن تطيق الحياة في الملجأ. لكن أداء نجمة إبراهيم ساعد في زيادة الحدة التي اتسمت بها ضابطة الأمن للبنات، فهناك مشهد تتسرب فيه نعيمة إلى غرفة الضابط وتتسلل المرأة في دروب الملجأ كي تدخل إلى غرفة الضابط حيث تختفي نعيمة، في واحد من المشاهد المثيرة للتوتر..

وعلى كل، فرغم أن المرأة تؤدي وظيفتها التي تتطلب منها الحزم، فإن الفيلم أكسبها قسوة ملحوظة، فهي زاعقة الصوت، جامدة المشاعرة متحجرة الكلمات، وكأنها تقف قبالة مشاعر حب تتولد ببطء بين الضابط وبين النزيلة. ولعل هذا واحد من السمات الخاصة بالسينما المصرية في تلك الفترة، فالشرير لا سبيل إلى التعاطف معه، خاصة أن نجمة إبراهيم كانت في تلك الفترة قد جسدت شخصية "ريا" مرتين..

لم تعرف السينما أى استثناء لأدوار نجمة إبراهيم في تلك الفترة، مثل "رقصة الوداع" لعز الدين ذو الفقار عام **1954**، والغريب أن السينما لم تكن تتعامل كثيرا مع الممثلة حيث عادت عام **1957** للعمل في فيلمين، كان أحدهما وهو "الجريمة والعقاب" لإبراهيم عمارة أقرب إلى فيلم "حب في الظلام" السابق الحديث عنه، فالفيلم مأخوذ صراحة عن رواية "دستويفسكي"، والمرأة المرابية هنا عجوز، تتلطخ بالأسود، تعيش وحيدة، في شقتها المتوسطة الاتساع في حي شعبي، تبدو حذرة في تعاملها مع الآخرين، تفتح زجاج بابها في حذر شديد، فهي تعيش في رعب ملحوظ، حتى إن دخل العميل الذي هو غالبا في حاجة إلى أموالها، بدت أمامه قوية بما لديهامن ثروة ومن سلطة، فتسخر منه، وتحاول إذلاله..

والمرابية أم هلال هنا، تلقى حتفها على يدي أحمد الشاب الذيي حاول تدبير المال بأي شكل من أجل إعطائه إلى جارته سامية، ويقوم بزيارة المرابية أكثر من مرة لإعطائها ما يحاول أن يرهنه لديها، أو أن

يسترده منها، وهو يدفع بآلة نحاسية حادة للغايةكي يقتلها، ويتخلص منها..

إذن، فقد أدت نجمة إبراهيم الدور نفسه مرتين، رغم اختلاف الموضوعين والمخرجين، مما يعني أن المخرجين قد قاموا بحبسها في أدوار معينة دون غيرها. وساعدها ذلك على نمطية التمثيل، فالمرأة، من جديد، جامدة الملامح، حادة المشاعر متحجرة الأحاسيس، وتلقى مصيرا قد لا يتناسب مع ما ترتكبه من جرائم مشروعة، أو غير مشروعة.

وفي العام نفسه، استعان بها حسن الإمام مجددا في فيلم "لن أبكي أبدا"، حيث تقوم بدور امرأة تنتمي إلى عائلة أبو طاقية تناصب الباشا العداء، وهو الرجل بالغ القسوة، نحن هنا أمام طرفين كل منهما له قسوته الخاصة، وعداؤه الشديد للآخر، فعائلة أبو طاقية تفقد عميدها الذي مات حزنا على أرضه، فامتلأت النفوس حقدا. وتقوم نجمة إبراهيم أم الميت بتأليب أهل أسرتها ضد الباشا، وتحاول الاستيلاء على الأرض، إنها تحمل السلاح، وتقود الرجال، ولها هدف محدد، هو السيطرة على الأرض الضائعة، فقامت بشن حربها الخاصة ضد الباشا، فتحرق له مزروعاته، وتقتل له مواشيه، مما يدفع المزارعون في أرض الباشا إلى أن يهجروها وهم الذين لا يجنون سوى المتاعب، خصوصا أن الباشا لم يقدر ظروفهم. وإنما كان يقسو عليهم ويطالبهم بالإيجار.

وقد ساعد العناد، إلى زيادة حدة المواجهة بين عائلة أبو طاقية، وعميدها، وبين الباشا، وتستمر هذه المواجهة سنوات طويلة، خاصة بعد

أن ينجح المهندس الزراعى في إعادة الحياة إلى الأرض الزراعية، وتحضيرها مرة أخرى فتجد المرأة الفرصة المتاحة أن تعود لإحراق المزرعة مجددا إلا أن المواجهة تشتد هذه المرة، ويتم القبض على الفاعلين، وتموت عميدة العائلة.. فيما يشبه مصير المرأة التي جسدتها نجمة إبراهيم في أفلام سابقة.

الغريب، أن نجمة إبراهيم في أفلامها القليلة الباقية، تختلف عن دور المرأة الشعبية أو الريفية وارتدت ملابس المرأة الميسورة، ابنة الطبقة الاجتماعية الراقية، لم تكن سيدة عصابات، أو امرأة خارجة عن القانون، فالسينما كانت تحترم مثل هذه الطبقة احتراما ملحوظا، وترى أن أبناءها لا يخرجون عن الناموس الطبيعى، وأن الشر قد يتمثل فقط في القسوة، وأغلب هذه القسوة بهدف إبقاء هذه الطبقة نقية، على الطريقة الآرية، وأنهم يفعلون ذلك حفاظا على طبقتهم الاجتماعية، وثقافتهم من الاقتراب بأبناء الفقراء، مثلما رأينا في أغلب هذه الأفلام الباقية، فهي في فيلم "المرأة المجهولة" لمحمود ذو الفقار تقوم بدور أمينة هانم، أم الطبيب أحمد، الذي تزوج من البائعة البسيطة فاطمة، وهي ضد هذه العلاقة، حتى إذا مست الشبهات الزوجة، فإن حماتها تطردها شر طردة من المنزل، ولا تستجيب المرأة إلى توسلات زوجة ابنها، خاصة أنه تم القبض على فاطمة في بيت مشبوه، دون أني كون لها أى جرم في ذلك، فقد ذهبت لزيارة صديقتها سعاد دون أن تتصور أن مأساة تنتظرها..

أمينة هانم هنا، كانت تحافظ على سمعة الطبقة الاجتماعية التي تنتمى إليها، وحاولت المحافظة عليها، باعتبار أن فاطمة، ابنة الفقراء، قد ارتكبت جرما، حتى وأن ذلك لم يكن حقيقيا، وقد تكررت الشخصية نفسها في فيلم آخر هو "أقوى من الحياة" لمحمد كامل حسن المحامى عام 1960. فهي امرأة من طبقة راقية تسكن فيلا بالغة الاتساع والفخامة مع ابنتها المطلقة، والتي تتزوج من موظف صغير فقير لا ترضى عنه، هذا الموظف يحب ابنه من زوجته بجنون، وهو طفل مشاكس، كثير الحركة والمتاعب والمشاغبات، ويعطي السيناريو الإيحاء أن هذه المرأة تود التخلص من زوج ابنتها بأى ثمن. أما الزوج، فإنه يزداد إحساسا بالغيرة، ويدبر خطة لقتل ابنة زوجته. إلا أن ابنه هو الذي يتناول السم فيموت، ويدبر الاتهام إلى زوجته، ويتعمد إهانة حماته، وطردها من الفيلا التي تملكها.

جددت الممثلة هذه الشخصية مجددا في فيلم "الليالي الدافئة" إخراج حسن رمزي عام 1962، فهي نبيلة هانم، التي تسكن قصرا فخما مع أسرتها الصغيرة، هي أم للطبيب الجراح المشهور أحمد رأفت، وللفتاة سعاد التي تحب طبيب شاب من أصول فقيرة، وهذه الأم تقف بالمرصاد أمام زواج ابنها من ليلى مطربة مشهورة، لمجرد أنها مطربة، مما يعني أن هذا لا يتناسب مع تقاليد العائلة لذا فإن الابن يخفي زواجه اجتماعيا، وتقف الأم صلبة أمام هذه العلاقة، لدرجة أن تنتزع الابنة هدى من أحضان أمها، بعد أن تكبر، وهي تبدو بالغة القسوة والجفاء، تهدف في ذلك إلى الحفاظ على التقاليد الاجتماعية، وعلى أسرتها من أن

يدخلها الوضعاء، كما ترى، ويساعدها في ذلك ابنها الطبيب الذي لا يرمش له جفن واحد بشأن الحفاظ على أسرته، حتى وإن كان عاشقا، وقد ظلت العلاقات شديدة التوتر، إلى أن هربت هدى الصغيرة من الدار، وتتعرض لحادث تجعل القلب يرق، والمشاعر تختلف، وتوافق نبيلة هانم أن يدخل الفقراء إلى عالمها الأرستقراطي في مصاهرة.

الدور الوحيد المختلف في هذه الفترة، هو دور الخادمة مبروكة في فيلم "هذا الرجل أحبه" إخراج حسين حلمي المهندس، فهي المرأة الريفية الطيبة، غالبا، التي تستقبل صابرين في الطبيعة التي تعمل بها، وتشرح لها ما يحدث في المكان، هذه المرأة ترتدي الملابس السوداء، مما يعطي الإيحاء أنها وراء الأحداث الغامضة التي تدور في المترل، وعلى كل فقد كان الدور صغيرا، مما يوحي أن نجمة إبراهيم كانت تودع السينما.

وبالفعل فإنها ودعت السينما تمام عام **1966** في قصة "سارق عمته" إخراج كمال الشيخ من بين قصص فيلم "**3** لصوص" فهي هنا العمة العانس توحيدة التي تعيش مع أختها شريفة العانس أيضا، ويعيش معهما حسن، ابن أخيهما، الذي يود أن يتزوج، وأن يعيش مع عمتيه، إلا أنهما ترفضان الفكرة، خوفا أن يستولي حسن على الشقة التي تسكنا بها. تموت العجوز توحيدة، ثم تصحو مرة أخرى وتوصي حسن أن يأخذ مفتاح الخزانة، ويحصل منها على ما يشاء من أموال.. يفكر حسن في التخلص من العمة، لكن الشرطة تقبض عليه بتهمة سرقة الخزانة، يعرف

حسن أن العمة توحيدة فعلت ذلك حتى لا يسكن معها في الشقة، فيستولي عليها..

إذن، فقد ظلت أدوار الشر ملازمة للممثلة طوال حياتها التي استمرت بين عامي 1915 إلى 1976، والتي ذكر الكثير من رفاقها أنها كانت تتمتع بخفة الظل، تتناقض تماما مع كل ما شاهدناه لها من شخصيات سينمائية – سامحها الله.

حسين رياض

نعم، لعب حسين رياض الكثير من أدوار الشر بدرجات مختلفة، وسط هذا النهر المتدفق من الشخصيات الطيبة، التي استطاع أن ينوع فيها، مما يمكن أن نضعه على رأس قائمة الممثلين أصحاب الألف وجه على الشاشة .

ويرجع هذا في المقام الأول، إلى موهبة الممثل وإلى ذكائه، حيث لم يشأ أن يحبس نفسه في إطار الدور الواحد، وقد ساعده على ذلك أيضا تكوينه الجسماني، وملامحه المرنة التي دخل من خلالها إلى كل هذه الشخصيات التي جسدها بسهولة، واستطاع أن يقنعنا أنه الأب الحنون في عشرات الأفلام، الجد اللطيف في أعمال أخرى، وأيضا الشرير في أفلامه التي سنتوقف عندها.

الشر الذي لعبه حسين رياض، هو في أغلب الأحيان أرستقراطي الارتكاب والنزعة، إلا قليلا، فهو يرتبط برجل من علية المجتمع، يبحث عن نزواته، وهو شر مرتبط بالديكتاتورية، في المقام الأول، أو بالمناصب السياسية العليا، وأغلبه ليس شرا مرتبطا بالمؤامرة، أو الجريمة والقتل، بقدر ما هو مرتبط بالسلطة.

وقد تمثل ذلك في تجربتين متشابهتين، في بداية حياته الفنية، ثم في نهايتها، في فيلم "لاشين" لفريتز كرامب عام **1938**، ثم "المماليك"

لعاطف سالم 1965 ففي الفيلمين، جسد الفنان دور الحاكم في عصر المماليك تقريبا، المستبد، الطاغية، الذي لا يعرف العدل، تسوقه نزواته، ويتخلص من معارضيه عن طريق السحل، والقتل، ويحب النساء .

والفارق بين الدورين، أن الحاكم أو الأمير في الفيلم الأول قد ظهر سينمائيا في عهد الملكية، حين كان الملك فاروق في سن الثامنة عشر من العمر، وقد اعتلى العرش قبل عامين فقط. وقد ظهر السلطان في الفيلم رجلا عجوزا يعشق النساء، يحتفظ في قصره بعشرات البنات الجميلات، هو رجل شهواني، المهم لديه هو الحصول على المزيد من الحريم، ومحاولة جذب اهتمام الفتاة "كليمة" إليه .

هذا الحاكم، لا يكاد يحس بشعبه، الزاحف نحو القصر، تحت قيادة يوسف الذي يردد: "السلطان مش ح يخلصه أننا نموت. والمدينة، فيها الميه" هذا السلطان يستمع إلى رأي كل الأطراف، وهو يأمر لاشين قائد جيشه الشاب بتهدئة شعبه، وأن يقوم الوزير كنجر بإخراج الطعام إلى الناس، وإرسال الحمام الزاجل إلى الأقاليم لإرسال ما لديهم من مؤونة زائدة.

وحاشية الملك لا تسعى إلى التمرد عليه، بل أنها تحاول أن تبعد لاشين عن السلطان، أو تقليل مساحة المودة بينهما، فتتم المؤامرة بإيهام السلطان أن هناك قصة حب بين لاشين وكليمة .

أما في الفيلم الثاني "المماليك" فإن إنتاجه تم في عهد الثورة، وكان من الواجب كشف الأمير الظالم الذي تجب الثورة ضده، والحاكم هنا، المفروض أنه المملوك الأكبر، هو الأمير شركس، ظالم، بالغ القسوة، يتعامل مع وزرائه كأنهم العبيد، إلا أن الوزير جعفر هو الشخص الذي يبدو قويا، وهو المتمرد السري، ينتظر الفرصة للانقضاض عليه، وهو يعد رجاله من أجل يوم الثورة .

والأمير شركس هنا رجل قوي، لديه حس ضد المؤامرة، كما أنه يفرض المزيد من الضرائب على الناس، والأمير هنا أيضا عاشق للنساء، لكن بدرجة أقل من سابقه، فحين يأتي له رجاله بالفتاة قمر، خطيبة الحداد أحمد، فإنه يضعها بين حريمه، وفيما بعد فإن أحمد يدفع لحبيبته بخاتم مملوء بالسم القاتل كي تضع منه في شراب الأمير شركس حين يحاول التقرب منها ومغازلتها، إلا أن المحاولة تبوء بالفشل.

واللهو عند الأمير، أحيانا، يتمثل في وضع تفاحة فوق رأس شخص، كي يقوم أحمد بإطلاق السهم نحو التفاحة.

وبالنظر إلى الأفلام الأولى في حياة حسين رياض، المولود عام **1900**، سوف نجد أن أدوار الشر تكاد تكون مختفية، وهو الذي لم يعمل كثيرا في السينما طوال خمسة عشر عاما، ابتداء من عام **1931** حيث ظهر في أحد عشر فيلما، كان في بعضها الطبيب العاشق، والزوج الذي تخونه امرأته، وفي عام **1946** مثل دور رجل القانون في "النائب العام" وليس أمامنا دور رجل شرير حقيقي حتى عام **1955**، حيث مثل

دور أحد رجال السياسة المرموقين، فيما قبل الثورة في فيلم "الله معنا" لأحمد بدرخان، فهو زكور باشا رجل السراي الذي يسعى لإمساك كافة الخطوط في يده، فحين يلجأ الضباط الأحرار إلى زعيم المعارضة، يطالبون بالتحقيق لتحديد المسئولية عن هزيمة فلسطين عام **1948**، ومعاقبة الخونة، فإن زكور باشا يتصل بزعيم المعارضة، ويلوح له بأحد المناصب في الوزارة الجديدة، فما يلبث زعيم المعارضة أن يتخلى عن القضية، ويتحلل من وعده للضباط. ويتبين أن الملك نفسه يحمي الفساد .

إنه شر من نوع خاص صاحبه يحيك المؤامرات، ويقف ضد قوى التحرر، وهذا يعني أن أدوار الشر التي أسندت إلى حسين رياض كانت ذات طبيعة خاصة، ففي فيلم "صراع في الميناء" لم يكن شريرا بالمعنى المألوف لكنه الرجل السيادي في الميناء، الذي يمتلك كلمته، وله مكانته وسط رجال الميناء، وهو الأمر الناهي، الذي ينجح في تأليب العمال لصالحه، ويدفع برجاله وسط العماليين، والعمال كي يسيطر عليهم، وهو الذي أنجبت منه امرأة فقيرة ابنا دون أن يعترف به، هذا الابن رجب حين يعود إلى الميناء، فإن الأب يقف ضده في البداية، وعندما يعرف أن ابنه الشرعي ينافس أخاه على حب إحدى فتيات الميناء، فإنه يعلن اعترافه السري ببنوة رجب، إلا أن هذا الأخير لا يستجيب بسهولة إلى الإغراء بالاعتراف به .

نحن أمام رجل مشى ضد ناموس الطبيعة لفترة، ثم لا يلبث أن يتظاهر بالاعتراف ببنوة ابنه غير الشرعي ويدفعه ذلك بالتالي إلى أن يسير في الطريق المستقيم .

وقد تجسدت أدوار شر أخرى بالنسبة لحسين رياض في أنه الرجل الذي تجاوز الخمسين، الذي يسعى إلى إشباع نزواته، مع بنات ليل عاهرات ساقطات، بداية من فيلم "حياة غانية" إخراج حسام الدين مصطفى عام 1957، فهو هنا سعيد بك، الرجل الثري الذي يجزل العطاء لكل امرأة جديدة وافدة على الكباريه الذي يرتاده، وهو يحسن استقبال بنت الليل الجديدة حورية (برلنتي عبد الحميد) فيغدق عليها بالمال، ويشتري لها الشقة الأنيقة والملابس الغالية والفراء الثمين وترتمي حورية بين أحضان سعيد بك، مما يرفع بأسهم حورية في الملهى الذي تعمل به .

والغريب أن أدوار الشر من هذه النوعية، قد تكررت بعد ذلك في أكثر من فيلم، فبعد فترة من العلاقة الآثمة مع هذه العاهرة، وعندما تصاب بمرض، مثلا، فإنه لا يلبث أن يلفظها كي يحصل على امرأة أخرى، فقد أدى حسين رياض الشخصية نفسها في أفلام أخرى، منها أفلام "قطاع طريق" لحسن الصيفي عام 1959، ثم "لا تذكريني" لمحمود ذو الفقار عام 1961، و"تحت سماء المدينة" لحسين حلمي المهندس في العام نفسه، كما جسده أيضا في فيلم "شفيقة القبطية" لحسن الإمام عام 1963.

ففي "قاطع طريق" فإنه رجل عجوز متزوج من امرأة صارت مريضة، لكنه يتردد على المطربة بدافع البحث عن البهجة، وفي البيت يقوم رجل العصابات أبو العز، باتخاذ من في البيت رهائن، حتى يقوم خصمه وحيد بدفع بعضا مما لديه من المال، ويجد الرجل العجوز هنا نفسه في محنة، فأبو العز يعرف سره، ويطلب من زوجته الثرية، فدية كبيرة، ولن يلبث أمره أن يفتضح.

وفي فيلم "حياتي هي الثمن" لحسن الإمام عام 1961، هو أيضاً ثري يلتقي بامرأة شابة لا تلبث أن تلهب مشاعره، لكنه يحس أن زوجها عقبة في طريقة اتصاله بها، لا تبدو المرأة سهلة الإغواء، يقرر الثري إقامة شقة للزوج كي ينشغل عن عشيقته، ثم يقوم بإرساله في بعثة علمية إلى الخارج، ومن هنا، فإن الثري العجوز يسعى إلى التقرب من المرأة، وعندما تصده يقرر أن يفضحها، فيكتب وصية بمبلغ كبير باسم ابن المرأة من زوجها الطبيب، ويدعي الثري في الوصية أنه ابنه من علاقة غير شرعية مع الزوجة. وبالفعل فإن الزوج عندما يسمع بهذه الأخبار، فإنه يطلقها، من ناحية أخرى، فإن امرأة هذا العجوز الثري، تتقدم إلى المحكمة، ولديها ما يؤكد أن زوجها غير قادر على الإنجاب، مما يبريء ساحة الزوجة.

وحسين رياض، هو أيضا الثري العجوز في فيلم "لا تذكريني"، وهو هنا صاحب منصب مرموق وزير يتخذ من امرأة تواقة إلى الثراء عشيقة، هذه المرأة (شادية)، كانت كثيرة المطالب من زوجها الطبيب

الذي أنجبت له ابنة وتركت له البيت، باحثة عن طموح مادي ليس لـــه حدود، تجده عند هذا الوزير الذي يحبها بجنون، ويدبر لها المال، والحياة الرغدة، إلا أنها تدمن المخدرات وتتوحش، مما يدفع بالوزير إلى أن يطردها من المنزل، فتصير امرأة فقيرة.

وعندما تكبر الابنة وتصير صحفية، فإنها تفضح علاقة الوزير بهذه المرأة، دون أن تعرف أنها أمها، وتنجح بالفعل في أن تقيله من منصبه.

وفي فيلم "تحت سماء المدينة" يجسد حسين رياض دور رجل أعمال، وصديق لمحامي شاب، هو زوج سعاد التي تتمرد على زوجها، وتسعى إلى الصعود الاجتماعي، مثلما حدث في الفيلم الأسبق، وعندما ترى الزوجة (إيمان) الفارق الاجتماعي بين زوجها المحامي وبين الثري فإنها ترتمي بين أحضانه، وتنفصل عن زوجها، الرجل الثري هنا، حسين، لا يتورع أن يغوي زوجة محاميه وصديقه الشابة، وهي صاحبة استعداد لأن تقع في الغواية.

وفي فيلم "شفيقة القبطية" الذي يدور في إطار تاريخي في أول القرن العشرين، فإن حسين رياض يقوم بدور أسعد باشا، رئيس الوزراء، الذي صار عشيقا للراقصة والغانية شفيقة القبطية، إنه هنا أيضا رجل متقدم في السن، يعتلي منصبا سياسيا مرموقا، صاحب كلمة، ويبحث عن نزواته ونزقه، وهو يتخذ من شفيقة عشيقة، ويفاجيء أسعد باشا هذا أن شابا متوسط الحال هو عزيز يتقدم لخطبة ابنته سعاد، فيطرده شر طردة،

في حضور شفيقة، وهي أمه التي تعرفه، دون أن يعرفها، والتي اضطرت أن تتركه في حضانة جدته، بعد أن قررت أن تمشي في طريق الغي..

وتتعمد شفيقة القبطية أن ترد الصاع لعشيقها رئيس الوزراء، بأن تهينه أمام زوجته، وهنا يتحول أسعد باشا إلى رجل شرس لا يعرف الرحمة، فيأمر بالقبض على الشاب عزيز ويزج به في السجن، وهو البريء، ثم يطرد شفيقة من العالم الثري الذي أتاحه لها، ويحولها إلى بقايا امرأة، ويتخذ من خادمتها عشيقة جديدة له.

إذن، فحسين رياض يجدد أدوار الشر هنا من خلال السياسي المرموق، صاحب النزوات، والذي لا يعرف الهزيمة قط، فهو عند أول اختلاف مع عشيقته، ينزل بها عقابا دون رجعة، وسرعان ما يغيرها إلى امرأة أخرى حتى وإن كانت خادمته .

وفي إطار الفيلم التاريخي، وأيضا ضمن المغالطات، فإن حلمي رفلة قد أسند إلى حسين رياض دور الخديوي إسماعيل، دون أن يشير إليه صراحة في فيلم "ألمظ وعبده الحامولي" عام **1962**، فأعلى رأس في الدولة هنا، هو أيضا رجل نزق يحب النساء طاغية، لا يعرف التفاهم، يعجب بالمطربة المبتدئة ألمظ، ويريدها أن تكون له وحده، فيأمر بالتحفظ عليها في قصره، وبالفعل فإن ألمظ تقبل أن تمنحه صوتها دون جسدها، وهو رجل يستخدم التهديد والوعيد واللين والرقة بهدف استمالة المطربة التي ترفضه.

إنها الشخصية نفسها، والحوادث متقاربة، التي سبق أن رأيناها في كل من "لاشين" و"المماليك" فالحاكم في الأفلام الثلاثة، لا يرعى مصالح شعبه، وسط انغماسه في ملذاته الحسية، ونحن هنا لا نود أن نحاكم رؤية السينما للتاريخ، وأن نقول أنه لم يعرف عن الخديوي إسماعيل غوايته لألمظ، ولا عشقه الشره للنساء، لكننا نتوقف هنا عند أداء الممثل حسين رياض لأدوار الشر، فقد وضعه المخرجون في هذا الإطار المحدد، سواء من حيث الشكل أو الأداء أو التصرف، فالحاكم في هذه الأفلام الثلاثة متشابه في الشكل والزي والسلوك، والخديو إسماعيل في الفيلم يوافق بإيعاز من رجال حاشيته، أن يترك ألمظ تتزوج من عبده الحامولي، وذلك أسوة بما أوحى به الوزير في فيلم "لاشين" أن يرسل الجارية كليمة إلى حريم قائد الجيش لاشين، ويظن الخديو إسماعيل أن المغني عبده الحامولي إذا تزوج من ألمظ فإنه لن يضن بها على سيده الخديوي، وأنه سوف يمنحها إياه حين يطلب .

والخديو هنا، لا يعرف من الدنيا سوى أن ينال من ألمظ، وحين تأتي المرأة بأمر من الحاكم الظالم اللاهي، فإنها تقرأ القرآن الكريم بدلا من أن تغني، مما يغضب الخديو ..

ومصير هذا الحاكم الظالم في الأفلام الثلاثة متشابه، فإذا كنا نعرف أن فيلم لاشين قد تغيرت نهايته حسب أوامر الرقابة في عام **1938**، فإن نهاية السلطان في المماليك، قد جاءت على أيدي الثوار،

وجاءت نهاية الخديوي أيضا على أيدي الثوار الذين تزعمهم عبده الحامولي، وهي مغالطات تاريخية ليس مجالنا هنا أن نفندها..

في عام 1960 اشترك حسين رياض في التمثيل في أحد عشر فيلما، قام فيها بدور الشرير، أو الوغد، أو المجرم في ثلاثة أفلام، هي: "رجال في العاصفة" لحسام الدين مصطفى، و"البنات والصيف" لصلاح أبو سيف، ثم "بهية".

وفي "البنات والصيف" القصة الثانية، كان الدور مختلفا عما سبق أن أداه حسين رياض، فهو الرجل الذي تجاوز منتصف العمر، بدين، متزوج من امرأة فقدت جاذبيتها، يبدو ذلك وهو يرقب مؤخرتها حين تمشي إلى جوار الخادمة على كورنيش الإسكندرية، هذا الرجل محمد أفندي، موظف بسيط، من الذين يدبرون القروش كي تتمكن أسرته الذهاب إلى المصيف أثناء الشهور الحارة، وتتكون أسرته من زوجته البدينة (فردوس محمد)، وصغيرين، لم يقتربا من العاشرة بعد، دون أن تكون هناك أضواء على مسيرته الحياتية أو الزوجية، فنحن أمام فيلم روائي قصير، لا يحتاج إلى المزيد من التفاصيل، ومحمد أفندي هذا ليس شريرا ولا مجرما، بقدر ما هو وغد شهواني محروم من أرداف مثل التي تملكها الخادمة الصغيرة فتحية، وهو يتعامل بقسوة مع أسرته، وأيضا مع الخادمة، وعندما ينتبه إلى جمال فتحية، فإنه لا يتورع أن يستيقظ ليشرب أثناء الليل، فيفتح باب المطبخ، ليتأملها وهي نصف عارية، فيشعر بالإثارة، ثم لا يلبث أن يغلق الباب، وهو لا يستطيع أن يلمس الفتاة

بيديه، دون أي سبب ملموس، فهل هذا بدافع الخوف من الزوجة، أو أن تصده الفتاة التي لم تحس قط برغباته، ولا بنواياه الشريرة، وتعتلج المشاعر داخل الرجل، فيقرر أن يبعد الفتاة عن المنزل، بأن يوجه لها تهمة سرقة ساعته الأثرية القديمة (كتينة)، ويتهمها أنها أعطت الساعة لحارس الشاطيء الذي تذهب لمقابلته، وهو يتعامل معها بقسوة شديدة، فيضربها كي تعترف، ثم يذهب بالفعل إلى قسم الشرطة، ويبلغ أن خادمته قد سرقت الساعة الأثرية. وبالفعل، فإنه يتم القبض على فتحية، وتودع الحبس، وتمر الأوقات عصيبة على الرجل، الذي يراجع نفسه، قبل موعد انتهاء المصيف، ويذهب إلى قسم الشرطة ليبلغهم أنه عثر على الساعة.

لقد اتسم الرجل هنا بالشهوانية والأنانية والبص، وأدلى للشرطة ببلاغ كاذب يعاقب عليه القانون، وبذلك فإنه قام بإيذاء شخص بريء، وتسبب في آلام نفسية وجسمانية لــــه، حيث قضت فتحية ليلة وسط المشبوهات والمتهمات المقبوضات عليهن، وقد حاول الفيلم معاقبته، بأن قام نشال بسرقة الساعة الأثرية منه دون أن يدري.

في العام نفسه، جسد حسين رياض دورا مختلفا عليه تماما في فيلم "بهية" إخراج رمسيس نجيب، فهو هنا يقوم بدور الشيخ عبد الرحيم، الذي يبدو طيبا أمام الناس، الجدير بالذكر أن حسين رياض قد أدى دور الشيخ الطيب الملتحي في أفلام عديدة منها "بنات الليل" لحسن الإمام عام **1955**، و"رد قلبي" لعز الدين ذو الفقار **1957**، و"واسلاماه" لأندرو مارتون **1961**، لكنها المرة الأولى التي يرتدي فيها الزي الريفي،

وأداء الشر في فيلم واحد، فالشيخ عبد الرحيم الذي يساعد البيه الكبير في نقل أخبار أهل القرية إليه، يمتلك وجها آخر قبيحا، فهو القاتل الحقيقي لمرزوق، والد بهية، وهذا القتل يفسد ما بين بهبة وزوجها المنتظر ياسين، وتقرر الفتاة ألا تتزوج قبل أن تعثر على قاتل أبيها. وينجح الشيخ عبد الرحيم في إبعاد ياسين عن القرية، بهدف إضعاف خصميه، عندما يبلغ أن الشاب لم يؤد خدمته العسكرية بعد .

وفي أثناء هذه الأحداث، فإن الشيخ حمزة يموت مقتولا، مما يدفع الابن للأخذ بثأر أبيه متصورا أن بهية هي التي تسببت في مصرع الأب، دون أن يعرف الجميع أن الشيخ عبد الرحيم هو القاتل..

والشيخ عبد الرحيم هنا يرتكب أكثر من جريمة قتل، بحذق، ومهارة، فهو قاتل والد بهية، ثم هو الذي صرع والد ياسين، وعند الخصومة مع ولي نعمته فإنه يقتل البيه ويأخذ بهية رهينة، ويهرب بالمركب، وفي المواجهة الأخيرة بين الشيخ وبين الشرطة يقوم أحد الريفيين بقطع لسان الشيخ بسكين حادة على مرأى من الجميع، ونعرف أن الرجل لم يكن فقط قاتلا، بل سبق لـــه أن قطع لسان هذا الرجل بسكين حاد..

إنه دور جديد وغريب تماما على حسين رياض، بل وعلى شكل الإجرام في السينما، فنحن لم نر مثل هذا المشهد الدموي المتكرر الذي يقوم فيه شخص بقطع لسان خصمه أمام الآخرين، والدماء تسيل منه، وهو يهذي، بعد أن فقد القدرة على النطق تماما.

لا شك أن هذا الدور قد ساعد في أن يضاف وجه جديد مختلف تماما ومناقض للوجوه المألوفة التي نعرفها عن حسين رياض، والغريب أن المخرج هنا هو رمسيس نجيب، الذي سبق لـــه أن جمع كل من لبنى عبدالعزيز وحسين رياض أيضا في فيلم رومانسي هو "هدى" عام **1959**، وفيه قام الممثل بدور الأب بالتبني الذي يرعى الفتاة هدى، المريضة بداء عضال سيقضي عليها.

والغريب أن حسين رياض الذي قدم أكثر من مائة وخمسين وجها طيبا، أن ينهي حياته السينمائية بدور الشرير في المماليك، إذا استثنينا فيلم "ليلة الزفاف" لبركات الذي عرض بعد رحيله .

محمود إسماعيل

نحن لا نعرف الكثير عن الحياة الشخصية للفنان محمود إسماعيل (1904 - 1983)، لكن هناك اتساقا بين الأدوار التي جسدها على الشاشة، وبين حياته الشخصية، فقد دخل الفنان السجن مرتين بسبب قضايا شيكات بدون رصيد.

نحن أمام ظاهرة غريبة في التمثيل، فمنذ بدايته في عام 1942 أمام أم كلثوم في فيلم "عايدة" وحتى فيلمه الأخير الذي عرض بعد وفاته عام 1985، وأيضا بعد خروجه من السجن، وهو يؤدي الدور نفسه، رجل العصابات الذي يعيش في حي شعبي، ويطمع في بنات الجيران..

وقد بدا محمود إسماعيل كأنه قد توحد مع هذه الأدوار، فراح يكتبها لنفسه في مسلسلات مهمة منها "توحة"، وهو الذي أخرج الكثير من هذه الأدوار أيضا لنفسه ليؤكد على أنه لا يستطيع الخروج عنها.

فإذا قلنا أن فنانا ما قد فرضت عليه هذه الأدوار فلأن المنتجين هم الذين يختاروها له، أما محمود إسماعيل فهو الذي اختار دور الشرير مهرب المخدرات الذي تكرر بين فيلم وآخر، والغريب أها أدوار متشابهة، خاصة بعد نجاحه في شخصية سلطان في المسلسل الإذاعي "سمارة" تأليف عبد المنعم السباعي، والذي حقق نجاحا ملحوظا إبان

إذاعته عام **1954**، وما لبث أن تحول إلى فيلم بأبطاله أنفسهم، ويمكن أن نقول أن هذا الدور وحده قد تكرر في أفلامه التالية ومنها "زنوبة"، و"لواحظ"، و"المتهم"، و"ظاهرة"، و"النمرود"، و"توحة"، و"عفريت سمارة" ثم "بياعة الورد"، و"بنت الحتة" الذي مثله عام **1964** قبل أن يختفي قرابة عشرين عاما.

محمود إسماعيل كاتب إذاعي، ومخرج سينمائي، فهو الذي كتب القصة والسيناريو والحوار للعديد من الأفلام منها "الأحدب" عام **1946** و"المهرج الكبير" عام **1953** و"سمارة" عام **1956**، و"توحة"، و"بنت الحتة" وقد اشترك في التمثيل فيها، كما أخرج ستة أفلام مثل فيها جميعها دور الشرير مثل "فتنة" عام **1948**، و"أوعى المحفظة" و"بياعة الورد"، وأخرج أفلاما لم يمثل فيها مثل "حب ودلع" عام **1959**، و"جسر الخالدين"، ثم "طريق الأبطال" عام **1961**، والفيلمين الأخيرين، أحدهما عن الأيام الأخيرة في حياة فنان تشكيلي، والثاني عن محاولات الانتصار في حرب عام **1948**.

كان محمود إسماعيل إذن فنانا له وجهة نظر ورؤى، في أفلامه التي أخرجها، وألفها في نهاية علاقته بالسينما وهي أفلام متوسطة القيمة الفنية، ولكنها مليئة بالحس الإنساني والعلاقات الراقية. أي أننا أمام فنان مبدع، وليس مجرد ممثل، والأرجح أن حياته الأسرية أو الخاصة قد لعبت دورا في إبعاده عن السينما، وهو الذي شارك في إنتاج أفلام حققت

إيرادات طيبة، خاصة "بنت الحتة" التي صنعت في الشارع المصري مصطلح "همبكة" الذي لا يزال يتردد حتى الآن .

ومنذ بداياته، ومحمود إسماعيل يقوم بدور المجرم، أو الشرير، فهو الابن الأكبر في فيلم "طاقية الإخفاء" لنيازي مصطفى عام **1944** الذي يعرف أن أباه قد حصل على طاقية الإخفاء، وأنه يستخدمها للتقلد بالشباب، حيث يحاول جذب أنظار الحسناوات، وعندما يضع الابن الأكبر الطاقية فوق رأسه فإنه يستغل كونه مخفيا لسرق البنوك ومحلات الذهب.

يعني هذا أن الممثل قد توحد مع هذه الأدوار، ولم يخرج عنها سوى في فيلمه الأخير، منذ أن كان شابا إلى أن صار كهلا، وقد تجسدت هذه الشخصيات في وجه جامد، وصوت أجش قوي، وملابس بعينها .

ولعل أبرز أدواره في الأربعينات هو "الأحدب" إخراج حسن حلمي، الفيلم من تأليف محمود إسماعيل، وهو البطل الأول من حيث تركيب أسماء الممثلين، حيث يأتي بعده كل من سامية جمال ومحسن سرحان اللذان سيلتقيان معه بعد عشر سنوات في "زنوبة" وقد كتب المؤلف لنفسه شخصية الكاتب فؤاد، الذي قست عليه الطبيعة في تكوينه الجسماني، وقد أحست أمه بما يعتمل في صدره من ثورة قاسية يذكيها انطواؤه على نفسه وعزوفه عن الناس، فعملت جاهدة على ربطه بفتاة أحلامه التي ما لبثت أن اكتشفت في جسده المشوه روحا فاضلة نقية

جعلتها تحس نحوه إحساسا مبهما لا تدري أهو عطف أم حب أم تقدير أم مزيج من كل هذا معا.

فؤاد إذن ليس طيبا كله، وليس شريرا، هو مشوه الجسد، عكس أخيه جميل (محسن سرحان) الشاب الوسيم الذي كان في ظهوره هدم وتحطيم للأماني والآمال، والذي كان ما نزل به من القصاص العادل عبره وعظه لأمثاله من الماجنين. هذا الكاتب يعيش بين آمال بائسة، وصراعات شخصية، ويقرر أن يهب حياته للأدب وحده .

وللأسف فإن هذا الفيلم قد تاه في ذاكرة السينما، والملاحظ أن محمود إسماعيل لم يكن يعمل كثيرا بالسينما والأرجح أنه كان قد كثف عمله في الإذاعة، فقد عمل خلال ستة أعوام في أربعة أفلام فقط لم تكن بذات أهمية، مثل فيلم "اوعى المحفظة" من إخراجه وبطولته عام **1949**، أمام تحية كاريوكا، وقد كتب المخرج سيناريو الفيلم، وشارك حسن أمير في إعداد الحوار، وفيه يقوم بدور نصاب يدعي أنه ثري، ينزل الفنادق الكبرى، وهناك يلتقي بامرأة ثرية يحاول استغلال ما لديها من أموال، فيكتشف أنها أيضا مثله نصابة. يقرران العمل معا بعد أن يكشف كل منهما أوراقه للآخر. لغزل شباكهما حول مهراجا هندي ثري ينزل الفندق نفسه للاستيلاء على مجوهراته، وبعد عديد من الهزليات الضاحكة نكتشف أن هذا المهراجا ليس سوى محتال مثلهما، ويقع الثلاثة بين أيدي الشرطة .

نحن إذن أمام مجرم ساخر، وضاحك، في إطار هزلي، لكن المجرم مجرم مهما فعل، ولابد من العدالة أن تنال منه. وقد غاب الممثل المؤلف عن الشاشة كي يعود إلى الشاشة بمسلسل سمارة الذي تحول إلى فيلم، فوجد نفسه يتوحد مع المعلم سلطان المهرب الكبير، الذي يسكن أحد الأحياء الشعبية. والفيلم من تأليف وسيناريو محمود إسماعيل الذي شارك عبد المنعم السباعي في عمل الحوار، أما المخرج حسن الصيفي، فقد وجد ضالته في هذا النص، وسوف نرى أنه سيحاول أن يكرر التجربة مرة أخرى في "زنوبة" في العام نفسه 1956.

المعلم سلطان هو الذي يحب الفتاة سمارة، وهو الذي يتكفل بها، بعد أن تموت أمها مقتولة، وهروب أبيها السكير، إذن فنحن أمام فتاة شرسة مكسورة الخاطر جميلة، يحوم المعلم حولها، وسيتزوجها، وسوف يعيد خلقها مرة أخرى عام 1958، أي بعد عامين، في شخصية توحة التي كم أنهار الرجال من حولها.

سلطان يتزوج من سمارة، ويشركها معه في حياته كلها، حتى أعماله، هو مجرم عاشق في المقام الأول، وهو واحد من دائرة كبيرة، فالزعيم الحقيقي لهذه العصابة هو وجيه ثري، لا يعرف سلطان عنه سوى صوته، والذي لن يلبث أن يتقرب إلى سمارة.

مهرب المخدرات هنا يبدو طيبا مسالما، فليس مطلوبا من هؤلاء الرجال أن يكونوا شرسين، لكنه يتحول إلى وحش كاسر، حين يعرف أن

زوجته قد وقعت في غرام ضابط الشرطة الذي يتنكر تحت اسم "سيد أبو شفة"، فيأمر بأن يضرب منافسه، ويوصي بالتخلص منه .

هو مهرب نعم، وخارج عن القانون، لكنه عاشق، لذا فهو ضعيف إزاء زوجته التي تبلغ أسراره إلى ضابط الشرطة الذي يحاول القبض على المهربين في إحدى العمليات، وسلطان ينتزع قلبه بيده كي يهوي على سمارة ضربا مبرحا بالسوط، يذهب سلطان إلى بيت البيه الذي حاول الإيقاع بامرأته ويقتله أيضا بدافع الغيرة، كما أن سلطان هو الذي يقتل سمارة قبل أن يلفظ أنفاسه .

المعلم عطية في فيلم "زنوبة" لحسن الصيفي أيضا عام **1956**، لا يختلف كثيرا عن سلطان، حيث أن نقطة ضعفه هي النساء، فهو أيضا مهرب، يطمع في أن يتزوج من جارته الشابة نعناعة التي تعيش مع أسرتها الصغيرة المكونة من أخيها حسن وأمها، وهي مخطوبة لابن عمها المجند (محسن سرحان) الذي يشارك في حرب فلسطين عام **1948**.

الجدير بالذكر أن ثنائيا سينمائيا ظهر في تلك الفترة مثله كل من محمود إسماعيل (الشرير) ومحسن سرحان (الطيب) تكرر ظهوره معا في كل من "سمارة"، و"زنوبة"، ثم "توحة"، و"عفريت سمارة" و"بياعة الورد" أسوة بالثنائي فريد شوقي ــ محمود المليجي في تلك السنوات .

عطية يحاول الزواج من نعناعة بأي ثمن، فيستغل غياب ابن عم نعناعة في الجيش، ويضغط على الأسرة كي يتزوج من الفتاة. يدفع

بالراقصة زنوبة (سامية جمال) للإيقاع بحسن حتى يدفع الأسرة كي تعترف بخطبته لنعناعة. يقوم عطية باختطاف نعناعة عن طريق أتباعه، إنه الحب القهري، الذي يحاول مهرب المخدرات أن يفرضه على فتاة تحب ابن عمها، ويدفع امرأة أخرى للضغط على أسرة، لكن زنوبة تتغير إلى الأفضل، وتثور على المهرب، وتحاول أن تسحب منه اعترافا كتبه حسن عن جريمة لم يرتكبها. يصل خطيب نعناعة من الجبهة، ويسعى لتخليص خطيبته، وأخيها من براثن عطية، ويذهب إلى الوكر الذي حبس فيه كل من نعناعة وزنوبة، وحسن، ويتمكن من تخلصيهم.

مصير عطية هو القبض عليه، أي أن نهايته قريبة من المعلم سلطان، وأن هناك نوعا من القوامة فيما بين الرجلين .

في العام **1957** شارك محمود إسماعيل في أربعة أفلام، وذلك للمرة الأولى والأخيرة في حياته، فقد بدا كأنه يحاول استثمار نجاحه، ففيلم "لواحظ" إخراج حسن الإمام لم يشهد أي مشاركة للممثل في الإخراج أو التأليف، وهو هنا المعلم عزب، الذي دخل السجن. وهو الأب للفتاة لواحظ التي تعرف من أمها، حين تحتضر أن عزب ليس أبوها الحقيقي، بل أن أباها رجل ثري من علياء القوم .

بينما تحاول لواحظ البحث عن أبيها، فإن المعلم عزب يرسل من سجنه ما يهدد الفتاة ويبتزها، إلا أنها ترفض دفع شيء للرسول، ثم تذهب إلى ضابط بوليس الآداب كي يتولى حمايتها من المعلم عزب،

تتدخل الصدفة، فهذا الضابط هو ابن للزوجة الثانية للرجل المحترم الذي هو الأب الحقيقي للفتاة .

سوف تعيش لواحظ في بيت الضابط، إنه بيت أبيها دون أن تعلم حقيقة صلته به، ويغازلها الابن الأصغر، وهو أخوها لأمها، وحين يخرج عزب من السجن، يطالب باستعادة ابنته، إلا أن الوجيه يساومه على دفع مبلغ من المال.

الخارج عن القانون هنا لا يعرف التوبة، بل المساومة، وهو يختطف الفتاة من الكباريه الذي تعمل فيه، بعد أن طردتها زوجة الوجيه، ويذهب بها على وكره.. الوكر نفسه الذي سبق أن شاهدناه في الفيلمين السابقين، بل أن المجرم هذا سوف يحاول اغتصاب ربيبته، فتقتله لواحظ بالسكين دفاعا عن شرفها .

كما أن كمال عطية استعان بالممثل محمود إسماعيل فقط في فيلمه "المتهم" في العام نفسه، دون أن يشارك في الكتابة، وهو هنا مغامر مفلس يحاول سرقة خزانة الشركة التي يعمل فيها بمساعدة صديق له، إنه ساعي في هذه الشركة، يكره طبيب الوحدة الصحية في الشركة، وهو أيضا مقامر فيدبر خطته لسرقة أموال الشركة، بحيث تتجه الشبهات إلى الطبيب (محمود المليجي)، الذي طلب سلفة ليلة حدوث الجريمة.

المجرم هنا لص من ناحية، وخائن من ناحية أخرى، فهو الذي دفع صديقه لسرقة الخزينة، على أن يكون هو بعيدا عن الشبهات، ثم هو

يخون زميله المجرم، فيقتله ويشوه وجهه بعد أن ألبسه ثياب السعاة وفر بالنقود المسروقة، ليخرج الطبيب من معمله ويراه الساعي الثاني وهو بجانب الجثة المشوهة التي يظنها الجميع، بمن فيهم المحقق، أنها جثة الساعي، فيقع الطبيب في التهمة.

المجرم هنا يفلت من العقاب، والمتهم البريء يعجز عن إثبات براءته، فيهرب من السجن، الجدير بالذكر أنها المرة الثانية التي يمثل فيها محمود إسماعيل، في العام نفسه، أمام المليجي، ويمثل هذا الأخير دور البريء، أما المليجي نفسه فهو الرجل الطيب.

الفيلم الثالث في العام نفسه هو "طاهرة" الذي كتبه مستوحى من الفيلم الأمريكي "أنا أعترف" إخراج ألفريد هيتشكوك. وقد حول السيناريو هنا شخصية الراهب الذي لن يبوح أبدا بسر جريمة اعترف له بها أحد المترددين على الكنيسة، إلى فتاة طاهرة محجبة، تبيع البليلة في أحد الميادين. تشاهد جريمة، فلا تبلغ عن المجرم حتى لو صارت هي متهمة.

محمود إسماعيل أدى هنا دور اللص الخطير الذي سرق محل صائغ في الحي، طاردته الشرطة فلجأ إلى غرفة طاهرة التي تشفق عليه وتطمع في هدايته، لذا فإنها ترفض الإبلاغ عنه، بعد أن عثرت الشرطة على المسروقات في غرفتها.

واللص هنا يتوب لأول مرة في أفلام محمود إسماعيل، حيث يدور في نفسه صراع بين الخير والشر، ويقوم بقتل زعيم العصابة الذي قتل شريكة له. ويذهب اللص التائب إلى منزل وكيل النيابة ويتوسل إليه أن يعاونه في إظهار براءته، ويساعد الشرطة في القبض على زعيم العصابة القاتل، وعقب قضاء عقوبته يخرج من السجن ليتزوج من الطاهرة .

الجدير بالذكر أن شخصية فجلة في فيلم "توحة" لحسن الصيفي عام **1958** قد عرفت المصير نفسه، فبعد أن قام فجلة بتدبير أكثر من محاولة قتل لرشاد، بإيعاز من المعلمة توحة، فإنه يصاب في حادث، وتبتر ساقه، وتتولد صداقة مع منافسه رشاد، ويكتشف فجلة مدى شهامة رشاد، وعندما يخرجان من المستشفى، يقرر فجلة أن يطلق توحة، كي تتزوج من رشاد..

كانت "توحة" قد حققت نجاحا مذهلا كمسلسل إذاعي، ألفه محمود إسماعيل، وهو الذي كتب السيناريو والحوار للفيلم، كما أن المؤلف حاول الاستفادة من نجاح المسلسل والفيلم معا، فقام بطباعة النص الإذاعي في كتاب لاقى هو الآخر نجاحا ملحوظا .

إذا عدنا مرة أخرى إلى عام **1956**، فسوف نجد محمود إسماعيل في واحد من أحسن أدواره، هو "النمرود" إخراج عاطف سالم، فهو يقوم بدور شحاذ أخرس، يعيش في غرفة حقيرة، دون أن يعرف أحد أنه لص سرق أحد البنوك، وخبأ ما سرقه من أموال في أرضية الغرفة التي يعيش فيها، عثر عليها الشاب البائس الذي يسكن في الغرفة السفلية، حين

حاول الانتحار شنقا، وهذا اللص المتخفي لن يلبث أن يظهر على حقيقته، حين سعى إلى الشاب، ويتفق معه أن يقتسما المبلغ بعد أن يحولاه إلى أوراق صغيرة، لأن الشرطة تعرف الأرقام الحقيقية للأوراق المالية المسروقة .

في هذا الفيلم تخلى محمود إسماعيل في نصف الفيلم عن وسامته وملابسه الأنيقة، وأيضا عن صورته فقد بدا أشبه بشحاذ أبكم، أعور العينين، مما أعطى الإيحاء أن الأموال من حصيلة التسول.

في العام 1959، حاول محمود إسماعيل الاستفادة من نجاح "سمارة"، فكتب قصة فيلم "سمارة" إخراج حسن رضا، مستفيدا من مسرحية كتبها ثويل كوارد، وتم إخراجها قبل ذلك مرتين في "الستات عفاريت" لحسن الإمام عام 1948، و"عفريت إسماعيل يس" لحمادة عبد الوهاب عام 1953، حيث تخيل المؤلف هنا أن عفريت سمارة قد عاد للظهور في حياة الضابط، وتساعده في القبض على زعيم العصابة عنتر المهرب الذي تمكن من المهرب الذي تمكن من الهروب من السجن، فيتخفى الضابط مرة أخرى كي يعرف أسرار العصابة .

حاول الفيلم الاستفادة من نجاح الفيلم الأول، ليس فقط بالاستعانة بنفس الممثلين، بل أيضا بأجواء المطاردات وتهريب المخدرات والقبض على عنتر ورجاله، وقد خلا الفيلم من أجواء مشحونة بالتوتر، مثل قصة الحب التي تتولد بين سمارة والضابط في الأقبية، وأيضا شخصية

الوجيه التي اختفت هنا تماما. وإذا كانت سمارة هي المحور في الفيلم الأول، فإن الضابط هنا هو الشخصية الرئيسية .

أما سمارة، فلم تتعد أن تكون شبحا يعيش في العالم الآخر، بينما بدا عنتر نسخة باهتة من المعلم سلطان، فهو مجرد مهرب، وليس عاشقا، ولذا فإن موته لم يكن مأساويا مثلما رأينا في الفيلم الأسبق .

بعد أن كتب محمود إسماعيل قصة فيلم "بياعة الورد" عام **1958**، قرر التفرغ للإخراج والكتابة دون التمثيل، ولم تكن في أعماله كمخرج تلك الشخصيات النمطية، الشريرة والطيبة، إلا أنه شعر بالحنين لهذا النوع من القصص مرة أخرى، بعد انقطاع ست سنوات، فكانت تجربته الأخيرة في فيلم "بنت الحتة" إخراج حسن الصيفي، شخصية المعلم زكي قريبة إلى حد كبير من المعلم عطية في "زنوبة"، الذي يطمع في الزواج من إخلاص، ومثلما تزوجت الراقصة زنوبة من الشقيق، فإن زكي يدفع بالراقصة محاسن للزواج من سليم شقيق إخلاص، من أجل ألا يعترض على زواج أخته من مهرب المخدرات زكي.

ونحن هنا نعيش الأجواء نفسها، فهناك تهريب واختطاف وإغواء وتطهر، وقبض على أبرياء، ومحاولة الهرب من السجن لإثبات البراءة، وفي النهاية يتم القبض على المهرب، واكتشاف الحقيقة .

وفي هذا الفيلم، استعذب محمود إسماعيل تسمية أبطاله من الخارجين على القانون تسميات غريبة، يطلقها عادة على أتباع المهربين

والخارجين عن القانون ومن هذه الأسماء في أفلامه المتعددة: مضحكة، فجلة، وهمبكة، سعيد أبو شفة، ثم جتزير، وفركشة .

في "بنت الحتة"، وقد تلاشت كافة هذه الأسماء، وبقي فقط "همبكة" كاسم وصفة .

زوزو ماضي

هل يمكن للجمال الأرستقراطي أن يقتل

ارتبطت أدوار الشر التي جسدهّا زوزو ماضي، بأنها كانت دوما المرأة، أو الفتاة الأرستقراطية الحسناء، الشبقة، ورغم أنها حاولت الخروج من هذا الإطار الضيق، فإن الجمال الملحوظ للمرأة قد وصمها بهذه الصورة ..

ورغم أن زوزو ماضي (1914 ــ 1982) قد ظهرت في أول أفلامها كأخت متفهمة لشخصية الموظف محمد في فيلم "يحيا الحب" عام 1938 من إخراج محمد كريم..

وقد ظل وجهها البريء، الأرستقراطي الجميل، يمنع عنها أدور الشر إلا أنها جسدت شخصية الخطيبة المدللة أمام أنور وجدي في فيلم "مدينة الغجر" عام 1945 فهي تترفع عن خطيبها جمال الذي يساعد الفقراء، وتضيق بتصرفاته، وتتعالى عليه، وإذا كان هذا النوع من الأدوار هو أقرب إلى الشر، فهكذا كانت بداية زوزو ماضي، فهي هنا جميلة، مدللة، ومترفعة، وابنة ذوات، وهي ترفع قضية على خطيبها تتهمه فيها بتبديد أمواله بحمق وسفه، لكنها تخسر القضية ..

وفي العام نفسه أسندت إلى الممثلة أول بطولة مطلقة أمام أنور وجدي في فيلم "الزلة الكبرى" إخراج إبراهيم عمارة، وقد جسدت فيه دور فتاة مظلومة يسعى والد حبيبها أن يفرقهما عن ابنه، لأنه يرغب فيها.

وبشكل عام فإن سنة **1945** كانت بمثابة أول تواجد مكثف لممثلة لم يعرف عنها العمل بشكل غزير مثل الكثيرات من بنات جيلها، فقد عملت في هذا العام في أربعة أفلام كانت البطولة الوحيدة في "الزلة الكبرى"، لكنها كانت تقوم بدور المرأة الشريرة، أو العزول، في أفلام أخرى مثل "بنات الريف" بطولة وإخراج يوسف وهبي..

كما تواجدت زوزو ماضي في العام التالي في خمسة أفلام، عملت منها مع أحمد بدرخان في فيلمين هما "النفخة الكدابة"، و"مجد ودموع" أما كامل حفناوي فيقدمها في دور الفتاة الأرستقراطية المتغطرسة ناهد التي تقابل حامد، فهي فتاة لعوب يخلبها الثراء المفاجيء الذي أصاب الشاب بعد أن ربح ورقة ياناصيب، وتسعى إلى أن توقعه في غرامها، ينجرف حامد إلى تيار أحد الفُساد الذي يدفعه إلى تطليق زوجته نجف، ويتزوج من ناهد التي تتمكن من ابتزاز ثروته حتى يفلس وتضيق بالحياة ..

ناهد هذه، نموذج للمرأة اللعوب، التي لا يؤتمن لها، فالرجل في منظورها ثروة، لذا فهي تخونه بعد أن جفت ينابيعه (لاحظ الدور نفسه في الأسطى حسن)، ويفاجأ الزوج بها مع عشيق لها، فيقتلها ويدخل السجن .

وهكذا بدأت رحلة زوزو ماضي مع أدوار الشر التي لم تتوقف إلا بشكل استثنائي، ففي العام نفسه قامت بدور الأم لأول مرة، ولم تكن قد بلغت الثانية والثلاثين من العمر، فقد جسدت دور أم لممثلة المطربة صباح، تنافسها على قلب الشاب الملاكم، فكلتا المرأتين تحبان الشاب نفسه، إلا أن الأم تسعى للتدبير للتفريق بين عزت وابنتها سهام، وتنجح في هدفها، وتبدأ في دفع ابنتها أن تتزوج من رجل آخر، وذلك في فيلم "أول نظرة" لنيازي مصطفى، وذلك حتى يتفرغ عزت لها، إلا أن سهام ترفض الزيجة المفروضة عليها، بينما تتعرض الهزائم على الملاكم

مصير المرأة الشريرة هنا، أنها تنتبه فجأة إلى خطورة ما تفعله، فتندم، وتعيد ابنتها إلى حبيبها، والغريب بالنسبة للفيلمين اللذين عملت فيهما زوزو ماضي في عام **1947** أنها قامت بدور أم بعد أن تعرضت لخطيئة مع شاب في "أمل ضايع" لفريد الجندي، وهي أم لطفلة تضيع منها وتلتقيها بعد ذلك في "ضربة القدر" ليوسف وهبي..

إلا أن الدور المتميز الذي رسخ من موهبة زوزو ماضي كممثلة، وشريرة، هو "العقاب" لبركات عام **1948** فهي، من جديد، زوجة جميلة تستغل ثقة زوجها في سلوكها، كي تخونه وتقيم علاقة مع رجل رعديد، يكتشف الزوج أمر خيانة زوجته له، فيقبل على الانتقام لشرفه وكرامته، ويحاول قتل العشيق، إلا أن هذا الأخير يقتل الزوج ويهرب، وتقوم الزوجة بإلقاء التهمة على خادمتها التي تدخل السجن، وبعد فترة من المواجهة مع العشيق القاتل، يلفق هذه الجريمة فتدخل المرأة إلى السجن،

كي تجمعها زنزانة واحدة بالخادمة التي دخلت السجن زورا وهناك تعترف للخادمة بجريمتها، ثم تموت..

وقد بدت الممثلة هنا في قمة نضجها، وموهبتها، وجمالها، وهي تتباين في سلوكها من امرأة خائنة إلى مسجونة ضعيفة مريضة، تموت بين ذراعي المرأة التي أدخلتها السجن زورا ..

وفي عام 1948 هذا، أسندت إلى زوزو ماضي بطولات مطلقة عديدة، منها فيلم "اللعب بالنار" لعمر جميعي، الذي تقوم فيه بدور سهام.. التي تخفي عن زوجها علاقة قديمة مع رجل عاشرته قبل الزواج، فالرجل يظهر في حياة الزوجة السعيدة كي يهدد مستقبلها العائلي، لكن سهام تصده وتنهره، فيلجأ إلى الانتقام منها من خلال زوجها فيتسبب في فصله من عمله، ثم يحوم حولها، ساعيا إلى أن يطلقها من الزوج، وأن يقترب بها، لكن سهام تكتشف ألاعيبه، وأنه يرمي بشباكه حول ابنتها..

صارت زوزو ماضي تقوم بدور المرأة الناضجة، أحيانا طيبة، وغالبا شريرة، لكن الشر هنا ليس هو ممارسة جرائم، أو ترأس أعمال عصابات، أو قتل، أو تهريب مخدرات، بل هو شر داخلي يكمن داخل امرأة تطاردها شهوات الجسد والمال، تحاول إزاحة كل من يعترض طريقها كي تمارس هذه الشهوات، فقد تكون امرأة شبقة تسعى إلى من يطفيء ظمأها، وقد تكون أم لأسرة، تحاول تحقيق ثروات من خلال بناتها، أو زوجة أب يهمها أن تمتلك زوجها وإبعاد أسرته القديمة عنه..

ففي "حكم القوي" عام **1951** نراها تقوم بدور العشيقة للاعب قمار، يسعى إلى ابتزاز النساء المتزوجات، وفي "أولاد الشوارع" ليوسف وهبي في العام نفسه، تقوم بدور أم تترك ابنها الرضيع، في الشارع كي يلتقطه الضابط فايز، ويقوم بتربيته وسط أبنائه، وهي تذهب إلى الضابط وتبوح له بالحقيقة أنها أم الرضيع، وتشرح له معاناتها من زوجها الخارج على القانون وتوصيه بابنها، وعندما يخرج زوج المرأة من السجن يعرف أن ابنه موجود في بيت الضابط، فيسعى إلى أن يسترده، ويقوم بتربيته على السرقة والنشل، فيصير مثل أبيه، ويدخل السجن..

ولعلها إحدى المرات القليلة التي قامت فيها زوزو ماضي بدور امرأة طيبة، تسكن في بيت بسيط بحارة شعبية، لكنها، أي الممثلة، سرعان ما عادت في فيلمها التالي إلى السكن بالزمالك لتقوم بواحد من أهم أدوارها على الإطلاق في "الأسطى حسن" لصلاح أبو سيف عام **1952** ..

هي امرأة ثرية، في منتصف العمر فاتنة تسكن في فيلا بالزمالك، متزوجة من رجل عجوز قعيد، تستهوي الرجال الأشداء وتستجلبهم إلى بيتها لإشباع شبقها الجنسي، ومن هؤلاء الأسطى حسن السباك الذي يسكن بولاق أبو العلا، حي البسطاء والفقراء، إنه رجل متزوج ويعاني من سطوة حماته، وأمام إغراء تمثله فتنة المرأة، فإنه يذهب للعيش معها في فيلتها، هو بالنسبة لها الفحل الذكر القوي الذي ما أن تضعف قوته حتى تكون قد وجدت فحلا جديدا من طبقتها الاجتماعية. الشر في هذه المرأة

يكمن في رغباتها الجنسية، ونحن نفهم في النهاية أن العجوز الذي يتحرك فوق عجلة هو زوجها الذي أطلق النار عندما تصارع العاشقان: القديم والجديد، من أجل الاحتفاظ بمكاسب حصل كل منهما عليها من خلال علاقته بالمرأة..

وقد فتح هذا الدور لزوزو ماضي أن تتأصل في أدور الشر في أفلامها التالية، فهي في هذه الفترة في ريعانها، ففي العام التالي، **1953**، تقوم بدور المرأة الشريرة في الأفلام الثلاثة التي عملت فيها، وفي "الحب المكروه" لعبد الله بركات، و"الحرمان" لعاطف سالم، و"بيت الطاعة" ليوسف وهبي؛ فهي تمتلك كافة ما يؤهلها للقيام بهذا الدور، ابتداء من الجمال الجسدي، بدون أي إغراء في كل هذا التاريخ، إلى الصوت الرخيم المميز، بالإضافة إلى الهيبة، وقوة الشخصية..

فهي في "الحب المكروه" تؤدي دور امرأة لعوب، تبتز نقود رجل متزوج، يحاول أن يوقع جارة له في شباكه، وترفض الجارة أن تمتثل له، أما في "الحرمان" فهي زوجة منشغلة دائما عن منزلها بأعمالها الخاصة مما يدفع بالأب إلى رعاية طفلته الصغيرة، ولأن الأب لا يجد من يرعى الابنة أثناء غيابه فإنه يصحب طفلته معه أثناء الذهاب إلى عمله، وتتسبب الصغيرة في إصابة أبيها، مما يؤدي إلى بتر ذراعه، تهرب الابنة وهي تحس بالذنب، وفي القطار تلتقي بامرأة شريرة تأخذها معها كي تعلمها أصول السرقة والنشل..

الزوجة، أو الأم التي تجسدها زوزو نبيل، هي منشغلة في عملها، وتنتبه فجأة أن ابنتها في خطر، فتسافر مع زوجها الذي تعيش منفصلة عنه إلى الإسكندرية، وهناك يعثران على الابنة، وتستعيد الأسرة تكاتفها القديم..

لسنا أمام دور امرأة شريرة، بالمعنى التقليدي، فالمرأة المنشغلة بوظيفتها كسيدة أعمال، وهي في الأساس منفصلة عن زوجها ليست شريرة، بقدر ما هي تشغل فراغها، فتدفع أسرتها السباقة الثمن..

وفي العام التالي **1954** عملت زوزو ماضي في أدوار مشابهة في أربعة أفلام هي "أمريكاني من طنطا" لأحمد كامل مرسي، و"علشان عيونك" لبدرخان، ثم "الأرض الطيبة" لمحمود ذو الفقار، و"المجرم" لكمال عطية..

ففي فيلم "الأرض الطيبة"، هي واحدة من الورثة الذين يفاجئون أن صاحب المزرعة الثري، قد كتب ثروته كلها لابنته غير الشرعية التي لم يعرف أحد نسبها الحقيقي إليه إلا بعد وفاته، ويسعى الورثة إلى انتزاع الميراث عن الابنة، لكنهم يفشلون، وتدفع المرأة التي تجسدها زوزو نبيل بأخيها الشاب أن يرمي بشباكه على الفتاة، كي تقع في غرامه وتتزوجه، وذلك كي يضمن بقية الورثة، الذين لم يرثوا شيئا، أن الثروة لن تضيع منهم..

المرأة الشريرة هنا، هي سيدة مؤامرات، لا تستخدم أنوثتها، بل تسعى إلى الاستعانة بجاذبية أخيها الذي يتحول ويقع في غرام الفتاة، ويقف ضد أخته، وبقية العائلة..

أما في "المجرم" فهي العاهرة نجف التي تحتال على الشاب مراد العائد من الخارج، ليتخذها عشيقة له تبتزه أولا بأول، ولأن هذا هو الشاب المتشرد ابن السكير ابن أدهم المقاول الذي دخل السجن، دون أن يعرف ماضيه، أو أن أدهم هو أبيه..

ابتداء من العام **1956** كانت زوزو ماضي قد صارت امرأة جميلة في سن النضج في الثانية والأربعين، وهي التي قامت بدور الأم في سن مبكرة، وبدأت تتخصص أكثر في هذا النوع من الأدوار، المرأة الأرستقراطية التي تدفع بمطرب شاب إلى النجاح في فيلم "دليلة" لمحمد كريم، ثم هي زوجة الأب التي جاءت ابنة زوجها كي تعيش معها في فيلم "غريبة" لبدرخان عام **1958** هي هنا امرأة أرستقراطية، وجدت زوجا جديدا لديه ابنة خجول، تحاول أن تستوعبها، لكن الفتاة حائرة بين بيتي أبويها، تتردد على كليهما، فتحس دوما أنها غريبة بين البيتين، وزوزو ماضي هنا زوجة بلا أبناء، وتبدو سعيدة مع زوجها، وتقابل الزوجة السابقة لزوجها محاولة لإرضائه..

وفي "الطريق المسدود" لصلاح أبو سيف، فإن المخرج أعادها مرة أخرى إلى دور المرأة الثرية، الانتهازية لقد مات عنها زوجها، وترك لها مجموعة من البنات، فاختارت حياة اللهو والعبث والانخراط في سلك

الانحلال والدعارة هي وابنتيها الشابتين، بينما رفضت البنت الثالثة تلك الحياة، واختارت أن تذهب إلى الريف للعمل كمدرسة، بيت الأم هنا يعج بالرجال الباحثين عن المتعة والسهرات، ولعب الميسر، وإلى هذه الشقة يأتي رجال مرموقون في المجتمع، منهم الكاتب الذي تغرم به فايزة، ويحاول خداعها، ورجال آخرون يقدمون يد المساعدة، ويدفعون المال..

وهذا النوع من الأم المنحلة لا يلقى جزاءه في الفيلم أسوة بهذه الأفلام، ففايزة تحاول أن تتصرف مع متناقضات المجتمع على طريقتها، والأم تستمر في ممارسة نزواتها مع ابنتيها..

وفي العام نفسه، قامت زوزو ماضي مرة أخرى بدور أم لفاتن حمامة في فيلم "الزوجة العذراء" إخراج السيد بدير، وهي أم تدبر خطة لقتل زوج ابنتها العنيد، الذي يتعامل مع زوجته بعنف شديد، وبشك ليس له أساس منن الصحة، وفي البداية فإن التهمة تنسب إلى الزوجة، باعتبار أن كل القرائن تشير إلى المذنبة، وفي لحظة ما تعذب الأم أنها هي القاتلة..

هذه الأم الأرستقراطية، صورها الفيلم كإنسانة أنانية توفي زوجها الثري، فوجدت نفسها غارقة في الديون، والميراث الذي تركه لها ولابنتها الشابة قد استولى عليه الدائنون لذا، فإنها تفكر في استغلال جمال ابنتها للبحث عن زوج ثري يكفل لها السعادة، وتبدأ في المفاضلة بين الطبيب الناجح، ومجدي الشاب الثري، ورغم أنها تعترف بما أصابه من مرض فقدان الذكورة، فإنها وافقت على أن تزوجه بابنتها..

وقد دبرت الأم جريمة القتل بإتقان، بأن دست المزيد من جرعة الدواء في كوب الزوج حتى مات، وفي النهاية فإنه يتم القبض عليها ويخلى سراح ابنتها والطبيب الذي اتجهت إليه الشبهات..

كما أن زوزو ماضي لعبت دورا مقاربا في العام نفسه في فيلم "سيدة القصر" لكمال الشيخ، فهي واحدة من شلة أصدقاء السوء، يلتفون حول الثري عادل، ويستغلون بساطته، فيكسبون من أمواله من خلال القمار وهذه البطانة، تجد في زوجة عادل الشابة التي تأتي إلى البيت، عائقا لاستكمال مهامها في استغلال الرجل، فيدبرون له المكائد، ويشك في أن هناك علاقة مشبوهة مع صديق طفولته..

والمرأة الشريرة هنا، لا تدبر المكائد، بل تترك ذلك للرجل ـــ جسده ستيفان روستي ـــ وهي فقط أداة تنفيذ، وجزاء الجميع هنا، أنه عندما يتم اكتشاف حقيقتهم، يطردون من البيت، ويذهب عادل لاستحضار زوجته..

وفي عام 1961 قامت زوزو ماضي بدور زوجة الأب التي تسعى لتزويج ابنة زوجها من أخيها كي تضمن السيطرة على أموال الزوج، وذلك في فيلم "يوم من عمري" لعاطف سالم، هي امرأة أنيقة ثرية، تذهب إلى المطار مع زوجها وأخيها، لاستقبال الابنة العائدة من غربة طويلة، تبدو لبقة في الحديث، قوية الشخصية، تسعى إلى تحقيق أهدافها باللين الممزوج بالشدة، مع زوج أكبر منها سنا عليه أن يمتثل، وتدفع هذه الضغوط بالابنة نابي إلى الهرب من المطار، دون أن تعرف إلى

أين تذهب، ولا إلى من تلجأ حتى تلتقي بالصحفي صلاح الذي يصحبها إلى أن يعيدها سالمة إلى أسرتها بعد أن يكون قد عرف سرها..

المرأة هنا، سرعان ما تختفي عن الأحداث، ويسترد الزوج سلطانه على المنزل، قبل عودة ابنته مرة أخرى..

وفي فيلم "زيزيت" إخراج سيد عيسى في العام نفسه، جسدت الممثلة دور فردوس التي يرسلها رئيس عصابة إلى السجن كي تدس السم للفتاة طعمة حتى لا تكشف سر جرائمه، لكن محاولة قتل طعمة تبوء بالفشل..

وقد جسدت زوزو ماضي شخصية الأم في فيلم "عودي يا أمي" إخراج عبد الرحمن شريف في العام نفسه، فهي حماه تتسم بقسوة ملحوظة تشعر بالغيرة من زينب زوجة ابنها رأفت، وفي ليلة عيد الزواج تتسبب الحماة في المزيد من المتاعب بسبب ابنتها سلوى، والحماة هنا على علاقة غير شرعية بحسين صديق ابنها، أي برجل يصغرها سنا، وعندما تكتشف الزوجة حقيقة العلاقة بين حماتها وصديق الزوج، فإنها تذهب إليه من أجل إبعاده عن حماتها، يحاول حسين مهاجمتها فتقاومه ويسقط صريعا. هنا تدخل عنايات وتتهم بالقتل، وتدخل السجن، تصل الفضيحة إلى الزوج الذي يطلق امرأته، وتبدأ الحماة في التعامل مع حفيدتها على أنها أمها، وعندما تمرض الابنة يضطر الأب إلى أن يأتي بزينب لتبدو كممرضة، وتخرج عنايات من السجن، وتعرف أن حسين لم

يمت، وتسقط من الفرحة من فوق السلم، فتعتني بها زينب، وتعترف الأم لابنها ببراءة زوجته..

نحن هنا أمام امرأة شريرة خائنة، تضطر إلى التراجع عما فعلته، وتعترف بكل شجاعة بالحقيقة إلى الأطراف المعنية، وقد كانت زوزو ماضي هنا امرأة ناضجة، ولا تزال تؤدي إحدى الشخصيات المحورية في الأفلام، ففي العام التالي **1962** ومن بين خمسة أفلام قامت بالبطولة الثانية فيها، فإنها قامت فيها جميعا بدور الأم؛ فهي الخاطبة التي تأتي لابنتها بعريس كي يتوجها في فيلم "خذني لعاري" للسيد زيادة، وفي "من غير ميعاد" لأحمد ضياء الدين، هي الأم لثلاث بنات في سن الزواج، لم يترك لها زوجها سوى فيلا على البلاج بالإسكندرية، ملحق به شاليه تؤجره من أجل المصاريف، تطلب المشورة من أخيها من أجل بيع الممتلكات والعيش بأثمانها.. والممثلة في الفيلم أم طيبة تحمل مسئوليتها العائلية، أي أن زوزو ماضي بدأت تنوع أدوارها، وتبتعد مع التقدم في العمر عن أدوار الشر شيئا فشيئا..

لكنها عادت بقوة إلى هذه الأدوار في فيلم "الجبل" إخراج خليل شوقي، حيث تؤدي دور الخواجاية التي جاءت تبحث عن خبيئة أثرية في إحدى قرى الصعيد، حيث لا يشغل بال الأهالي سوى الحفر في جوف الجبل بحثا عن الآثار، هذه الخواجاية هي سائحة أجنبية، فاتنة، يمكنها أن تخلب لب الرجال، وهي تستغل أهل القرية ورجالها من أجل أن تصل إلى هدفها، وهي تغوي الرجل الأول في القرية ــ صلاح قابيل ــ من أجل

أن يكون طيعا لها، ورغم كل هذا العمر في التعامل مع أدوار الشر، وأداء شخصية المرأة الخائنة، فإن زوزو ماضي، قد جسدت لأول وآخر مرة دور إغراء لافت للنظر، وهي ترتدي الباشكير في بيتها للرجل الصعيدي الذي أمتعته..

لا نذكر في النصف الثاني من الستينات أن زوزو ماضي جسدت أيا من أدوار الشر، لكنها في عام **1971** تقوم للمرة الأولى والأخيرة، بدور فلاحة في فيلم "حادثة شرف" إخراج شفيق شامية عن إحدى قصص يوسف إدريس. وفي هذا الفيلم جسدت دور زكية الخياطة التي تعيش في إحدى القرى، وهو بيت مشبوه تذهب إليه الفتيات الباحثات عن اللهو بحجة أنهن يترددن على المرأة الحائكة..

وعندما يود شخص ما أن يمس سمعة إحدى الفتيات، فإنه يقال أنها تتردد على بيت زكية، وهكذا تلوك الألسنة بنات، أجمل فتاة في القرية، والتي تمسها الشبهات رغم شرفها، فالشاب غريب يفشل في أن يصل إلى "بنات"، ورغم ذلك فإن الشائعات تصيب الفتاة، مما يدفع بخطيبها أن يفسخ خطبته، ويحدث أن يلتقي غريب بالفتاة ذات مرة في أحد الحقول، وعندما تراه تفزع منه وتجري صارخة، فيعتقد أهل القرية أنه اعتدى عليها، ولكن بعد إثبات البراءة تقرر أن تذهب إلى بيت زكية، وتسلم نفسها لغريب..

زكية هنا، قوَّادة في مجتمع ريفي لكنها قوية الشخصية لا تعبأ بألسنة الآخرين، تدافع عن مهنتها، ولا شك أن حضور بنات إليها يعني

استمرار وجودها، وأن الألسنة كانت حادة مثل حدة الشرف الذي فقدته بنات فعلا في بيتها.

وفي عام **1975** صارت زوزو ماضي أما لشاب ناضج في فيلم "ومضى قطار العمر" لعاطف سالم، فهي المرأة صاحبة السلطان في الريف زوجة الباشا، التي تعيش في القصر، وعندما تعلم أن ابنها محسن قد ارتكب جريمة قتل، تسعى بكل قوتها إلى إقناع زوجها، يدفع أحد العاملين لديه، أن يعترف بأنه القاتل. وهذه الأم تلجأ إلى الشدة والحيلة لإقناع بيومي، بمعاونة زوجها، أن ينسب الجريمة إلى نفسه مقابل أن تتكفل الأسرة الثرية بإعاشة زوجته وأبنائه حتى يخرج من السجن..

ورغم أن بيومي يفي بالوعد، ويدخل السجن، نيابة عن سيده الصغير، فإن الأسرة الثرية تحنث بالوعد، حيث يقوم محسن بالاعتداء على زينب زوجة بيومي، ويتم طردها، فتنتحر من مهانة العار الذي لحق بها..

تقلصت رحلة زوزو ماضي السينمائية في السنوات الأخيرة من حياتها، إلا أنها لم تكف عن العمل، لدرجة أن فيلمها الأخير "القضية رقم واحد" قد عرض بعد وفاتها، أما أدوارها الأخيرة، فقد تحددت في دور الأم الأرستقراطية التي تبحث عن مصلحة ابنتها، مثلما قامت بدور الأم للزوجة غير السعيدة أمام سعاد حسني في فيلم "موعد على العشاء" لمحمد خان عام **1981** .

زوزو حمدي الحكيم

المرأة التي قتلت النساء

هل من الغريب أن تكون الفنانة التي ألهمت الشاعر العاطفي إبراهيم ناجي قصيدته الشهيرة "الأطلال" هي صاحبة كل هذه الوجوه الشريرة في الأفلام المصرية .

بعيدا عن تلك القصيدة الخالدة التي نظمها ناجي، وشدت بها السيدة أم كلثوم، فإن ملامح زوزو حمدي الحكيم، في كافة أعمارها، لم تك توحي بكل هذه الرومانسية، فنحن أمام وجه جامد لصاحبته صوت حاد يوحي بقوة الشخصية وعدم اللين، وقد أفاد هذا الجمود الممثلة في أن تجسد العديد من الشخصيات النسائية بالغة القسوة، وقد تجمع القسوة بين الخروج على القانون والجريمة وتدبير المكائد.

وقد دفع هذا المنتجين أن يضعوها في الدائرة الصغيرة لأدوار الشر طوال رحلتها الفنية التي بدأت في السينما عام 1935 بفيلم "الدفاع" وحتى آخر أعمالها بعد اثنين وخمسين عاما في "وصية رجل مجنون".

والغريب أن سمة الشخصية القوة ظلت ملتصقة بها، وقد ساعدها في ذلك ملامح الوجه، خاصة حين تقترب الكاميرا منها بوضوح، ففي فيلم "بنات الليل" لحسن الإمام عام 1955 يمكننا أن نراها امرأة عريضة

الجبهة غليظة الشفتين كبيرة الأنف، سمراء بشكل واضح، يبدو الشعر أشعف، والملامح غير دقيقة.

وبالنظر إلى مجموع الأفلام التي عملت فيها الممثلة، فإنها غالبا ما جسدت دور المرأة الأرستقراطية، أكثر من الأدوار الشعبية، رغم شهرتها التي نالتها عن دور "سكينة" في الفيلمين اللذين تم إخراجهما عن السفاحتين "ريا وسكينة"، وقد بدا هذا واضحا في فيلمها "ليلى بنت الفقراء" إخراج أنور وجدي عام 1945، فهي هنا سميرة إحدى بنات المجتمع الراقي مخطوبة لضابط شاب هو وحيد، وهي التي تدعو صديقة لها من حي السيدة زينب كي تأتي إلى قصرها لحضور إحدى الحفلات، وفي الحفل تتعرف ليلى على وحيد، خطيب سميرة، التي قدمت ليلى على أنها ابنة الباشا درويش، وتنمو مشاعر الحب بين ليلى ووحيد، مما يشعل الغيرة في قلب سميرة.

سميرة هي الفتاة المجروحة عاطفيا، والمصدومة فيما حدث لخطيبها من تحول، ومثل هذه الشخصية كانت موجودة بقوة في أفلام تلك الحقبة، تجسدها كل من لولا صدقي، ومنى ثم شريفة ماهر. فهي تسعى لكشف حقيقة ليلى كي تستعيد خطيبها إليها، وفي حفل الزفاف الذي يحضره أبناء الذوات، فإن سميرة تفجر قنبلتها حين تكشف أمام الجميع سر تبرع درويش باشا بكل ثروته إلى ليلى، وهو الرجل الذي تعاطف مع الفتاة الفقيرة، وقرر أن يهبها ثروته. وتكشف سميرة حقيقة البيئة الاجتماعية التي تنتمي إليها ليلى، مما يدفع بهذه الأخيرة إلى الخروج من

الحفل منهارة، وتبدو مسيرة، وقد حققت مآربها إلا أنها لا تتمكن من استعادة وحيد، الذي خرج وراء حبيبته كي يستعيدها .

تبدو سميرة هنا بالغة الغلظة، في مواجهة ليلى البالغة الرقة، وهي تفعل ذلك إنقاذا لكيانها، لكن الجزاء يتمثل في قيام كافة المدعوين بالذهاب إلى بيت ليلى في السيدة زينب لحضور بقية الحفل هناك..

في العام نفسه، جسدت زوزو حمدي الحكيم، دور زوجة الابن البالغة القسوة في فيلم "الأم" إخراج عمر جميعي، وهي أيضا امرأة لا تعرف الرحمة، ولا الاعتدال، جسدت شريفة ماهر نفس الدور عام 1962 في فيلم "أعز الحبايب" فالأب تاجر في المخدرات، والابن يلصق بنفسه التهمة، ويدخل السجن بدلا عن أبيه الذي يموت كمدا على ما ألحق الأسرة من متاعبه ويتزوج باقي الأبناء كي تبقى الأم وحيدة، الابن الأصغر تزوج من الشخصية التي جسدتها زوزو حمدي الحكيم، فهي تكره الأم، وتسعى إلى إذلالها، وطردها من البيت، وهي امرأة ذات وجهين، فهي تتصرف أمام زوجها كأنها ترعى الأم، وتهتم بها، وعلى الجانب الآخر ، فإنها تتفنن في إذلالها، حتى تذهب الأم وتعمل خادمة ، منتظرة عودة ابنها من السجن .

وعندما تتكشف الأمور، فإن زوجة الابن هنا تعاير الشاب الخارج من السجن أنه مجرم وارتكب جريمة، وأنه "رد سجون"، مما يدفع بالشاب إلى البحث عن أمه، حتى يعثر عليها، ويصور الفيلم أن الزوجة تعرف مكان الأم، لكنها لا تبوح به..

وتلقى هذه المرأة عقابها مع زوجها الضعيف الشخصية، فيموتان معا، وكما نرى، فإن هناك اختلاف في بعض التفاصيل مع مصير الزوجة في "أعز الحبايب" التي اكتفى الزوج فقط بأن طلقها، بعد العثور على أمه

وكعهدها في هذا النوع من الأدوار، فإن السينما المصرية، ظلت تمنح للممثلة فقط هذا النوع من الأدوار، ويبدو أن المخرجين قد رأوا أن الممثلة لا تصلح لأدوار الرومانسية، وأنها خلقت فقط لأدوار الشر، ففي العام 1946جسدت دور زينات في فيلم "يد الله" إخراج يوسف وهبي، وزينات هذه فتاة أرستقراطية مستهترة توقع في حبائلها الشباب من أبناء الأغنياء، وتتزوج واحدا منهم وما أن تدخل الدار حتى تنجح في بث الانحلال بين أفراد الأسرة، فتوقع الأخ الأصغر مرسي في حبائلها، ويمارسان الرذيلة، وتخطط لقتل زوجها على يدي الشقيق، فتضع لزوجها جرعة زائدة من السم من خلال الدواء الذي يحتاجه، فيموت قتيلا، وينتبه الأخ إلى مقتل أخيه، ويحاول الانتقام من المرأة فيتخلى عنها، أولا، ثم يمارس عليها ضغوطا عاطفية حتى ينتهي بها الأمر للجنون بعد أن فقدت الرجلين، وصارت مجرمة.

رغم الأدوار الثانية التي لعبتها زوزو حمدي الحكيم في مسيرتها السينمائية، فإنها لم تكن تعمل كثيرا، خاصة في سنوات شبابها، ففي نهاية الأربعينات – على سبيل المثال – كانت تعمل في فيلم واحد تقريبا كل عام، وتوقفت عن العمل عامي 1950، 1951 كي تعود عام 1952 بدور آخر لامرأة شريرة، في فيلم "غضب الوالدين" لحسن الإمام، الذي

سبقت أن عملت معه عام 1948 في فيلمه الأول "النساء عفاريت" وفي الفيلم الجديد للمخرج ظهرت في النصف الثاني من الأحداث، بعد أن دخل الموظف المتمرد على والديه إلى السجن، فيترك الأب ابنته الصغيرة في رعاية خالتها، التي تستغل موهبة الصغيرة في الغناء، فتدفع بها للعمل في الصالات، ومن أجل مصلحة المرأة الشريرة، فإن الخالة تعترض على زواج نعمت ابنة أختها من الشاب الذي تحبه، بل تدفع بها للزواج من عشيقها، وهي تعاملها بعنف وقوة، وتعايرها أنها ابنة قاتل، وتتصرف من أجل مصلحتها. إلى أن يخرج الأب، وينقذ الفتاة من الشر الذي يحيط بها.

أما دورها الأبرز في فيلم "ريا وسكينة" لصلاح أبو سيف عام 1953، فقد كشف أن كمية الشر الذي تؤديه، أو الذي يسند إليها، لا يرتقي أبدا إلى ما تجسده شقيقتها في الفيلم "ريا" أو الممثلة "نجمة إبراهيم" التي بدت سكينة إلى جوارها شبح مجرمة، مجرد تابعة لا أكثر. فالأخت الكبرى هي التي تتزعم عصابة سرقة النساء، وذبحنه، وتبدو سكينة هنا مجرد منفذة لتعاليم وأوامر أختها، مع زوجها عبد العال، صحيح أنها تقتل وتلف الضحية بالمخدر لكن هي بلا هوية أو شخصية. تذهب مع أختها إلى السوق للتعرف على النساء، وتعود إلى البيت، وقد عثرتا على الضحية، وتشارك الأخت في عمل المراسيم الخاصة بقتل الضحية ودفنها، وقد بدت زوزو حمدي الحكيم هنا مجرد ظل، وكشفت أن ما تجسده من أدوار شر لا يرقى إلى ما يجب أن تكون عليه المجرمة، وقد تكررت الحكاية نفسها في فيلم "إسماعيل يس يقابل ريا وسكنية" فاسم سكينة لا

يأتي فقط بعد أختها، ولكن كل تصرفاتها تأتي بمثابة تنفيذ للأوامر، ولم نعرف أن المرأة في الفيلمين قد أمرت، أو اقترحت، أو بادرت، لكنها كانت بمثابة يد يتم من خلالها تنفيذ الجريمة وسط أيد عديدة تفعل ذلك، منهم حسب الله، وعبد العال.

والغريب أن الأدوار التي جسدتها زوزو حمدي الحكيم بعد ذلك، في الأعوام نفسها، كانت صغيرة، مثل دورها أمام مجموعة كبيرة من الممثلين في فيلم "نساء بلا رجال" ليوسف شاهين عام 1953، ثم "موعد مع السعادة" لعز الدين ذو الفقار عام 1954 إلا أن دور المرأة التي تتاجر في الأبناء غير الشرعيين قد أعاد إليها مكانتها في أدوار الشر السينمائية من خلال فيلم "بنات الليل" لحسن الإمام عام 1955 .

في فيلم "بنات الليل" عادت زوزو حمدي الحكيم مجددا إلى أدوار الشر، مع حسن الإمام الذي سبق أن عملت معه أكثر من مرة، وهو المخرج الذي استخرج من ممثلات بأعينهن أفضل ما لديهن من أداء لأدوار المجرمات والخارجات على القانون، ومنهن على سبيل المثال زوزو نبيل.

في "بنات الليل" تؤدي الممثلة دور ممرضة، في إحدى عيادات الطب النسائي، تصطاد النساء اللاتي يحملن في سفاح، وتتفق مع كل منهن على التخلص ممن تحمله، وذلك ببيع الوليد، بعد الولادة إلى امرأة من أسرة غنية، لا تمكنها ظروفها من الإنجاب، ومن بين هؤلاء النساء نعمة التي تعمل في الصالات، وهي حامل من علاقة عابرة، وتود التخلص

من الجنين بأي ثمن، فهي مغرمة بشاب من أسرة متدينة، وتود أن تبدأ معه صفحة جديدة.

على جانب آخر، فهناك امرأة متزوجة، لم تتمكن من الإنجاب، تود الاحتفاظ بزوجها الثري، وذلك بأن تدبر لنفسها طفلا بأي ثمن، فتتفق مع الممرضة على أن تأتي لها بطفل سفاح، تود الأم أن تتخلص منه.

الممرضة هنا امرأة تمارس عملا ضد القانون، وهي تستغل الطرفين معا، تساوم الأم في الثمن وتبخس حقه، وتدعي أن المرأة التي تريد طفلا قد حصلت بالفعل عليه، وذلك بهدف تقليل سعره، لذا فإن نعمة ترفض في بداية الأمر وتقرر أن تصارح خطيبها بحقيقة الأمر، لكن الأب يكتشف حقيقة نعمة، ويمنع ابنه من أن يتزوجها، ويطرده من البيت، لكن الابن (كمال الشناوي) يصاب في حادث، وينكسر عموده الفقري، ويعجز الأب عن تدبير ثمن علاج ولده، فتقرر نعمة أن تبيع وليدها المنتظر .

الممرضة، من ناحية أخرى، تطلب من المرأة العقيم (مديحة يسري) ثمنا عاليا مقابل تدبير ابنا لها، أي أنها هنا تستغل ظروف كلا الطرفين كي تحقق لنفسها أعلى المكاسب كانت زوزو حمدي الحكيم هنا بدت ممثلة من طراز نجمة إبراهيم، لذا فإن كاميرا الفيزي أورفانيللي كانت تصورها في لقطات مكبرة، وقد تبلور الشر على ملامحها، فتبدو غير مهندمة الملابس، شعثاء الشعر، تبرق العينان بالقسوة والطمع، وهي تضغط على الأم من ناحية كي تتخلص من ابنها، ثم على الأم البديلة كي

تدفع أكثر، فهي تقول لها مثلا، إن الأم الحقيقية تطلب المزيد من المال، كي تؤكل نفسها، والجنين الرابض في بطنها .

لم تكن زوزو حمدي الحكيم، تقوم في هذه الفترة أيضا أكثر من عمل سينمائي واحد كل عام، ففي بداية عام 1956 قدمت فيلم "هارب من الحب" الذي عادت فيه للعمل مع عز الدين ذو الفقار. لقد صارت أكبر سنا، وتؤدي هنا دور زوجة الأب التي دست السم لزوجة الرجل الذي تحبه، وتسعى إلى أن تضع السم للابنة المتهمة بدورها بأنها قتلت أمها، لكن الأمر لا يلبث أن يكتشف من قبل الشرطة.

وفي آخر العام نفسه عملت مع السيد بدير في فيلمه "ليلة رهيبة" الذي أدت فيه دور عشيقة العم الشرير الذي حاول إيهام مجدي بأن المرأة التي يعيش معها ليست أمه الحقيقية، فيعيش مجدي في حالة قلق، وقد كان الدور هنا صغيرا قياسا إلى ما سبق أن قامت به في هذا النوع من الأدوار، فلا شك أن الشرير الأكبر محمود المليجي، الذي أدى دور العم، قد ابتلع الممثلة أمامه، مثلما سبق أن حدث مع نجمة إبراهيم، كذلك كان دورها قصيرا في فيلم "السابحة في النار" عام 1959 إخراج محمد كامل حسن المحامي، لكن لا شك أن المخرج الأمريكي أندرو مارتون قد وضعها في أفضل إطار في فيلم "وا إسلاماه" عام 1961 فهي هنا، وصيفة الحريم التي تتعامل مع البنات بقسوة شديدة، فبمجرد أن تسألها جلنار عن الحفل المنتظر لزواج الملكة شجرة الدر، فإنها ترد عليها بقسوة وجفاف "أما قليلة الأدب صحيح". وهي تدفع بالحريم للرقص في

الحفل، وعندما تلاحظ أن هناك نظرات إعجاب بين جلنار والمملوك محمود، فإنها تستغل هذا الإعجاب لصالح أهدافها.

ففيما بعد، تتآمر هذه الوصيفة مع المغولي بلطاي، كي يسلمها الأميرة جلنار لقتلها، وهي تتخذ من القصر مكانا لإطلاق السهام على محمود حيث يقوم بلطاي باصطياده، ثم هي تأمر جلنار أن تعود إلى القصر باعتبارها أمة، بينما يقاتل محمود خصمه القديم .

وقد بدت زوزو حمدي الحكيم هنا كشريرة وسط صراعات تاريخية وسياسية، فهي صاحبة كما سبق، فإن أغلب ما جسدته زوزو حمدي الحكيم من أدوار كان لامرأة من الطبقة الأرستقراطية وقد وضعها في الإطار نفسه توفيق صالح في فيلم "صراع الأبطال" عام 1962، فهي جيهان هانم في إحدى القرى المصرية التي ترى مع ابنها عادل بك أن تصرفات الطبيب الوافد إلى القرية، تشكل خطرا لسلطانها وسيادتها، فالطبيب يشجع الفلاحين أن يطلبوا من صاحبة الأرض المزيد من الأجر الذي يتناسب مع ما يؤدونه من عمل، ويلعب الدكتور شكري دور المحرض ضد المرأة المتسلطة، والفلاحون بالفعل يحسون أن عليهم أن يحسنوا من ظروفهم المعيشية.

وجيهان هانم هذه تقف ضد أبحاث الدكتور شكري، حيث يتم استيراد بقايا المعسكر البريطاني وتقديمها للفلاحين، مما يسبب وباء الكوليرا، وتقرر المرأة أن تشتري ولاء الفلاحين إلى جانبها، فتدفع لهم أجرهم عبارة عن أموال، وجزء من هذه الأطعمة "الرابش"، ومن خلال

قوة شخصيتها فإن لا أحد من الفلاحين يمكنه أن يعارضها، فهي صاحبة الأرض، وابنها يملك مقدرات الفلاحين.

وتحت أعين الجميع، فإن الجنود البريطانيين يحملون الشاحنات إلى القرية، وقد امتلأت بهذا النوع من الغذاء الرابش، وهو عبارة عن بقايا أطعمة معسكرات الاحتلال، وتبدأ العدوى في الانتشار داخل القرية

وجيهان هانم تستخدم كافة ما لديها من سلطة للوقوف ضد محاولات الطبيب أن يعلن أن ما أصاب القرية هو وباء الكوليرا، فهي تجابهه على المستوى المهني والإنساني، إلى أن يتم اكتشاف حقيقة الوفاة..

في عام 1967 عادت الممثلة للظهور مرة أخرى، في النوعية نفسها من الأدوار، فهي المشرفة على "بيت الطالبات" في فيلم من إخراج أحمد ضياء الدين، هي امرأة بالغة القسوة على البنات وعودهن، هؤلاء الطالبات اللاتي جئن من قرى ومدن بعيدة للإقامة في البيت، منهن هيام التي تهوى الشعر، وتعجب بأحد الصحفيين، وتسعى لأن يكون لها ظل في العاصمة، وعندما تتأخر فإن المشرفة تقابلها بقسوة وصرامة.

وقد صور الفيلم المشرفة على أنها امرأة تهوى تعذيب الطالبات، وتنجح في طرد إحداهن من البيت لبعض الوقت، وتبعا لهذه القسوة، أو الالتزام، فإنه يتم نقل المرأة من عملها إلى مكان آخر .

وقد صور الفيلم المرأة على أنها تخطت سن الشباب، بلا أسرة، وتفتقد الجمال الذي تتمتع به الطالبات، كأن هناك سببا شخصيا، أكثر

منه مهنيا، والجدير بالذكر أن نجمة إبراهيم قد سبق أن جسدت مثل هذا الدور في فيلم "أربع بنات وضابط" عام 1954.

وفي عام 1969 مثلت زوزو حمدي الحكيم دور الأم في فيلم "المومياء" إخراج شادي عبد السلام، وهو الفيلم الذي يحسب لعام 1975، حيث عرض تجاريا، ونحن ننسب الفيلم إلى سنة صناعته هنا، لأن الممثلة قد توقفت عن العمل بالسينما قرابة تسع سنوات، حيث أعادها حسن الإمام مرة أخرى في فيلمه "حب فوق البركان" .

في "المومياء" هي أم من النوبة ليست شريرة، بل هي سيدة صارمة تقف في مواجهة شقيقي زوجها الراحل بصرامة، من أجل مصلحة ولديها، إنها سيدة الدار، تواجه المكتوب كما هو مقدر، لكنها لا تستسلم له، تدفع ابنها الأكبر أن يبحث عن أخيه ونيس. إنها امرأة متماسكة دائما حتى حين تبدأ في الإحساس بالانزعاج والخوف من المصير الذي سيؤول إليه ابنها ونيس الذي وقف ضد سرقة، وتخبئة الآثار، فهي تطرد ابنها بكل قسوة ووحشية، وتتبرأ منه بعد يأس مطلق.

إذن، فهناك أم ذات سمات خاصة، لا تقل عن سمات المرأة التي سبق أن جسدتها زوزو حمدي الحكيم في أفلام سابقة، وفي آخر حياتها، أدت هذا الدور على فترات متباعدة، فهي أم صعيدية أيضا في فيلم "قاهر الظلام" لعاطف سالم عام 1979 الابن هنا هو الصغير طه حسين، الذي فقد بصره بسبب الجهل، وعدم المعرفة في التعامل مع مرض أفقد

الطفل أغلى ما لديه، والأم هنا قوية الشخصية، لكنها لا تستطيع أن تخفي مشاعرها في ابنها المريض، تقف إلى جانبه في رحلته

كما أشرنا، فإن أدوارها القليلة، لم تعط تفسيرا لعدم عملها في السينما، فدورها شبه الأخير في فيلم "الوحش داخل الإنسان" لأشرف فهمي، سبق أن جسدته ممثلات أخريات من جيلها، باعتبار أن الفيلم مأخوذ عن رواية "تيريز راكان" لإميل زولا، وهو دور جسدته في السينما الفرنسية والأمريكية ممثلات غير شهيرات، ومن بين من جسدن هذا الدور فردوس محمد في "لك يوم يا ظالم" عام 1951، وأمينة رزق في "المجرم" عام 1978 والأم في هذه الأفلام تتعرض لصدمة، حين تعرف أن صديق ابنها قد أغوى زوجة الابن وصارت عشيقته وقتل الابن، فأصابها الخرس، وصارت بمثابة تمثال جامد يرى ما يحدث في البيت دون أن تتمكن من النطق أو تكشف حقيقة ما حدث، إلى أن يموت العاشقان الخارجان عن القانون.

لم تكن زوزو حمدي الحكيم في أدوارها الأخيرة امرأة شريرة، لكن شخصيتها فرضت على المخرجين الذين عملوا معها ألا يتجاهلوا أنها ممثلة تجسد ملامحها قوة الشخصية والقسوة، ولعل أهم ما في هذه الرحلة، أن عدد الأفلام القليلة التي عملت فيها، قد أخرجها مخرجون متنوعون، فلم تكرر التعامل مع أحد منهم سوى حسن الإمام وعز الدين ذو الفقار

.

زوزو نبيل

المدخل إلى فهم شخصية زوزو نبيل على الشاشة، أنها كانت امرأة قوية، وقد أكسب ذلك قوة لكافة الشخصيات التي جسدتها، سواء كان صوت شهر زاد الجميل، أم دور الأم الحنون، وأيضا دور الأم الشريرة، والمرأة الشريرة بشكل عام.

ولو توقفنا عند الفنانة الكبيرة، التي عرفت بشهر زاد، كصوت قوي، في حلقات ألف ليلة وليلة الإذاعية، فإن الصوت الجميل وحده لم يكن كافيا لإحداث هذا التأثير في المستمعين لعقود طويلة، فكم من أصوات جميلة لم يكن لها الأثر نفسه، بل نحن أمام صوت قوي وجميل معا، ومن هنا جاء سر بقائها.

وباعتبارنا نتحدث عن أدوار الشر التي مثلتها زوزو نبيل في السينما، فإن أهمية هذه الأدوار، أن قوة المرأة قد انعكست على قوة هذه الأدوار، ويمكن أن نقول أن الممثلة تأتي في الدرجة التالية مباشرة، في أداء هذه الشخصيات بعد نجمة إبراهيم، لكن ما ارتسمت به زوزو نبيل، أنها كانت أكثر جمالا، وأعذب صوتا من الممثلة التي جسدت الأدوار الأهم شرا في السينما المصرية. وبالتالي فقد استطاعت أن تعطي لأدوار الشر النسائية مساحة أكثر اتساعا، فهي المرأة الناضجة العاشقة، الشهوانية،

والأم الحازمة، والزوجة الخائنة، وهي أدوار لم يسندها المخرجون قط إلى نجمة إبراهيم..

وقد بدت قوة المرأة هنا، في الشر الذي تجسده، فهو شر لا يعرف التراجع، وبالغ القسوة، ولا تسامح لديه، ولا منفذ إليه سوى ارتكاب الجرائم والنهايات المأساوية لكل المحيطين بالمرأة، ولعل دور الأم الشبقة في فيلم "زمن العجايب" هو أخطر أدوارها على الإطلاق في هذا النوع من الأداء..

والممثلة التي عملت لأول مرة في السينما عام **1937** في "وراء الستار" لكمال سليم، لم تجد هويتها في أدوار الشر إلا على يدي حسن الإمام الذي أجاد توظيفها في هذا النوع من الشخصيات، في الكثير من أفلامه التي استعان بها فيها، ولا يحضرنا أن زوزو نبيل لعبت أدوار المرأة الشريرة حتى عام **1950** في أفلام مثل "سلامة" لتوجو مزراحي، و"هذا ما جناه أبي" لبركات عام **1945**، و"الخمسة جنيه" لحسن حلمي عام **1946**، لكن حسن الإمام هو الذي أدخلها إلى مملكة الشر مرتين في عام واحد هو **1951** بثلاثة أفلام هي: "أسرار الناس"، "أنا بنت ناس"، "حكم القوي"، وفي العام نفسه قدمها يوسف معلوف في دور الشريرة الأنيقة في فيلم "في الهوا سوا" كي تتخصص في مثل هذه الأدوار، إلا قليلا، وقد لوحظ أن زوزو نبيل، لم تكن غزيرة في عملها السينمائي، وأن قائمة أفلامها تنحصر غالبا في العمل مع حسن الإمام .

جسدت زوزو نبيل دور زوجة الأخ عادل في فيلم "أنا بنت ناس"، فنعمت التي هربت من منزل أسرتها في مدينة طنطا، تعمل في منزل عادل، دون أن تعرف أنه أخوها، إلا أن كوثر زوجة عادل تشعر بالضيق من نعمت، عندما تلاحظ أن عادل يتعامل معها برفق وحنو، فتعاملها بقسوة، ثم يصل الأمر أن تطردها من المنزل، ولا تتوقف مواقف كوثر عند هذا الحد، فهذه الأخيرة تقابل جدة نعمت بالقسوة نفسها عندما تأتي إلى بيت عادل للبحث عن نعمت، فتطردها ولا تبلغها بما حدث للفتاة المطرودة، أي أن كوثر هنا لم تكن امرأة قاسية فقط تجاه أخت زوجها، دون أن تعرف، بل أيضا تجاه جدته، وبتصرفاتها فإنها ساعدت على تفتيت الأسرة ، وهذه المرأة هنا تسعى إلى امتلاك زوجها، والسيطرة عليه، وهي لا تعرف الرحمة أو المراجعة.

وإذا كانت كوثر، زوجة لرجل له مكانته الاجتماعية، وتعيش في المدينة، فإنها في فيلم "أنا بنت ناس" امرأة خائنة، فهي تخون زوجها فتحي مع الشاب أنور (فريد شوقي) الذي آواه زوجها ومنحه فرصة للعيش الشريف، إلا أن أنور يدبر لولي نعمته فتحي جريمة كي يدخله السجن، فيخلو له الجو كي يعيش مع زوجته الثرية، وهذه الجرائم المتراكبة لا تودي برجل بريء فقط إلى السجن، بل أن أمينة ابنة فتحي، وابنة المرأة الخائنة أيضا تضل طريقها، فيقوم شخص آخر بتربيتها، وعندما تكبر أمينة تقابل أمها، دون أن تعرف إحداهما الأخرى، ويحاول أنور إغواءها، إلا أن الأم تعرف حقيقة ابنتها عن طريق سلسلة، فتقتل عشيقها التي عاشت

معه دون زواج، وفي النهاية فإن الأم تموت لحظة زفاف ابنتها، وهو مشهد سوف يتكرر، إلى حد ما، في نهاية فيلم "سجن العذارى".

في هذا العام، وضع حسن الإمام ممثلته في أدوار شر عائلية، أي أنها الأم شديدة القسوة التي سوف تدفع حياتها ثمنا للخيانة، ولتصرفاتها الخارجة عن القانون، ويبدو أن هذه التوليفة كانت تعجب حسن الإمام، فاستعان بنفس الممثلين ليعملوا في فيلم مشابه هو "زمن العجايب" عام 1952، وفيه عادت زوزو نبيل لتجسد دور أم لفاتن حمامة، لكنها أشد قسوة، فهي امرأة جميلة لها أنوثتها وسطوتها، وهي متزوجة للمرة الثانية من رجل، وعندما يموت الزوج الأول فإن ابنتها نعمة تأتي كي تعيش معها، وتشترط الأم أن تعمل لديها كخادمة، دون أن تبوح بسرها، وهي دائما تتعمد إهانتها، ومعاملتها بقسوة شديدة، والأم هنا امرأة حسين، خائنة، فهي عشيقة لرجل ثالث يُدعى عباس، تساعده في الغش في موائد القمار، أي أن القسوة والشر هنا مشاعر متراكبة، ويصل بها الأمر أن تطرد ابنتها من المنزل، وهي تعرف أن نعمة ليس لها بيت آخر، أو نادي، وذلك بعد أن أخطأت نعمة مع وحيد ابن زوج الأم، وهذه الأم تقوم فيما بعد بقتل عشيقها عباس، وفي المحكمة تعترف أنها القاتلة .

لم تكن الشخصية التي تجسدها زوزو نبيل بمثل هذه القسوة التي رأيناها في "زمن العجائب"، فهي تتعامل مع الابنة بقسوة، ولا تشعر نحوها بأي مشاعر أمومة، ثم هي تراود وحيد، ابن زوجها، وتحاول مغازلته، ومن ناحية ثالثة فهي تتخذ من رجل أفاق عشيقا، ثم تقتله، أي

أنها تمارس الشرور والجرائم الكبرى من الجحود، والخيانة، والقتل، وهي لا تعرف الرجوع عما تفعله، ولا تتوب، بل أنها تنال جزاءها بدخول السجن.

في عام **1951** أسند يوسف معلوف دور العمة إلى زوزو نبيل في فيلم "في الهوا سوا"، وهي المرأة التي تطمع في ثروة ابنة أخيها، وتريد أن تزوجها من واحد من أتباعها، كي تضمن بقاء الثروة تحت حيازتها، لكن الفتاة مغرمة بشاب بسيط يعمل فنانا، وتحس العمة بقرب ضياع الثروة، فتسيطر على الفتاة عن طريق التنويم المغناطيسي، وتجهز الاحتفال بزفافها، وقد بدت السمة التي توقفنا عندها، وهي القوة، من خلال المواجهة بين العمة، وبين متخصص يستعين به الحبيب، مع زميل له، فإذا بالعمة تسيطر تماما على الموقف، ويبدو ذلك واضحا في مشهد المواجهة بين العمة وخصمها، كل منهما يأمر الآخر أن ينام، وبعد عدة أوامر من المرأة يفرك المتخصص عينيه محاولا مقاومة النوم، فإذا به في النهاية ينصاع للنوم، وتنتصر العمة، مما يؤكد أن الشر الذي كانت تجسده زوزو نبيل كان قويا، يعكس أشياء ومظاهر عديدة من القوة، قوة الموهبة والشر، وتكريس كل هذه القوة لتحقيق مآرب خاصة بها، وهي السيطرة على رأسمال الأخ الراحل، من خلال السيطرة على ابنته.

وقد عاد يوسف معلوف مرة أخرى في بداية عام **1952**، بتقديم نفس الثنائي شادية وزوزو نبيل في فيلم "آمال"، فآمال أيضا وريثة لأموال كثيرة، والعم وزوجته يريدان السيطرة على المال، ولا شك أن

نجاح زوزو نبيل في أداء هذه الشخصية، قد جعل المخرجين الآخرين يقدمونها في الدور نفسه، مثلما فعل محمود ذو الفقار في فيلمه "غلطة العمر" عام **1953** حيث أسند إليها دور الزوجة المتسلطة منيرة، التي تتصرف مع زوجها الدكتور سامي بعجرفة، مما يدفع بالزوج أن يقع في غرام إحدى مريضاته، ويشعل هذا الأمر الغيرة في قلب منيرة، التي تحاول إعادة زوجها إليها، لكن الطبيب يختفي تماما من حياة زوجته ويتنكر في هوية أخرى كي يتزوج من حبيبته نادية.

في تلك الفترة، كانت زوزو نبيل تتمتع بجمال ملحوظ، وقوة شخصية، سكبتها في أداء دور الزوجة الغيورة، المتسلطة الشرسة، وذلك مثلما عادت إلى حسن الإمام في فيلم "في شرع مين" عام **1953** فهي الزوجة المستهترة زكية التي تعشق المال، ومن أجله تدفع زوجها أن يتاجر في المخدرات من أجل توفير المال اللازم لها، ويتم القبض على الزوج، ويسجن لمدة عشر سنوات، فتقيم زكية وابنتها لواحظ عند شقيقتها عائشة، وقد وضع حسن الإمام الشخصية التي تجسدها بطلته في ما يسمى بزنا المحارم فإن كانت الأم قد حاولت إغواء الرجل الذي يحب ابنتها في "زمن العجايب"، فإنها هنا تنجح في إغواء زوج أختها، بينما تنجح الابنة لواحظ في الإيقاع بخطيب ابنة خالتها نعمت، وبالفعل فإن زكية تتزوج من زوج شقيقتها، بعد أن تطردها من المنزل.

زكية هنا، خائنة وناكرة جميل وصاحبة إغواء وقاتلة، فهي تقتل ابنتها لواحظ عن طريق الخطأ، وتموت منتحرة، أي أن الجريمة هنا مركبة،

ومتداخلة معا، والجدير بالذكر أن السينما قد قدمت قصة مشابهة فيما بعد باسم "صابرين" بعد ذلك التاريخ باثنين وعشرين عاما.

وفي عام 1954 من إخراج حسن الإمام أيضا، قدمت زوزو نبيل دورا شريرا مشابها في فيلم "قلوب الناس" فهي صاحبة الكباريه التي تحب شريكها، وكلا الطرفين بلا قلب، يتعاملان بقسوة مع الأشخاص والعاملين في المكان، ويجد الرجل نفسه مجبرا أن يتظاهر أنه والد فتاة دخل أبوها – صديقه – السجن فتعامله الفتاة برقة، وتستطيع أن تجعله يتحول إلى شخص نبيل يقع في غرامها، أما المرأة فإنها تزداد شرا، وتسعى إلى أن تحيك المزيد من المؤامرات، فتسوق شابا، كانت على علاقة به، من أجل إغواء الفتاة كي تقع في هواه، وتتداخل الأحداث والجرائم، إلى أن تقبض الشرطة على المرأة ومساعدها..

وكما أشرنا، فإن حسن الإمام يضع بطلته هنا في إطار بعينه، فقد رأى أن زوزو نبيل يمكنها أن تنجح في هذا الدور، رغم أن إبراهيم عمارة، في تلك الفترة، قد منح زوزو نبيل دور الصديقة الطيبة في فيلم "لحن الوفاء" عام 1955 لكن حسن الإمام لم يرها إلا في دور المرأة الشريرة في فيلمه "اعترافات زوجة" فهي هنا تسمى أوسة، تعمل في محال خياطة الملابس، بالإضافة إلى أنها تدير منزلها للدعارة، تعمل على ضم نادية زوجة الدكتور محمود ضمن شبكتها، وذلك بعد أن أوحت لها أوسة أن زوجها على علاقة بامرأة أخرى، أي أن أوسة هنا خارجة على القانون في عدة صور، منها فتح بيت دعارة، والعمل على هدم بيوت

قائمة وسعيدة، وهي هنا صاحبة مكانة، فنادية تطلب الطلاق من زوجها، وتضحي بابنتها، وفي أفلام حسن الإمام، فإن العقاب لمثل هذه المرأة بالغ القسوة، مثل قسوة المرأة نفسها، ففي النهاية يحترق مترل أوسة وتموت بداخله، أما نادية فتقوم بقتل عشيقها أحمد، وتنتحر..

إنها أدوار بلا أمل، ولا منفذ منها إلى عالم أفضل، فالخارجات عن القانون ينتظرن عقابا بالغ الصرامة، ويمثلن في ظروف بالغة البشاعة، قد تتناسب مع ما ارتكبته من جرائم، مما يجعل العظة ماثلة في نهاية الفيلم أمام المتفرج. وقد عاد حسن الإمام عام **1957** ليضع بطلته المفضلة في هذه الأدوار، في شخصية مماثلة في فيلمين هما "وكر الملذات" و"لواحظ" ففي هذا الفيلم، تعترف الأم لابنتها الراقصة المغنية في الكباريهات، وهي في مستشفي السجن، أنها أي لواحظ الابنة ليست ابنة المعلم عزب المحكوم عليه، ولكنها ابنة رجل محترم تزوج بها سرا، ثم انفصل عنها؛ فتزوجت من بعده المعلم الذي استغلها وأشركها في جرائمه ..

ومساحة الأم هنا دراميا صغيرة، فهي موجودة في السجن، لكن مسيرتها كما نرى معبقة بالإجرام، فهي متزوجة من رجل عصابات، وهي توجه ابنتها إلى العمل في الحانات، وبيوت الهوى كما أنها أخفت حقيقتها عن الابنة لواحظ .

وفي فيلم "وكر الملذات" جسدت زوزو نبيل دور الست الهانم، التي تملك وتدبر أوكار الرذيلة والقمار، وهذه المرأة قوية يهابها الجميع، قاسية لا تعرف الحرمة، ولا يهمها إلا تحقيق أطماعها، لكنها تعيش حياة

مزدوجة، فهي أم لشاب حصل على أعلى الشهادات تفخر به أمه، ولا يعلم قط مهنة أمه، ويقع الشاب حسنين في غرام الفتاة نعيمة، دون أن يعرف أنها إحدى بنات الليل اللاتي يعملن في الملهي الليلي الذي تمتلكه الأم، وفي مشهد مدهش فإن حسنين يقدم حبيبته إلى أمه، وتذهل الأم وترفض دون أن يكون لديها التبرير لرفضها، إلى أن يقوم شخص خصم للأم بقيادة الابن إلى وكر أمه، التي تديره للدعارة، فتكون الصدمة، وتنتحر الأم..

إنها المرأة نفسها، والجزاء والسلوك والسمات والمصير، ولعل ذلك يقودنا إلى التعرف على أفلام حسن الإمام، لكن ليس هذا مكان للمقارنة والدراسة، لكن منها يمكن أن نستخلص ونتعرف على الدور الواحد الذي جسدته الممثلة، من فيلم لآخر، لدرجة أن السيد بدير عندما قدم زوزو نبيل في دور الزوجة في فيلم "المجد" في العام نفسه، فإن الزوجة هنا لم تختلف كثيرا عن المرأة التي جسدتها الممثلة في أفلام حسن الإمام، فالزوج الممثل الشهير يكتب لزوجته جميع ممتلكاته، وما إن يفعل ذلك حتى تنقلب عليه، وتجعل حياته جحيما لا يطاق؛ مما يجعل الأب أكثر اهتماما بابنة يحيى وبعمله، ويقع في غرام إحدى المعجبات به، وفي إحدى الأمسيات يموت الابن وهو يعبث بسيارة أبيه، فتكاد الصدمة أن تحطم حياة الزوج الفنان الذي ينصرف إلى الخمر محاولا أن يغرف حزنه، وقد أصبح لا يطيق أن يرى زوجته..

والزوجة فيما بعد، تنتقم من زوجها، لأن في حياته امرأة أخرى، فتمتنع عن إعطائه النقود التي كتبها باسمها من قبل فيدمن الخمر ويلاحقه الفشل..

الزوجة هنا بالغة القسوة ناكرة للجميل، تسببت بأن تقتل ابنها، بقسوة، ولأنها رفضت أن تذهب معه لمشاهدة أبيه على خشبة المسرح، وهي تشارك في هدم زوجها قطعة تلو الأخرى، والزوجة هنا تموت أيضا في حادث سيارة مثل ابنها، وتترك ميراثها لزوجها الذي لازمه الجنون .

إنه شر دون أي بارقة أ مل، وهو شر متراكب داخل المرأة، وقد تكرر مثل هذا الشر من جديد، في فيلم آخر للسيد بدير، هو "غلطة حبيبي" عام **1958**، فهي هنا ابنة بلد لعوب تسمى عزيزة تقيم علاقة مع الشاب صلاح، ثم تتزوج من عمه، وبعد أن يفاجأ صلاح بأن عشيقته قد صارت زوجة للعم، تبلغه المرأة أنها حملت منه، والمرأة هنا تسعى إلى السيطرة على بيت العم، الحاج عبد الله الثري، الذي يملك البيوت والورش، ومن خلال سيطرتها على الزوج يقوم الأب بطرد ابنته، وخطيبها صلاح، والزوجة الشريرة في هذا الفيلم تدبر المكائد، وتسعى إلى السيطرة على البيت، وتخون زوجها، وتوهم صلاح أنه والد ابنتها من خطيئة، ومصيرها معروف، حيث تستقر رصاصة خاطئة في صدرها..

في عام **1959** قدمت زوزو نبيل أكثر أدوارها شرا في فيلم "سجن العذارى" إخراج إبراهيم عمارة الذي قدمها قبل أربع سنوات في دور الفتاة الطيبة، كما أشرنا، فهي هنا "أم أوسة"، وهي رئيسة عصابة

تمارس عملية النشل، تدير مجموعة من الرجال يعملون في خدمتها، ولمصلحتها، الدور هنا أقرب إلى ما جسدته نجمة إبراهيم في فيلم "جعلوني مجرما"، مع اختلاف في التفاصيل، والمرأة هنا تغري شابا يحب ابنتها، أي أننا هنا أمام علاقات مزدوجة محرمة فأم أوسة تتودد لكمال ابن الأرملة التي تقاسمها ملكية البيت القديم التي تود أن تبيعه، وأمام هذا الإغواء، يقنع كمال أمه ببيع البيت، ويبدد قيمة المترل. وأم أوسة تدفع ابنتها (سميرة أحمد) إلى ممارسة النشل، الابنة بالنسبة لها جلابة حافظات نقود ولا أكثر، وهي تقع في أيدي رجال الشرطة، وتودع السجن، وفي السجن تبلغ أوسة عن أمها، وأنها السبب فيما تمارسه. وعقب الإفراج عن المرأة وابنتها فإن الأم تحاول أن تزوج ابنتها من أحد رجالها المجرمين، وتسعى إلى التخلص من كل من يساعد ابنتها، خاصة الدكتور مهدي الذي يتولى رعاية الفتاة الحدث، وتصبح المرأة هاربة من الشرطة، وتتخفى خلف الأشجار كي تشاهد ابنتها تزف إلى كمال..

وفي عام **1961** عادت زوزو نبيل مرة أخرى، إلى حسن الإمام في فيلم"الخرساء" لتلعب دور زوجة الأب، كانت الممثلة هنا، قد صارت أكبر سنا، وفقدت جزءًا من ملامح جمالها، لكنها لم تفقد مصدر قوتها، ولا قدرتها على السيطرة على الآخرين، فهي زوجة الأب التي تعامل الابنة الخرساء بقسوة شديدة، وهي التي توحي إلى الأب أن طبيب القرية هو الذي اغتصب الابنة نعيمة، وتثير أهالي القرية ضده، إلى أن يغادر المكان..

ولعل حسن الإمام، هو أول من أحس بأن علامات الزمن بدأت تترك آثارها على ممثلته المفضلة لأدوار الشر، فمنحها في عام **1963** دور المرأة الطيبة لأول مرة، الأول في "امرأة على الهامش"، أما في "بين القصرين" فلم تكن المرأة الشريرة، لكنها المرأة القوية التي لا تخضع لزوجها الأسبق أحمد عبد الجواد، فخرجت عن دائرته، وصار من حقها أن تتزوج، فتتعدد أزواجها، وحين ذهب ابنها ياسين يطلب منها ألا تتزوج مجددا لقنته درسا حول أبيه المتسلط، وظهرت كامرأة بالغة القوة من حقها أن تتزوج وإلا تظل باقية حياتها حاملة لقلب مطلقة لأحمد عبدالجواد.. وفي المشهد الذي ظهرت فيه زوزو نبيل كشفت عن موهبتها، وما تتمتع به كامرأة قوية الشكيمة، لا تعرف الهزيمة أو التراجع

ومع الزمن، بدأت أدوار زوزو نبيل السينمائية تتغير، فإذا كان دورها الصغير في "هذا الرجل أحبه" يثبت أن صوتها قد سبق ظهورها، فتثير الخوف والرعب في قلوب سكان البيت الريفي الواسع، فإن هذه المرأة التي حرقت المترل، وحملت شالا قديما، قبل أن تحترق بدورها، هي امرأة ضحية جنونها، أكثر منها امرأة شريرة..

وشيئا فشيئا، تخلت زوزو نبيل عن أدوار الشر، وإن لم تتخل عن أدوار المرأة القوية التي لا تعرف التنازل أو الهزيمة، مثلما شاهدناها في "الست الناظرة" عام **1968** والغريب أن علاقتها بالسينما بدأت تتقلص بشكل ملحوظ، فلم نرها طول العقد الثامن من القرن العشرين – السبعينات – سوى في فيلمين هما: "الجبان والحب" لحسن يوسف عام

1975، و"امرأة بلا قلب" عام 1978، واختفت طوال الثمانينات تقريبا، لتعود في التسعينات في دور الأم التي يواجه أبناؤها المشاكل المتعددة، وتشاركهم وقائعها..

إذن، فالشر الذي جسدته زوزو نبيل مرتبط في المقام الأول بمرحلة سنية معينة، هي سنوات الخمسينات، وأيضا باقتناع مخرج بقدرتها على عمل هذه الأدوار هو حسن الإمام، وقد تبعه في ذلك مخرجون آخرون عملت معهم في أفلام أقل عددا مثل يوسف معلوف، والسيد بدير، ولعل ذلك يدفعنا إلى التساؤل: ماذا كانت المسيرة لو لم يقتنع بها حسن الإمام، ويقدمها بهذه الصورة البالغة القسوة، الإجابة في حياتها الفنية التي أبعدتها عن السينما لعقدين كاملين إلا قليلا، فاقتصر عملها في الإذاعة والتلفزيون ..

كمال الشناوي

الوسامة التي تمتع بها كمال الشناوي، أكسبت أدوار الشر والإجرام العديدة التي قام بها، الكثير من الأناقة والقبول، فقد جمعت هذه الأدوار بين الوغد والأناني والقاتل والشرير والمجرم، وفي كل هذه الصور كانت الشخصية التي يجسدها تبدو ذات مكانة اجتماعية مرموقة يعززها ما يرتكبه من جرم كي يتمكن من الصعود اجتماعيا.

ورغم أن الصورة الغالبة الباقية في الأذهان عن الأدوار التي جسدها كمال الشناوي، هي ذلك العاشق الوسيم ابن الطبقة الموسرة، الكثيف الشعر، الذي لم يتخل أبدا عن شاربه، أو يحاول تغيير شكله، الأنيق في ملبسه صاحب الصوت المميز، فإن بعض المخرجين قد نجحوا في إخراج الشناوي من هذه الصورة لتقديمه في صورة الشرير الذي أوجزنا ملامحه في كلمات قصيرة، وكان على رأس هؤلاء كمال الشيخ الذي عرف كيف يوظف الممثل العاشق في أدوار صاحب المؤامرات، القاتل الأناني الوصولي في أفلام عديدة في الستينات والسبعينات، هذه الأدوار التي ساعدت الممثل على الخروج من دائرة الأدوار السطحية النمطية التي اعتدنا عليها، وذلك منذ أن عمل لأول مرة في فيلم "الغريب" الذي ساهم في إخراجه أيضا حسين حلمي المهندس. وحتى فيلم "الهارب" عام

1974، أي طوال عشرين عاما كاملة، قدم خلالها كمال الشيخ ممثله الوسيم أفضل ما أداه على الإطلاق.

وخلال رحلة الممثل الطويلة التي بدأت عام 1947 فإن هناك نوعين من المخرجين وضعاه في صورتين متناقضتين، النوع الأول لم يشأ أن يخرجه عن أدوار العاشق خاصة أمام شادية التي لعب أمامها تسعة عشر فيلما عاطفيا، أما النوع الآخر، فقد رأى خلف هذا الوجه الوسيم، الطيب، ملامح وغد شرير، مجرم حقيقي، يمارس ما يسمى بالجريمة الأنيقة، المتقنة، مثلما فعل في "حبي الوحيد"، وهو يدبر خطة متقنة لقتل زوجته بالسم..

ولعل هنري بركات، هو أول من قدم كمال الشناوي في دور الشرير، في فيلم "أمير الانتقام" عام 1950، فهو الشاب الذي يحب الفتاة ياسمين، ويريد أن يتزوجها وعليه إزاحة خصمه البحار حسن الهلالي من أمامه بأي ثمن، فيتعاون مع خصمين آخرين للهلالي، ويوقع على خطاب يتم إرساله إلى رئيس الشرطة، بأن الهلالي لديه رسالة سرية خطيرة مما يدفع بالشرطة أن تقبض على الشاب ليلة عرسه ويصبح في إمكان الخصم أن يتزوج من ياسمين التي تنجب له شابا يافعا لن يلبث أن يعرف ماضي أبيه القذر، فلا يغفر له.

وقد انتقم الهلالي من خصمه هذا انتقاما شرسا، بأن فضحه أمام ابنه وزوجته، وكشف ما ارتكبه في شبابه من جرم، مما دفع به أن ينتحر أمام أسرته تكفيرا عن ذنب اقترفه.

وقد عاد المخرج نفسه، بركات، عام **1954** ليقدم ممثلة في واحد من أكثر أدواره شرا، حيث يكشف الشناوي عن ممثل متميز وسط أدواره الخفيفة الأخرى في فيلم "رسالة غرام" المأخوذ عن قصة ماجدولين، تأليف ألفونس كار وفي هذا الفيلم هو الوغد، أكثر منه الشرير، أو مرتكب الجريمة، فهو صديق للمطرب وحيد، والذي يردد دوما أنه مخلص، ويحب الأصدقاء، ويقدر الصداقة، أما هو فإنه يرى أن الصداقة قائمة على المصلحة في المقام الأول، ويعترف بذلك أمام وحيد الذي يرسله إلى المحطة لاستقبال حبيبته القادمة من الفيوم، وفي السيارة التي تقلهما إلى بيت وحيد، فإنه يغويها ويبدأ في أعمال الوقيعة فيما بينهما، ثم يكرر محاولاته إلى أن ينجح في توريطها معه، بعد أن اغتصبها عنوة، ويتزوج منها، ويبدأ في ابتزازها، وقد صور الفيلم هذه الشخصية وقد مارست كل ما اتسع لها من أسباب الشر والخروج عن حدود اللياقة والأخلاق، فهو يختطف حبيبة صديقه الذي طالما منحه من الهبات والمنح، كما أنه يغتصب الفتاة ويتزوجها، وبعد أن تنجب منه فتاة فإنه يغرق في لعب القمار وشرب الخمر ويهمل أسرته التي فعل الكثير من أجل الحصول عليها، وفي النهاية فإنه يموت مع زوجته في حادث سيارة سببه التهور في القيادة، ويترك الاثنان ابنتهما إلهام التي يتولى وحيد رعايتها، ويكرس حياته من أجل تربيتها..

ولا نستطيع أن ننكر أن المخرجين لم يجدوا من هو أكثر وسامة من كمال الشناوي ليحبسوه فقط في أدوار العاشق الرومانسي، في عشرات الأفلام أمام شادية، ومريم فخر الدين، وسامية جمال، وماجدة،

وصباح، إلا أن محمود ذو الفقار الذي أسند اليه دور عباس في "المرأة المجهولة" عام **1959** هو الذي فتح له الباب كي يمنحه المخرجون الآخرون أدوار الشر بشكل مكثف طوال الحقبات التالية..

فعباس هذا بلطجي، يدير مترلا للدعارة ويبتز النساء، ويدفعهن للعمل عنده، وعلى مر السنوات تغيرت سحنته، من الشاب الوسيم، إلى العجوز الأشيب الأصلع، الذي لم يتخل يوما عن ما لديه من قوة شر، فهو يستخدم كافة أسلحته للتأثير على النساء لممارسة الشر الذي يريده، ففاطمة، الزوجة المخلصة، حين تذهب إلى بيت عباس لزيارة صديقتها سعاد، فإن الشرطة تهاجم المترل، ويتم القبض على فاطمة، ولا يتفهم الزوج الأمر، وهو الطبيب المشهور، فيطلقها، ولا تجد بعد إطلاق سراحها سوى أن تعمل في الحانة التي يرعاها عباس الذي يطلب منها إتاوة، يهاجمها وسصفعها عندما ترفض الدفع، وفي معركة معه، تموت سعاد بطعنة من عباس الذي يدخل السجن.

نحن إذن أمام شرير مارس الكثير من أنواع الجريمة، ابتداء من البلطجة، إلى الدعارة، ثم القتل والأبتزاز، فبعد خروجه من السجن يكون العجز قد حل به، ويسعى إلى ابتزاز فاطمة التي تبيع اليانصيب، خاصة حين يعرف أن ابنها قد صار محاميا مشهورا فيأخذ منها الأموال حتى لا يكشف سرها أمام ابنها، وبذلك يؤثر على مستقبله، ولا تجد فاطمة أمامها سوى أن تطعنه.

أغرب ما في هذا الفيلم أن الثنائي العاطفي الشهير (شادية – كمال الشناوي) قد ظهرا في شكل مختلف تماما أمام الناس، فبدلا من مشاهد الحب والتضحيات والأغنيات الرقيقة الخفيفة، فإن كل منهما يصبح قاتلا حقيقيا، هو يقتل سعاد في معركة شرسة، وفاطمة تقتل عباس، وقد أصابها المشيب، والشيخوخة، دفاعا عن مستقبل ابنها.

والطريف أيضا أنه في تلك الفترة، وفي أفلام أخرى، ظهر الاثنان في أدوار رومانسية طريفة مثل "قلوب العذارى"،"عش الغرام"،"معا إلى الأبد"..

وفي عام **1960** قدم عز الدين ذو الفقار القصة الأولى من فيلم "البنات والصيف"، وفيه جسد كمال الشناوي دورا أقرب إلى ما سبق أن جسده في "رسالة غرام"، فهو الصديق المخلص عمر، الذي لم يفترق قط عن صديقه إسماعيل، وقد ربطت بينهما صداقة متينة، وعندما تزوج إسماعيل، وهو أقرب إلى الطيبة البلهاء، فإن الثلاثة لا ينفصلون، وإسماعيل هنا الوغد، لا يستخدم المفردات التقليدية التي يستخدمها الممثلون عند ممارسة شرورهم مثل تلعيب الحاجب أو تجسيم الصوت، بل هو يستخدم جاذبيته وألاعيبه وذكائه لإيقاع وفية في الخطيئة، وهي المرأة المحرومة من عطف زوجها، ويبدو ذكاء وأسلوب المخرج في مشهد قطعة الجاتوه، فالمرأة تمتلئ برغبة، وهو يجذب قطعة الجاتوه نحوه، حتى تقع في أحضانه، وقد حاولت وفية ان تنبه زوجها، لكن إسماعيل يبدو سلبيا، ولا يتخذ أى موقف إيجابي، كما أن الزوجة هرب إلى بيت أبيها، فيأتي عمر لإعادها،

وعندما تكتشف أنها حامل فإنها تطعنه بسكين الفاكهة، وتنتحر بأن تلقي بنفسها في البحر..

والغريب أن المخرجين، قد جعلوا كمال الشناوي يقوم بأدوار الشر فقط، في تلك المرحلة أمام مريم فخر الدين، فبعد أن قام بدور الوغد الذي حاول الإيقاع بالفلاحة الساذجة عام **1954** في "الأرض الطيبة" فإن محمد كمال حسن المحامي قد أسند إلى كمال الشناوي دور الزوج أمام مريم فخر الدين مجددا في فيلم "أقوى من الحياة"، عام **1960**، فنحن هنا أمام موظف صغير تزوج من مطلقة ثرية لها ابنة صغيرة من زواجها الأول و كما يحس بالغيرة من أحد أقربائها الذي يتردد على المنزل، يدبر خطة لقتل ابنة زوجته، يدس السم لها في الشراب، لكن ابنه يتناول السم، ويموت وتتجه الشبهات نحو الأم، وتساق إلى المحكمة. وتبدو تصرفات الشر في الأب هنا، حين تؤول إليه ممتلكات الزوجة السجينة، فهو يطرد المربية، وينفرد بالمنزل وحده، صحيح أنه حزين على وفاة ابنه، لكن الشر الذي تملكه، جعله ينتقم من الجميع، وقد استطاع الممثل هنا أن يضيف إلى هذا الشر نوعا مختلفا من الأداء، فهو المنهزم الذي كسب الكثير، وخسر أيضا الكثير، فلا ينعم بما كسب قدر استخدامه في التخلص من خصومه حتى ينكشف أمره. هو هنا قاتل وحاقد ومجرم مع سبق الإصرار، وناكر للجميل، ومخادع، ومنتقم، كل هذا معا..

في العام نفسه جسد كمال الشناوي دور دساس السم أيضا في فيلم "حبي الوحيد"، والذي لنا عودة أخرى اليه ونحن نتحدث عن علاقته بكمال الشيخ.

وفي عام 1973 وفي فيلم "نساء الليل" لحلمي رفلة، عن قصة كتبها الشناوي نفسه، لم يكن الفنان أحمد حمدي بالشرير، قدر ما هو المبدع الأناني الذي يبحث عن النجاح الفردي، دون أن يأبه بمصائر الآخرين، ويمكن أن نقول أنه الوغد أكثر منه المجرم، رغم أن تصرفاته أسفر عنها موت أشخاص أبرياء.

فالفنان يبحث عن موضوع لوحة سوف يشترك بها في مهرجان دولي، ويتعرف على العاهرة زينب التي تمثل الضياع، فيستجلبها إلى منزله، وهناك تشعر بالراحة وتحبه من طرف واحد وتتبدد ملامح الضياع، مما يعني أنها لم تعد بذات أهمية بالنسبة له، فيلفظها، وذلك أمر مرتبط بأنانية الفنان، إلا أنه، من ناحية أخرى، يجد جارته يسرية في شقته، فيعتدي عليها تحت وقع الخمر، ودون أن يدري، فإن هذا الحادث يتسبب في وفاة أم يسرية التي تشاهد ابنتها تخرج من شقة الرسام، فتصدم، كما أن يسرية تنتحر عندما يتم القبض عليها في بيت دعارة ذهبت اليه عن طريق الخطأ.

ولا يمكن أن نقول أننا أمام شرير بالمعنى المألوف، بل نحن أمام فنان أناني وغد، يبحث فقط عن نجاحه الخاص، وينسى من شاركوه هذا النجاح، وتتعدد ضحاياه بشكل ملحوظ، وفي مشهد النهاية، فإن صديقه

الشاب الذي يحب يسرية، يصرخ فيه، وهو المذهول "ارسم يا فنان.. يا عظيم. ارسم".

ومن الملاحظ أن الذي منحوا كمال الشناوي أدوار الشر، لم يسبق لهم أن تعاملوا معه في السينما، مثل محمود ذو الفقار، ومحمد كامل حسن، ثم علي بدرخان الذي منحه دور عمره في "الكرنك" فهو خالد صفوان، كما وصفه الناقد مجدي فهمي "سوط مرفوع يلهب الظهور" إنه حجر ضخم، كل مكان يحط عليه يتحول إلى أشلاء وحطام، إنه جنكيز خان، وهولاكو، وراسبوتين معا، له نعومة الثعبان وسمه الرعاف إنه جزيرة أحقاد في بحر حب.

"وخالد يؤمن بشعار غريب: أنا أؤذي إذن أنا أعمل".

خالد صفوان هذا شخص يملك سلطات بلا حدود، وكرسيا بلا حساب، ويتخذ من كافة الإجراءات الاستثنائية المخالفة للقانون حجة لحماية الثورة، كما أنه يرتكب من الجرائم والموبقات الكثير، كل هذا بزعم حماية الثورة، إنه شخص يعتقل ويحبس حتى الوزراء، لا حساب عليه ولا رادع، فهو هنا قوة هائلة تشعر المسؤولين دائما أن هناك خطرا يتهددهم، وهذا سر بقائه في منصبه.

وخالد صفوان هذا هو قمة الشر الذي جسده كمال الشناوي، إنه رئيس الاستخبارات سلط عينيه في فترة على الجامعة، فوقعنا على مجموعة من الطلبة تخط على لافتات من قماش شعارات لترفعها في

مناسبة، وسمعت أذناه تعليقات حول هذه الشعارات، وتستقر عيناه على المقهي الصغير الذي يتردد عليه مجموعة الشباب،فيقوم بإصدار القبض عليهم، ويعرضهم لصنوف من العذاب، ثم يفرج عنهم ليقبض عليهم من جديد بتهمة التحزب للإخوان المسلمين، ومرة أخيرة بتهمة تحريض العمال في مصنع كبير للنسيج. وفي كل مرة يتفنن خالد وزبانيته في وسائل تعذيب فرائسهم، فهم تارة يجلدون إسماعيل، وأخرى يغتصبون زينب، وفي إحدى المرات يقضون على حلمي بالنعال وكعوب البنادق.

وقد أدى كمال الشناوي الدور بتفرد واضح، فهو قليل الانفعال، لا يلون مخارج ألفاظه بين التهديد والوعيد والإغواء، وقد كتب مجدي فهمي أنه يثبت"بهذا الدور أنه مثل الخمر الأصيلة، السنون تضاعف من قوته ومفعوله.. كنت أعتقد أنه أبدي الشباب فقط، فإذا بموهبته أيضا تزاحم شبابه على الخلود".

عندما صار كمال الشناوي أكبر سنا، أسندت اليه الأفلام في الثمانينات والتسعينات، أدوار رجل الأعمال الناجح، وهو ليس شريرا بطبعه، لكنه في فيلم "الوحل" لعلي عبد الخالق **1987**، هو عصمت بك الذي يحظى باحترام المجتمع، يقرر الانتقام من الضابط الشاب خالد الذي قتل ابنه أثناء إحدى المطاردات، عصمت إذن يعمل في تهريب المخدرات، وهو يجمع المعلومات عن الضابط وأسرته، ويقرر أن يكون الانتقام في شخص لبنى زوجة الضابط، بأن يحطمها ويجعلها مدمنة مخدرات، هو شرير ذكي، ثري، أنيق، مثلما عهدنا الممثل في هذا النوع من الأدوار،

إنه يفعل ذلك لهدف خاص بنشاطه كمهرب مخدرات، فهو يستخدم الزوجة لكشف أسرار زوجها وخططه لمحاربة تجار المخدرات بحيث يفشل كل كمين يضعه الضابط للقبض على العصابة.

أما الدور الثاني، كأب يسعى للانتقام من أجل ابنته، فهو فيلم "المخطوفة" عام **1991** إخراج شريف يحيى، فهو راتب بركات المليونير والد الفتاة المدللة نيفين، التي تصدم سيارة الأجرة التي يمتلكها الشاب الفقير المكافح حسين، وفي قسم الشرطة، يبدي الأب رغبته لدفع التعويض المناسب للسائق، لكنه عندما يعلم من ابنته أن حسين قد صفعها، فإنه يتحول إلى وحش كاسر، يرفض أن يعطيه مليما واحدا، بل ويقرر الانتقام لكرامة ابنته، ليجد حسين نفسه بلا مورد رزق، باعتباره العائل الوحيد لأسرته، كما يعجز عن تدبير نفقات علاج أمه المريضة المسنة، ويلح ليساعده راتب بركات، لكنه يرفض ويطرده من مكتبه بقسوة، تموت الأم، ويقوم السائق بخطف الابنة بهدف إذلال المليونير، فيحبسها في مكان مهجور وراتب هنا، لا يلجأ إلى الشرطة، ولا يستسلم إلى الضغوط، إنه من الرجال الأقوياء الذين أفرزتهم المرحلة، حيث يستأجر عددا من البلطجية لاستعادة ابنته المخطوفة.

والسينما التي أسندت لكمال الشناوي في شبابه أدوار الشاب الرومانسي، هي التي أسندت اليه دور رجل الأعمال الخارج عن القانون في "الجبلاوي"، و"زوجتي والذئب"، إلا أنه في الفترة الأخيرة أدى دور الشرير، أو الوغد، أو النصاب، في إطار كوميدي محبب، فنجح في أن

يغير من صورة الشرير، رغم تقدم السن به بشكل ملحوظ، فقدمه نادر جلال في دور السجين الذي يتوب في "131 أشغال" عام 1993، وفي "طأطأ وريكا وكاظم بك" كان هو النصاب خفيف الظل الذي ينجح في سلب الثريات المال، وفي "لحم رخيص" فإنه مقاول تزويج بنات قريته من الأثرياء العرب الذين يتزوجون البنات الصغيرات لأسباب جنسية، ولبعض الوقت، قبل أن يدفعوا بهن إلى العودة إلى قراهن مرة أخرى. وفي فيلم "الصاغة" عام 1996 إخراج أحمد السبعاوى، فهو الحوت الذي يسيطر على شارع الصاغة ويتحكم في أسعار المجوهرات، وهو عاشق النساء، متزوج من أربع نساء، ويحتفظ بعلاقات مع أخريات. ويواصل هواياته في مطاردة النساء، رغم زواجه من فتحية التي يطلقها، وفيما بعد تنافس فتحية الحوت في مزادات الذهب وتلفق له تهمة ليدخل السجن، لكن تثبت براءته، يقرر الانتقام منها، فيشتبك معها إلى أن تقع في إناء به ذهب منصهر شديد السخونة، فيتشوه وجهها، ويتم القبض على الحوت بتهمة قتل أحد المسئولين.

أشرنا في البداية، أن كمال الشيخ هو المخرج الذي وضع كمال الشناوي في أدوار الشر، منذ بداية تعامله معه في "الغريب" عام 1956، وقد تكرر التعاون بين الرجلين، ولم تخرج صورة الشخصية التي يجسدها الشناوي عن الشرير أو الوغد والخارج عن القانون في مجموعة من الأفلام هي "حبي الوحيد" عام 1960 ثم "اللص والكلاب" عام 1962 و"الرجل الذي فقد ظله" عام 1968، و"الهارب" عام 1974، والجدير بالذكر أن أفلام كمال الشيخ ذات الطابع البوليسي أو المأخوذة عن

نصوص أدبية، كانت تعتمد على وجود الشرير أو الوغد، الذي يسعى إلى استخدام الجريمة لمصلحته الشخصية، وفي فيلم "الغريب" المأخوذ عن رواية "مرتفعات ويذرنج" لإميلى برونتي، فإن كمال الشناوي الشاب الوسيم هو الابن الثري الذي يعود من رحلة إلى الخارج، بعد وفاة أبيه، كي يتولى حكم البيت بطريقته الخاصة، لا يمكن أن نعتبره شريرا بالمعنى المألوف، لكنه الصارم الذي يود أن يضع كل شيء في نصابه، فهو على عداء دائم مع غريب، ابن الشارع الذي التقطه الأب الراحل، وكفله في داره، فعاش كابنه إلى جوار ابنته، وابنه حين كان صغيرا، وقد نمت مشاعر الكراهية تجاه غريب الذي تساوى مع الابن الحقيقي، لذا فعندما يعود من الخارج، يأمر أخته بعدم الاختلاط بهذا الغريب، ويأمره أن يلتزم مكانه كخادم، لا يأكل معهم، ولا يتساوى بهم.

أما دور الزوج في فيلم "حبي الوحيد"، فإن رشدي هنا يحاول التقرب من منى، ويتقدم لها، وهي التي على علاقة حب بالطيار الشاب عادل، وتضطر منى إلى الزواج من رشدي، دون أن تعرف أن عادل قد تعرض لحادث، وبعد الزواج، يبدو رشدي غيورا وفظا، وعندما يظهر عادل مرة أخرى، فإن الغيرة تشتد بالزوج الذي يدبر خطة متقنة يضع فيها السم الرعاف لزوجته، وأن تتجه الشكوك إلى عادل، وقد استغرق الفيلم وقتا طويلا، في إعداد الجريمة وتنفيذها، وقيام الزوج بنقل امرأته من مكان إلى آخر حتى تخرج الجريمة الكاملة، لكن ضابط الشرطة، يكتشف الحقيقة، بينما تعلن الزوجة التي شفيت من السم أنها حاولت الانتحار كي لا تتجه الشبهات إليه.

وفي "اللص والكلاب" فإن رؤوف علوان ميكافيللي النزعة، يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، وهو يدافع عن الجرائم الصغيرة التي يمارسها سعيد مهران، في المدينة الجامعية، لكنه يقف ضده حين صار صحفيا كبيرا، أعطاه القليل من المال حين زاره، وانتظره أن يعود إلى البيت ليسرقه، ففتح له النافذة، فهدده، وأخذ منه ما منحه، ثم هو يستغل جريمته، كي يؤلب عليه الرأى العام، ويحقق لنفسه المجد الصحفي. والشرير هنا، وغد في المقام الأول، وصولي، يعرف كيف يستفيد مما يحدث حوله، وإذا كان الفيلم قد تعاطف مع القاتل، وأعطاه بعدا انسانيا، ورأينا الكثير من جوانب حياته الخاصة، فإنه قام بتسطيح حياة الصحفي الوغد حيث رأيناه مقطوع الجذور بلا أسرة، أو أصدقاء، وقد انقلب على شخص قام بتثقيفه على طريقته.

شخصية الصحفي الوغد الوصولي، تكررت بين كمال الشيخ والشناوي في "الرجل الذي فقد ظله" مع المزيد من التفاصيل، فنحن هنا أمام يوسف السيوفي، الذي صعد على أكتاف أستاذه محمد ناجي، حيث باع نفسه من أجل تحقيق طموحه القروي، وتخلى عن كل القيم والتقاليد الإنسانية، فهو يتنكر لمبروكة زوجة أبيه الراحل، ويطردها مع ابنها، كم أن يوسف يقوم بالإبلاغ عن زملائه المناضلين السياسيين، ويتم القبض عليهم، بينما يسافر هو في مهمة صحفي. يحاول الصعود الاجتماعي من خلال ارتباطه بالممثلة سعاد، ابنة الطبقة الأرستقراطية لكنها ترفضه أكثر من مرة، ويوسف لا يعرف سوى لغة الصعود الاجتماعي على حساب

ضحاياه، لا يرتكب الجرائم التقليدية، ولكنه يزيح كل من حوله بقسوة وكل من يتصور أنهم يعرقلون مسيرته.

أما الفيلم الأخير الذي جمع بين كمال الشناوي، وشادية، وأيضا كمال الشيخ، فهو "الهارب" الذي كتبه رأفت الميهي. وقد قام هنا مجددا بدور الصحفي الذي أتى في تلك الليلة بفتاة ليل لقضاء وقت ممتع، إنه يخون زوجته، في هذه الليلة، يسوق القدر الشاب الصحفي هنا كاتب مشهور وناجح ورب أسرة، إنه الصورة نفسها من رؤوف، ويوسف، ويخشى أن تنكشف علاقته بابنة الليل، التي يعيش معها، لكنها تتهمه في رجولته، وبأنه عاجز جنسيا، وهذا الصحفي غير شريف، فهو متسلق ومختلس، وأمام الفضائح التي تنتظره، فإنه لا يجد سوى الانتحار.

إذن، فالأدوار القليلة، نسبيا، قياسا إلى ما قدمه في عالم الشر كمال الشناوي، قد أتاحت للفنان أن يكشف موهبته الحقيقية، وأنه بالفعل، مثل الشراب العتيق، يزداد طعمه حلاوة، كلما تقدم به العمر.

فريد شوقي

وشرف أمي .. جعلوني مجرما

في عام 1953، ظهر فريد شوقي على الشاشة، في سبعة عشر فيلما، كان فيها جميعا، الرجل الشرير، صاحب المكائد، ومرتكب الجرائم، حتى في فيلمه الشهير "حميدو" الذي سجله كواحد من أهم نجوم السينما في مصر .

يعني هذا نوع الأدوار التي تخصص فيها الممثل في بداياته، سواء قام بالأدوار الثانوية، أو بأدوار البطولة، فمع أفلامه الأولى في عام1947، طلع عليها فريد شوقي، بصلعة ملحوظة ضمن عصابة كثيرة العدد، عليها مهام إجرامية محددة، ولم يتعد دور الممثل سوى بضع كلمات صغيرة، وسط عصابة تولى رئاستها استيفان روستي في فيلمي "عنبر"، و"قلبي دليلى"، ومن الواضح أن أنور وجدي هو الذي منحه هذه الأدوار كمخرج، وهو الذي منحه فيما بعد فرص أكبر في التمثيل، فقد جعله ندا له في عام 1948 في فيلم "طلاق سعاد هانم"، فهو حسن ابن الأكابر، الغضوب الذي يرمي زوجته سعاد دوما بيمين الطلاق، حتى إذا جاء اليمين رقم ثلاثة، كان على الأسرة أن تبحث عن محلل يدخل البيت، ويقترن بسعاد، ثم يرفض أن يطلقها كما اتفق، ليدور صراع بينه وبين الزوج الأول. الدور نفسه قام فريد شوقي بتجسيده فيما بعد، في فيلم

"جوز مراتي" لنيازي مصطفى عام **1956**، وفيه قام فريد بأداء دور الزوج المحلل.

في السنوات الأولى من حياته الفنية، لم تبد عليه سماته التي عرفناها ابتداءً من "الأسطى حسن" البطولة المطلقة الأولى له، لذا فإننا سوف نؤجل الحديث عن سماته على بداياته النجومية، فهو في قرابة خمسين فيلما، رجل العصابات، أو الوغد الذي يوقع ببنات الأسر الراقية، ورجل العصابات هنا يعني أنه مجرد شخص وسط عصابة، أي أقرب إلى الكومبارس، ويكفي أن نقول أنه كان يتساوى بعبد المنعم إسماعيل، مثلما حدث في "غزل البنات"، و"ليلة العيد" عام **1949**، ثم في "أمير الانتقام" عام **1950**، وفي العام نفسه جسد دور المخرج السينمائي الذي يغرر بالنجمات الجديدات، الراغبات في الشهرة، في فيلم "بابا أمين" ليوسف شاهين .

ويكفي أن نقول أنه جسد دور الشرير ثلاثا وعشرين مرة في عام **1950،1951**، أما عام **1952** فقد قام فيه بدور أحد رجال "النمر" في الفيلم الذي أخرجه حسين فوزي، كما قام بدور "فتوة الحتة" الذي يحاول إغواء فتاة من الحي، إلا أن عم الفتاة يقف له بالمرصاد، وذلك في فيلم "الإيمان" لأحمد بدرخان، والطريف أن هذا هو الفيلم الذي قام فيه فريد شوقي بدور الشرير، أما محمود المليجي، فهو الخير الذي يتصدى للشاب الذي حاول الاعتداء على ابنة أخيه.

وفي فيلم "زينب" لمحمد كريم في عام **1952** أيضا، فإن فريد شوقي قام بدور حسن، والواضح أنه قد ارتبط باسم حسن في أفلام عديدة مثل "الأسطى حسن"، وحسن في "أبو حديد"، وحسن في فيلم "زينب" هو زوج الفتاة الفقيرة، وهو من الميسورين في القرية. يتزوج من زينب، وقد تعلق قلبها برجل آخر هو إبراهيم، وهو لا يعرف هذه المشاعر، فيتلذذ بتعذيبها، ويبخل عليها في العلاج ثم يطلقها بعد أن أصابها مرض السرطان.

في تلك السنة، بدأت ملامح فريد شوقي تظهر بشكل جلي، عملاق طويل، مليء بالشباب والحيوية، خفيف الشعر، عريض المنكبين، يليق في أدوار ابن البلد، ولا تناسبه أدوار ابن الذوات، لذا فهو سيصير ملك الترسو، أي الدرجة الثالثة، حيث العمال والبسطاء وأبناء الحواري الشعبية هم جمهوره الحقيقي. وهو صاحب العبارة الأزلية حين يقسم بشرف أمه، كما أنه في أغلب الأحيان صنايعي، أو حرفي، لم يحدث له قط أن جسد أيا من الأدوار العاطفية، حتى هذه الأدوار القليلة التي جسدها، فكان فيها إما وغد أو شقي، مثلما حدث في "المجد"، أو "خطف مراتي"، أو "مجرم في أجازة".

وهذه السمات جعلت منه ممثل الحركة الأول في السينما المصرية، ولو لفترة طويلة، حدث ذلك وهو يقوم بأدوار الإجرام في عشرات الأفلام الأولى التي مثلها في بداية حياته، لكن لا شك أن دور الأسطى حسن هو الفاصل في حياته الفنية، صحيح أنه سوف يظل يؤدي

دور المجرم الوغد الذي يوقع بالنساء في أفلام كثيرة، طوال ثلاث سنوات منذ عام 1953، وحتى عام 1955 باعتبار أنه سيتوج مكانته في أحسن حالاتها في الفيلمين اللذين قام ببطولتها عام 1956وهما "النمرود"، و"رصيف نمرة خمسة" .

لنتوقف قليلا عند "الأسطى حسن" هنا هو الذي يعيش مع أسرته في منطقة بولاق أبو العلا الشعبية، يعمل في ورشة حدادة، محدود الدخل، وتعيش معه حماته سليطة اللسان، التي لا تكف عن معايرته، تحبه زوجته وابنه وأهل الحارة، وأمام سلاطة لسان الحماة فإنه يبدي تبرما بأسرته ويسقط سريعا في أحضان امرأة شبقة جنسيا تهوى الرجال الأشداء البالغي الذكورة، ويصبح عشيقها، ينتقل بسهولة من بولاق أبو العلا إلى الزمالك، يتصرف بدناءة شديدة إزاء أسرته وأبناء حارته، حتى تنفد رجولته، فتطرده عشيقته من بيتها، كي تتخذ لنفسها عشيقا جديدا..

بعد هذا الدور الرئيسي، فإن صلاح أبو سيف يسند إليه دور الأعور في فيلمه "ريا وسكنية" عام 1953، وهو رجل العصابة الذكي، ابن البلد، الذي يعضد عصابة النساء في استجلاب الضحايا من النساء، وكشف حقيقة الضابط الذي اندس بينهم.

كما أشرنا في البداية فإن فريد شوقي عمل في 17 فيلما عام 1953، كان في أغلب هذه الأدوار ، الشرير الذي يوقع بالنساء، ويبتز أموالهن، مثل "ظلموني الحبايب"، و"تاجر الفضايح"، وفي فيلم "حب في

الظلام" لحسن الإمام، قتل المرابية، ولاذ بالفرار، ونسبت الجريمة إلى أخيه غير الشقيق، الذي جاء إلى المرابية لفك بعض الدين، فشاهدته فتاة كان سببا في إصابتها بالعماء وهو يولي بالفرار، وهذا الأخ يبدو جاحدا، مليئا بالقسوة، هو قاتل، ووغد، ومحتال، لكن جريمته تنكشف بعد عدة سنوات .

العلامة الثانية في هذه السنوات في تاريخ الممثل، والتي وضعته على مصاف العمالقة، هو دوره في فيلم "حميدو" لنيازي مصطفي، الذي منح فيما بعد أفضل أدواره، وأكثرها شعبية، لكن مثلما كان الأسطى حسن وغدا، ومتمردا على أسرته، كان حميدو أيضا، وقد قام فريد شوقي هنا أيضا بكتابة القصة السينمائية، وأسندت كتابة السيناريو إلى السيد بدير، بالإضافة إلى المخرج، مما يعني أن فريد شوقي قرأ ملامحه بشكل جيد، وصنع من أجل نفسه دور حميدو، الصياد الخارج على القانون والذي يتحول إلى مهرب مخدرات يخدع الجميع بمن فيهم الغجرية التي سلمت له شرفها، فيقتلها، ويقذف بها في البحر. إنه شاب مليء بالطموح القاتل، محاولا الهرب من الفقر، وينضم إلى إحدى عصابات التهريب .

فريد شوقي وضع لنفسه شخصية حميدو التي لا تعرف التوبة، ولكنه يموت في النهاية، ورغم أن هذه الشخصية الرئيسية خارجة عن القانون، فإنها صنعت نجومية ملحوظة للممثل الذي صار يمضي قدما، ويمشي في الطريق نفسه الذي سار عليه أنور وجدي، والذي بدأ أيضا

حياته بأدوار الشرير والوغد، ثم صار يقوم بأعمال رجل القانون.. وقد كان هذا الفيلم، هو أول عمل من سلسلة طويلة قام فيها بالصراع ضد الشخصية التي يجسدها محمود المليجي.

في عام **1954** جسد دور الشرير القاتل في أكثر من فيلم، منها "صراع في الوادي" ليوسف شاهين، و"عفريتة إسماعيل يس"، ففي الفيلم الأول يساعد العم في خططه الإجرامية لاحتكار زراعة القصب. وهو يحب ابنة الباشا، الذي يعمل لديه سكرتيرا، فيدبر الخطط لقتل الخصوم والمنافسين ويكيد لأبرياء أن يدخلوا السجن، ويدفع بالفلاحين إلى قتل الشاب أحمد الذي اتهم أبوه كذبا في قتل ناظر العزبة، وفي النهاية فإن هذا السكرتير يقوم بقتل الباشا نفسه، بعد أن يتمرد عليه، وتدور معركة وسط معبد الكرنك بينه وبين أحمد..

شيئاً، فشيئا، ومع رحيل أنور وجدي، وخلو ساحة الممثلين الذين يؤدون دور الأخيار، بدأت أدوار فريد شوقي تتغير بشكل ملحوظ، ليصبح الممثل المتعدد الأسماء مثل "وحش الشاشة"، و"الملك" و"ملك الترسو"، لكنه لم يتخل عن دور الخارج عن القانون من فيلم لآخر، ومن جديد رسم لنفسه شخصية "سلطان" في فيلم "جعلوني مجرما" فكتب قصة الفيلم ــ وكتب السيناريو كل من نجيب محفوظ والسيد بدير. وهي شخصية المجرم رغم أنفه، الذي تدفعه كافة الظروف إلى أن يقتل، بعد أن مارس السرقة والقتل، وعهد السجن، لقد حاول سلطان أن يعيش حياة شريفة حين وقع في حب المطربة، لكنه اكتشف أن القدر له بالمرصاد،

فالمصادفة تسوق العم كي يحب المرأة نفسها، وينافسه عليها، والعم الذي أبلغ عنه وهو صغير، يخاصمه بشدة عندما يكبر، فيطلق عليه الرصاص عن عمد.

هذا النوع من الشخصيات تجد التعاطف الشديد من المتفرج، فهم ضحايا بلا سبب يدفعون ثمن ما لم يقترفوه، خاصة أننا نشاهد سلطان منذ طفولته، يحاول أن يسلك الطريق المستقيم، لكن رياح الحياة من حوله تدفعه المرة تلو المرة نحو أن يكون مجرما.

وفي العام نفسه **1954** جسد فريد شوقي أول حكاية من فتوات نجيب محفوظ، التي كتبها أول الأمر في السينما، ثم حولها إلى روايات من أشهرها "أولاد حارتنا"، فهنا الصراع بين الأقوياء، ليس بينهم الخير والشرير فجميعهم أشرار، والأقوى هو الخير، الذي تؤول إليه الأمور في النهاية، وقوة النبوت هي التي تحدد مع من نكون، وقد قام محفوظ بفلسفة هذه القوى فيما بعد.

الممثل الذي عمل في **17** فيلما عام **1953**، وفي **13** فيلما في العام الذي يليه، توقف تماما عن العمل في عام **1955**، وبدا أن عليه أن يختار هويته الجديدة في عام **1956**، وأن يكون هو بطل الشاشة الجديد الذي يسد فراغ أنور وجدي، فقدم في عام **1956** فيلمين فقط، وضعاه في مكانة على الخريطة كما يريد، وهما "رصيف نمرة خمسة" لنيازي مصطفى، ثم "النمرود" لعاطف سالم، والذي جسد فيه دور الفقير الذي تأتيه ثروة مجانية مفاجأة، فيتصرف بها تصرف الخارج عن القانون،

ويتنكر لكل من وقفوا معه أيام الحاجة، وعلى رأسهم حبيبته رقية التي ذهبت للبحث عنه في كل مكان، إنها تنويعة مشابهة للأسطى حسن، التأرجح بين الفقر والثراء المفاجئ، ثم عليه أن يدفع الثمن بأن يدخل السجن، ولن نشعر بالدهشة إذا عرفنا أن فريد شوقي هو الذي كتب القصة، وأنه حاول الاستفادة من نجاحه الأول، وقد نجح الفيلم الذي كتب له السيناريو أربعة أشخاص منهم الممثل، والمخرج، بالإضافة إلى محمود صبحي ونجيب محفوظ، أما سيد بدير فقد اكتفى بكتابة الحوار .

وفي "رصيف نمرة خمسة" كان فريد شوقي في أحسن حالاته كممثل، ربما طيلة حياته الفنية، فهو الشاب المليء بالحيوية، العريف البحري الذي يكتشف عصابة لتهريب الهيروين، وهو المتزوج المستقيم، وصديق أهل الحي يثق في رجل طيب، نعرف فيما بعد أنه الرأس المدبر لكل هذه العمليات، فهو الذي قتل زوجته ليلا، حين حاول قتل خميس، وهو الذي يدبر له مكائد القتل، والرفت من البحرية، وقد بدا الممثل هنا رأس حربة للخير، ومليئا بالحيوية والتدفق، ولأن دوره هنا ليس إجراميا فلن نتوقف عنده، لكننا فقط نؤكد أنه دور فاصل في حياة فريد شوقي الفنية. الذي قدم في العام التالي **1957** خمسة أدوار متباينة ومتنوعة تماما.

هو المجرم نفسه في فيلم "أرض الأحلام"، و"تجار الموت"، لكمال الشيخ ثم هو الفنان الذي يعاني بسبب قوة شخصية زوجته في "المجد"، ثم هو الفدائي في "بور سعيد" وهو هريدي الصعيدي الطامح إلى امتلاك سوق الإتجار بالجملة في "الفتوة"، ويعتبر دوره في "تجار الموت" نموذجا

للتحول الذي حدث له هو كممثل، فهو الرجل الذي يتزوج من النساء وعليه التخلص منهن حسب تعليمات العصابة، بشكل غير مريب، كي تقبض هذه العصابة قيمة التأمين، ذلك الزوج في إحدى المرات، يتعاطف مع زوجته التي تحبه، ويبدأ في حمايتها من العصابة، ويحاول كشف أمرها.

إنه الشرير الذي صار صافيا، وتحول إلى الأفضل، من عالم الجريمة المنظمة إلى الخير، وكما نرى فإن كمال الشيخ قد منحه دور المجرم مرتين في العام نفسه، لكن هذا المجرم تغيرت هويته من فيلم إلى آخر ..

ومثلما حدث في عام **1957** من خلال التنوع، فإن فريد شوقي أدى سبعة أدوار متباينة في العام التالي، فهو الطيب الباحث عن وسيلة حلال للرزق، رغم المنافسة في "باب الحديد"، وهو الصياد الذي يفاجأ بأن والد زوجته هو الذي قتل أباه بإيعاز من العصابة في "أبو حديد"، لكنه المجرم الذي يتولى أمره عالم نفسي يرى أنه من الممكن علاج الجريمة، فيتبنى أمره، ويأخذه إلى منزله، ويتيح له فرصة الحياة الكريمة في فيلم "مجرم في أجازة" لصلاح أبو سيف، وبالفعل فإنه يظل متأرجحا بين الإجرام والتوبة حتى يتمكن من الإيقاع بالعصابة التي كان يعمل معها، ويثبت للعالم نجاح نظريته.

ومن بين الأفلام القليلة لفطين عبد الوهاب في الأفلام غير الكوميدية، قام الممثل بدور المهرب في "الأخ الكبير" الذي يتولى أمر أسرته الصغيرة، وعندما يقرر التوبة، فإن عشيقته تستدرج شقيقه، وتوقعه في حبائلها، وتدفعه إلى الإدمان، ويصير على طلبة أن ينقذ أخاه من الشر

الذي وقع فيه، حتى لو دفع هو الثمن بأن يتم القبض عليه، أما "ساحر النساء" للمخرج نفسه، فهو النصاب الذي خرج من السجن، ليعمل في مجال الدجل ويصطاد النساء الثريات ويستولي على أموالهن.

لكن الفيلم الأهم للممثل، في عالم الإجرام هو "سلطان" لنيازي مصطفى، ولعله استوحى الاسم نفسه من شخصية سلطان في "جعلوني مجرما"، وقد عزف على مسألة البريء الذي يحوله المجتمع إلى مجرم، ويدفع به دفعا إلى ذلك، فقد ضربه أسياده الذين يعمل عندهم مرارا وهو طفل، فصار يكره كل شارات الشرطة، وخانته حبيبته مع المكوجي، فلما خنقه واعتقد أنه قتله، هرب إلى الجبل، وانضم إلى المطاريد، وهناك تعلم أن القوي هو الذي يستمر حيا، فصار زعيما للمطاريد، وراح ينتقم ممن حولوه إلى مجرم، وأتى إلى الجبل بكافة خصومه، إلى أن مات هاويا من فوق الجبل مثلما قتل العشرات من قبله.

وطوال رحلته مع الأفلام، كان فريد شوقي، يتأرجح في أدواره بين المجرم والتائب ورجل الخير ففي عام **1960** لمحمود ذو الفقار، جسد دور المقاول الذي يدخل السجن ظلما، ويقرر الهرب كي يتوصل إلى الحقيقة، وعندما يعرف أن حبيبته قد تزوجت من شريكه يسلم نفسه مرة أخرى إلى السلطات. أما في "بداية ونهاية" فهو حسن الذي يعيش مع فناني الأفراح (العوالم)، ويتخذ له من بنات هذه الفئة عشيقة، وفي النهاية تقوم الشرطة بمطاردته، باعتباره مهربا، ويصاب بالرصاص، فيلجأ إلى أسرته التي تم دعمها بأموال المخدرات.

ووسط أدوار الفارس الشجاع في "عنتر بن شداد" والصعيدي الذي تحاول زوجة أرملة الانتقام منه في "دماء على النيل" والزوج المحلل في "جوز مراتي" و"النصاب" وكلها من إخراج نيازي مصطفى، عاد فريد شوقي عام **1961** إلى أدوار الشر في دور أقطاي، القائد التتري الذي عليه أن يقتل وريثة العرش التتري، لتتاح له فرصة الزعامة، ولا يتوقف عن المطاردة طوال سنوات بمراد خان عديدة وفي "واإسلاماه" إخراج أندرو مارتون؛ فجند نفسه، وأتباعه للتخلص من الأميرة، وفي هذا الإطار تدور الحرب بين التتار والعرب في عين جالوت، ويموت بفقأ عينيه مثلما فعل سابقا للشيخ سلامة ويسقطه من أعلى الجبل.

تغيرت أدوار الشر في سنوات الستينات بالنسبة لفريد شوقي، فإذا كان خارجا عن القانون، فلابد أن يتوب، وأن يتم ذلك في إطار كوميدي مثل "الرجل الثعلب" وإذا قرأنا خريطة أفلامه في هذه السنوات، لن نجده يعود مرة أخرى إلى الأدوار التي سبقت الإشارة إليها، خاصة حين سافر إلى تركيا ولبنان ليلعب دور المغامر الباحث عن الحق والعدالة.

أما مع بداية السبعينات، فهو يقوم بدور المجرم الباحث عن التوبة، لقد حاول أن يفعل ذلك مرارا، وكشف فريد شوقي عن مواهبه كممثل كوميدي من جديد، وسعى إلى أن يغير أدواره من وقت لآخر، خاصة في الأفلام التي يكتبها، مثل دور المسجون البريء في "كلمة شرف" لحسام الدين مصطفى عام**1972**، الذي عليه الخروج يوما

واحدا من السجن لتشييع جنازة زوجته، دون أن تكون هناك فرصة بالمرة لإثبات براءته.

وقد ظهر الممثل في هذه الفترة في أفلام المغامرات البوليسية في أفلام من طراز "الغضب"، "الخطافين"، "لحظات خوف" ثم عاد إلى أدوار الحركة في "رجال لا يخافون الموت" عام **1973** من إخراج نادر جلال، ثم "الأبطال" عام **1974** إلى أن غير أدواره تماما في فيلم "ومضى قطار العمر" لعاطف سالم عام **1975**، وفيه يقوم بدور الأب الذي يدخل إلى السجن نيابة عن ابن صاحب القصر القاتل، والذي يغتصب زوجته أثناء سجنه، وعندما يخرج الأب من السجن، بعد سنوات، يحاول حماية ولده وابنته من شر مستطير يكاد أن يلحق بهما، دون أن يعرفا هويته.

الآن، صار فريد شوقي في الخمسين من عمره (مولود عام **1925**) وعليه أن يقوم بدور الأب، أو الأخ الأكبر الذي يضحي من أجل سعادة الصغار في محيط أسرته في "وبالوالدين إحسانا" لحسن الإمام **1976** و"هكذا الأيام" لعاطف سالم **1977** و"إبليس في المدينة" لسمير سيف عام **1978** و"القضية المشهورة" لحسن الإمام، و"البؤساء" لعاطف سالم عام **1978**، ولم تكن هناك فرصة للعودة إلى أدوار الحركة، أو أدوار الشر؛ فقد جسد أدوار متنوعة، مثل الأب الذي يضحي من أجل أسرته، لكن لكل قاعدة استثناء، فهو رجل العصابات القوي في فيلم "الباطنية" لحسام الدين مصطفي عام **1980** الذي يتاجر في المخدرات، فيما يشبه المافيا، ويتحكم في مصائر الأسر المحيطة به، ويدفع رجاله إلى

سرقة حفيده من وردة – الأم – كي يتولى تربيته بعيدا عنها، بعد أن أوهمها أن وليدها قد مات.

ومع صعود الفساد لدى رجال الأعمال، في زمن الانفتاح الاقتصادي، بدأ فريد شوقي يرتدي زي هؤلاء الرجال من فيلم لآخر، باعتباره الشرير، أو الخارج عن القانون في هذه المرحلة الاجتماعية، خاصة فهمي الكاشف في فيلم "الغول" لسمير سيف عام 1973، فهو رجل الأعمال الثري الذي يعمل في مكتبه وزراء سابقون كخبراء، يستورد لحوم فاسدة، ويبدو من أساطين السوق، ويحاول حماية ابنه الترق الذي ارتكب جريمة قتل، بأي ثمن، فيختطف الشاهدة الوحيدة على ذلك، ويتصدى للصحفي عادل الذي يسعى إلى كشف أمره أمام الرأي العام، إلى أن يقتله الصحفي بساطور، بعد أن عجز عن إثبات أي تهمة لديه..

في الثمانينات، عاد فريد شوقي للعمل بقوة، وبشكل مكثف، مثلما كان في بداية حياته، فهو يعمل في تسعة أفلام في عام 1984، مما يدفعه إلى التنوع الملحوظ، فهو يقوم بدور الرجل الذي يغوي النساء العجوزات الثريات، ويتزوج منهن بهدف الابتزاز في "الليلة الموعودة" ليحيى العلمي عام 1984 وهو "رجب الوحش" عام 1985 الذي يدفع ابنه للعمل في السرقة، وابنته كي تبيع أوراق اليانصيب، ويؤجر ابنته لأسرة غنية، وذلك في الفيلم الذي يعتبر إعادة لـــ "عائشة" وهو الدور الذي سبق أن جسده زكي رستم، أما في "المواجهة" لأحمد السبعاوي عام 1987 فهو صاحب السطوة الذي يحمي ابنه القاتل، ويقف ضد صديقه،

الذي يسعى لتحقيق العدالة، هذا الصديق الذي أفقده الابن أسرته، خاصة زوجته.

وفي فيلم "الخادم" لأحمد يحيى عام 1990 قام بدور شاهين، رجل الأعمال الجشع الذي يخدع صديقه كامل ويدخله السجن بدلا منه، بعد أن يعده بتربية ابنه محمود، لكن شاهين ينسى وعده، ويعمل محمود سائقا لديه، وخادما لأبنائه دون أن يتخلى عن العلم، إلى أن يحصل على ليسانس حقوق، ويكتشف الابن أن شاهين هو الذي أدخل أباه السجن، فيبدأ في الانتقام من أبنائه بأساليب عديدة، وينجح في أن يجعل الرجل يشهر إفلاسه..

والحقيقة أن أدوار الشر قد قلت بشكل ملحوظ في العشرين عاما الفنية الأخيرة من حياة فريد شوقي، فهو غالبا الأب الطيب، أو رجل العدالة، قد يكون الجد القاسي في "قلب الليل" لعاطف الطيب عام 1989، والأب الذي يعقد صفقة مع الأجانب لبيع الهرم لأنه تم اكتشاف البترول تحت أسطح البناية في "ليه يا هرم" عام 1994، لكنها أدوار لم تذهب بصاحبها إلى السجن، أو أنه دفع جزاء ما اقترف.

يبقى فريد شوقي واحدا من أصحاب أكبر رصيد سينمائي في الأفلام، وهو ظاهرة لم تتكرر قط في السينما سواء من حيث عدد الأفلام ومشاركته الكتابة في الكثير من أفلامه المميزة طيلة حياته، وقيامه بإنتاجها والتعامل مع المخرجين من كافة الاتجاهات والمستويات والأعمار، وفي عالم الشر كان له مذاقه الخاص. إنه فريد شوقي.

هدى سلطان

فجأة تحولت هذه الفتاة الرقيقة الغناءة المكسورة الجناح غالبا، الرومانسية في أفلامها الأولى إلى امرأة شعبية تتفجر بالأنوثة والخطيئة والشر .

شتان بين المرأة المنكسرة، التي جسدتها هدى سلطان في فيلم "الأسطى حسن" عام 1952، من إخراج صلاح أبو سيف، والغجرية في "حميدو" والعاشقة في "تاكسي الغرام"، والزوجة الثانية المسلمة في "الشيخ حسن"، والزوجة الباحثة عن المأوى في "رصيف نمرة خمسة"، ثم الضريرة في "بور سعيد"، والعاشقة الحالمة التي تساند رجلها في "المجد"، كي يعيد عز الدين ذو الفقار صياغتها تماما في فيلم "امرأة في الطريق" عام 1958، ليغير بذلك مسيرة حياتها تماما..

في "امرأة في الطريق" جسدت هدى سلطان المرأة التي تستخدم كافة أسلحتها مع الجميع: سلاح الأنوثة والغواية والخيانة، ولم يفلت من طغيانها الأنثوي أحد ممن أحاطوها، ابتداء من زوجها حسنين وشقيقه صابر وأبيهما، ثم الكثير من سكان القرية الصغيرة المجاورة للسكن الذي تسكن فيه لواحظ مع عائلتها الصغيرة الخالية من الأطفال، والبراءة، المليئة برجال شحنتهم الشهوة، والغربة من سائق شاحنة، إلى عطار القرية إلى هية خطيبة صابر، وأبيها.

المرأة المغلوبة على أمرها التي جسدقا هدى سلطان: عاشقة محتشمة حالمة رومانسية، أما المرأة الشريرة الشهوانية فهي بضة الجسد متوسطة الطول، تضع المنديل أبو أوية فوق رأسها، لا تتورع عن إظهار مفاتنها، أو اختيار لحظة صنع الإثارة، هي متقدة الحس، تبحث عن الارتواء الجسدي، من رجل له ذكورة وفحولة صابر تغويه حتى وإن كان شقيقا لزوجها الذي تقتله حين يهم بقتل أخيه فيما يشبه الصراع الأزلي بين قابيل وهابيل من أجل امرأة. كما أنها تستخدم كافة ما لديها من أسلحة: اللسان الطويل، والهجوم، والطلبات الملحة، وسوف نرى أنها لم تحب صابر الحب الرومانسي بل الشهواني فهي مثل الكلبة التي تعرض جسدها على الكلاب جميعا في أي مكان من أجل أن تكسب، كما أنها الغجرية في كافة صفاتها.

وقد وصفنا الشخصية الشريرة التي جسدتها هدى سلطان في هذا الفيلم بشكل خاص لأن كافة المخرجين الذين دفعوها لأداء هذه الشخصية في أفلامها التالية، كانوا يحاولون العزف على النغمة نفسها، أو الشخصية نفسها التي أدهشت المشاهدين في "امرأة في الطريق"، باعتبار أن السينما المصرية حاولت دوما الاستفادة من نجاح ظاهرة ما، أو ممثل في دور معين، كي تسند إليه بقية الأدوار بالطريقة نفسها، فالمخرجون سيقدمونها مع رشدي أباظة في "قاطع طريق" لحسن الصيفي عام 1959، و"نهاية الطريق" لكمال عطية عام 1960.

ومن ناحية أخرى، فإن الممثلة قد سبق لها أن جسدت دور الغجرية عام **1953** في فيلم "حميدو" لكنها امرأة ماهرة تحاول البحث عن فرصة للعيش، وتقف إلى جانب حميدو، وتسلم له شرفها، وتحمل منه، وعندما تطلب منه الزواج يقتلها غرقا في البحر.. كما أنها جسدت شخصية "الغجرية" أيضا في فيلم يحمل العنوان نفسه عام **1960** مع تغيير ملحوظ في الهوية.

وهدى سلطان أو لواحظ في "امرأة في الطريق" هي أقرب إلى شخصية الغجرية في فيلم "صراع تحت الشمس" إخراج كنج فيدور عام **1947**، وهو أيضا عن صراع بين أخوين بسبب امرأة لعوب دخلت فيما بينهما، وكانت أقرب إلى جينفر جونز ، لكن كنج لم يجعل غجريته امرأة بمثل هذه الفتنة، ولا الشر، ولا الإثارة التي تمتعت بها شخصية لواحظ، فالغجرية في الفيلم الأمريكي أحبت شقيق زوجها في المقام الأول، وماتت معه في الصراع النهائي بين الاثنين.

ويكفي أن نقول أن هدى سلطان بقيامها بتجسيد شخصية لواحظ استطاعت أن تبقى في الذاكرة وفي تاريخ السينما من الممثلات القلائل البالغات الموهبة. فهي تحمل كافة ألوان التناقض، تتزوج من الأخ حسنين حتى تكون إلى جوار أخيه صابر. ونحن أمام ثلاث شخصيات لا يجمع بينها أي صفة مشتركة، فالمرأة شهوانية، وحسنين أناني ضعيف الشخصية مدلل من الأب، أما صابر فهو قوي نبيل، ويعيش الثلاثة مع

الأب الذي يفرق في المعاملة بين ولديه، لأنه كان يفضل أم أحدهما على الأخرى.

والذي يهمنا هنا شخصية لواحظ، فهذا الاسم كان يستخدم في الأفلام في تلك الفترة فقط للغانيات وبنات الليل، مثل فيلم "لواحظ" لحسن الإمام في العام نفسه، لواحظ هنا امرأة وراءها تاريخ متدن، طردت من قرية مجاورة لسوء سلوكها، وأيضا بسبب غيرة النساء من جمالها وفجورها، فهي فاتنة للرجال، وعندما تتزوج المرأة من حسنين، فإنها تستطيع السيطرة عليه بجمالها وقوة شخصيتها، وهي تتحكم في كل ما حولها، وتبدو جاحدة كارهة، ترفض أن تقرض زوجها وأباه المال إبان أزمته المالية، وترى الأثاث وأدوات الورشة تباع بالمزاد بالقطعة دون أن يرق قلبها، وفي اللحظة المناسبة يظهر صابر، ويدفع الديون، ويكون في ذلك مصالحة مع الأب، وعودة للابن صابر للإقامة في المترل الذي يطل على الطريق الصحراوي، في منطقة جافة بالغة القسوة ، مثل قلوب بعض أصحابها.

وبعودة صابر إلى المترل، بعد زواج أخيه من لواحظ، تشتعل النيران الداخلية، وتبدأ المرأة في رمي أنوثتها من حوله، لكنه يقاومها بشدة، ويحتمي ضدها بعلاقته ببهية البدوية البسيطة، ووسط هذه العلاقات، فإن حسنين حين يلاحظ غواية زوجته لأخيه لا يثور، بل يطلب من صابر أن يسامحه، كما أن الزوج لا يلاحظ سلوكها النزق، خاصة حين تترل القرية فتلهب مشاعر الرجال، ومن بينهم رجلان

يتباريان عن طريق قوة الساعدين، ثم هناك أمين صاحب بقالة الأمانة والشرف الذي يراودها عن نفسها ويشتهيها ويحاول إغواءها بالمال فتقذفه بالشتائم اللاذعة.

أما ما تفعله لواحظ تجاه الأخ صابر، فهو يتم بإلحاح وشهوانية "أنا عيشة بيك وعشانك يا صابر أنا اتجوزته عشانك" وهذا الحب من طرف حسنين يكتشف ضعفه، فهو لا يستطيع أن يصفعها، كما أنه يتوسل إلى صابر أن يعيدها.

ولواحظ ليست خائنة فقط بل إنها قاتلة لجأت إلى القتل مرتين، حيث تدق رأس أمين بالحجر، وتتخلص منه حين أراد اغتصابها في أحد المشاهد، ثم تقوم بقتل زوجها حين كاد أن يطلق الرصاص على صابر، فتطلق هي عليه عدة رصاصات، قبل أن يخنقها الأخ الأكبر، ولتموت بين يديه.

فتح هذا الدور لهدى سلطان أن تقوم بأدوار عديدة مماثلة، خاصة في العام التالي **1959** في "حب ودلع" لمحمود إسماعيل، و"قطاع طريق" لحسن الصيفي، و"نساء محرمات" لمحمود ذو الفقار، فهي في هذه الأفلام امرأة من بيئة شعبية، تعتمد على جسدها في تحقيق مآربها، وهي في فيلمين منهما تقوم بدور مطربة أفراح، مثل بطة في "حب ودلع" فهي بطة التي تعمل مغنية مع العوالم، ترمي بشباكها على جارها العجوز، مثلما تفعل مع رجال عديدين، تعيش بطة مع أخيها جلجل الذي يود الزواج من رحمة، يطلب جلجل من أخته أن تخطب له رحمة ابنة العجوز عويس

فترمي بشباكها عليه، وتوافق على عرضه عليها بأن يتزوجها، كي تمهد لفرض رأيها في أن يتزوج أخوها المدلل من رحمة

ومصير بطة يأتي على يدي أحد عشاقها السابقين، حين يعرف أنها تزوجت من عويس، لذا فإنه يتربص بها، ويحاول قتلها ليلة زفاف رحمة وجلجل .

إذن، فالمرأة هنا أيضا متعددة العلاقات خائنة مليئة بالحسية والشهوانية، وقد جسدت هدى سلطان هذه الشخصيات وهي في قمة نضجها الفني، وبدت في أحسن حالاتها في فيلم "نساء محرمات"، فالمرأة الخائنة هنا تمارس الخيانة عن عمد، تدعى محاسن، امرأة جميلة في منتصف العمر، تتسم بليونة واضحة، توافق أن تتزوج من عجوز لم تنجب امرأته منذ ربع قرن، وذلك طمعا في ثرائه، فهو تاجر ميسور الحال، ويتزوج منها بعد أن طلبت منه امرأته العجوز أن يفعل ذلك.

ومنذ اللحظة الأولى، فإن محاسن ترمي بأنظارها على الشاب أحمد، الذي تولى الحاج توفيق تربيته، والذي لا يعرف بالمرة أن هذه المرأة التي تأتي إليه ليلا في شقته هي زوجة الحاج توفيق، إنها امرأة بالغة الشهوانية والحسية، تخطيء معه إلى أن تحمل منه، كل ذلك يتم في سرية شديدة، والوحيدة التي تعرف بطبيعة العلاقات بين كل الأطراف هي محاسن نفسها، فهي رغم ليونتها الظاهرة، فإنها من الداخل شيطانة بكافة المعاني، وهي مثل لواحظ تفرض سيطرتها بالجنس واللين والكلام الحلو، وأيضا قوة الإرادة والسطوة وطول اللسان لدرجة القتل من أجل أن

تستحوذ على كل شيء لنفسها: الزوج العجوز والعشيق، والابنة من زواج آخر، وأيضا الجنين الكامن في أحشائها من علاقة خطيئة .

محاسن هذه، تأتي بها إحدى معارف الحاج توفيق، تبدو على النقيض تماما من الزوجة الأولى أمينة رزق، فهي شهوانية وشابة، وسبق لها الزواج، وهي تعرف طريقها بشكل مختصر، فهي ما إن تعرف أحمد من وراء البرقع، حتى تبدأ في مغازلته في الهاتف، ولأنها تسكن معه في نفس المترل حتى تصعد إليه في غرفته فوق السطح، وهو لديه استعداد للوقوع في الخطيئة، دون أن يعرف أن المرأة التي تأتيه هي زوجة الحاج، وفيما بعد تأتي ليلى، الابنة من زواج سابق، وتتعضد صلتها بأحمد، ولذا فإن محاسن تقف ضد هذه العلاقة بالمرصاد، عندما يتقدم أحمد لخطبة ليلى، وتخبر عشيقها أنها حامل منه، ثم تصعد إليه كالعادة في إحدى الأمسيات، وتطلب منه عدم الاقتران بابنتها، في الوقت الذي يتسلل العجوز وراءها، ويسمع الحوار بينهما، فهي تخبره أنها زوجة الحاج توفيق، وأن زواجها من ابنتها سيكون محرما، لأن الجنين القادم سيكون أخا لليلى التي ينوي الزواج منها.

ومحاسن هنا، قاتلة، فهي عندما تشعر بالفضيحة المرتقبة، تقوم بطعن عشيقها، الذي يقوم بخنقها قبل أن يلفظ أنفاسه.. إذن فالمرأة الشريرة هنا تلقى المصير نفسه على يد عشيقها الذي لاقته لواحظ على يدي صابر (الخنق)، ويترك هذا أثره في المحيط الاجتماعي الذي عاشت

فيه، فالزوج يصاب بأزمة قلبية نتيجة لما سمعه، وهو في المشهد الأخير من الفيلم يتعافى ويعود إلى زوجته صفية.

لم يشأ عز الدين ذو الفقار أن يضع نهاية محسومة في فيلمه، بعد أن قتلت لواحظ مخنوقة، لكن أخاها محمود وضع نهاية تربوية، حين أعاد الحاج توفيق إلى امرأته العجوز مثله، وكأنه تعلم من الدرس، بعد أن خسرت أطراف كثيرة منها ليلى، مصائرها، إما بالموت أو بفقدان العائل.

في عام 1960 صارت هدى سلطان أكثر حضورا، ربما هي السنة الأكثر نشاطا سينمائيا لها طوال حياتها، حيث عملت في سبعة أفلام هي "زوجة من الشارع" لحسن الإمام، و"سر امرأة" لعاطف سالم، و"سوق السلاح" لكمال عطية، و"العاشقة"، و"الغجرية" وهما للسيد زيادة، ثم "نهاية الطريق" لكمال عطية أيضا. وكما نرى، فإن أغلب هذه الأفلام، عدا واحدا هو "سوق السلاح" مما يعني أنها كانت تؤدي أدوار الشر والإغراء بعيدا عن زوجها الذي كوّن معها ثنائيا، وشركة إنتاج والذي اتجه إلى أدوار الحركة والخير .

لم تكن "الغجرية" هنا هي المرأة الحسية الشريرة، بل هي الطفلة الصغيرة التي اختطفها الغضب، وقاموا بتربيتها فصارت واحدة منهم، وعندما تكبر تجد سلمى نفسها يوما في بيت أبيها الحقيقي، وتعمل خادمة، وتقاوم الرغبة في السرقة، خاصة أنها أحبت الشاب فتحي ابن السيد، وعندما تنكشف حقيقة سلمى، وتحس أن زواجها من فتحي محرم، فإن الأب يعترف أن الشاب ابن له بالتبني.

أما في "سوق السلاح" فإن هدى سلطان تعود لتجسد دور مطربة الأفراح بهية التي تعمل مع أخيها صلاح، بعد أن مات أبوها ميكانيكي السيارات في السجن بسبب مهرب المخدرات شكورة الذي يسيطر على الحي. هي امرأة موجودة في وسط اجتماعي موبوء بالإجرام، لكنها تحاول الخروج منه، بعد أن تدفع حبيبها سيد للانتقام ممن قتلوا أخاها صلاح، وتسببوا في قتل أبيها، والمقصود بالبيئة الإجرامية أن الأب والأخ والزوج سيد كلهم قد مارسوا تجارة المخدرات، وأن هذا الأخير قد تم القبض عليه وصار عليها أن تنتظر خروجه من السجن.

في فيلم "نهاية الطريق" للمخرج نفسه، جسدت الممثلة دور شربات المرأة المتعددة الأزواج والرجال، فهي تنتقل بين أكثر من علاقة شرعية، بعد انفصالها عن زوجها الأول الذي رأته فاشلا غير طموح، فهي تحب طالبا ثريا، لكنها تتزوج من أبيه، وتدب الغيرة في قلب الابن، فيقتل أباه ويدخل السجن، وتؤول الثروة كلها إلى شربات. لكن هذه الأموال لا تلبث أن تكون من نصيب رجل نصاب رمى بشباكه حولها .

كما تتعدد الأزواج في حياة أشواق في فيلم "العاشقة" فهي الزوجة تقع في شباك شلبي ابن العمدة، ثم تهرب معه، لكن عشيقها لا يلبث أن يهجرها بعد أن مل من صحبتها، مما يدفع بالزوج خليل أن يقتل العشيق شلبي، ويدخل الأب السجن، ويترك ابنته فاطمة من أشواق، في رعاية أخته الفقيرة. أما أشواق فإنها تصير راقصة تقوم ذات يوم بإحياء فرح ابنتها دون أن تدري حقيقتها بالنسبة لها، الوحيد الذي يعرف

الحقيقة هو الأب خليل، الذي يكون قد خرج من السجن، والذي يلاحظ أن امرأته السابقة ترمي بشباكها حول زوج ابنتها، فيعترف لها بالحقيقة، مما يصدم أشواق وتموت من الصدمة النفسية.

أما "زوجة من الشارع" فهي دلال المطربة صاحبة الكباريه المحاطة بالرجال، والتي تختار رجلا بعينه للزواج منه دون الآخرين الذين طلبوا منها الاقتران، لكن هذه الزيجة تصدم الأم، فتصاب بمرض، وحين يأتي الطبيب إلى المنزل يتعرف على دلال التي كان زبونا لها ذات يوم، ويحدث أن يتقدم الطبيب لابنة العم، لكن دلال تقف ضد هذا الزواج، مثلما فعلت محاسن مع ابنتها ليلى، لأن هذا الزواج سوف يكشف ماضيها أمام الأسرة، وعندما تفشل محاولاتها تقتله، وفي المحكمة يتمكن المحامي من إثبات الجريمة.

كما نرى، فإن كل هذه الأدوار الشريرة التي جسدتها، حاول فيها المخرجون، وهم أقل قيمة من عز الدين ذو الفقار، أن يدفعوا إليها بأدوار يستفيدون فيها من نجاحها في أداء شخصية لواحظ، لكن ليس غريبا أن تأتي كل هذه الشخصيات الشريرة، التي جسدتها هدى سلطان باهتة، فقد خلت من أجواء الإثارة المتوقدة، كما أن أغلب هذه الشخصيات كانت تعيش في بيوت مغلقة، وليس في بيت خشبي على الطريق الصحراوي. منذ أسند إليها حسن الإمام أيضا في فيلمه "صائدة الرجال" دور مطربة الملاهي التي تسعى إلى اعتزال هذا العالم بأي ثمن،

وتتركه لتتزوج من رجل فقير، ويبدو أنه الدور الوحيد من بين المطربات التي أدت فيه شخصية امرأة طيبة.

كان هذا الإخفاق النسبي في أن تسند أدوار المرأة المثيرة، الشريرة إلى هدى سلطان، وأن تحقق فيها نفس التألق سببا في أن يقل الإقبال على الممثلة، فبعد أن ظهرت في سبعة أفلام في عام واحد، صارت تمثل فيلما واحدا فقط في الأعوام التالية، بل أنها في عقد الستينات لم تظهر سوى في خمسة أفلام أدت في بعضها دور المرأة الشعبية، مثل "السيرك" لعاطف سالم، ودور الجارة التي تتهيأ لاستقبال جارها، ظنا منها أنه سوف يتزوجها، بعد أن "عملت" له أعمال السحر، فإذا به حين يأتي يطلب منها سلفة لأن امرأة سوف تلد، وذلك في إحدى قصص "3 نساء" بعنوان "توحيدة" .

صحيح أن هدى سلطان أدت دور العالمة المطربة في أفلام "دلال المصرية" لحسن الإمام عام 1970، وفي "بدور" لنادر جلال 1974، و"شلة الأنس" ليحيى العلمي 1975، لكنها عادة في أفلامها القليلة مالت إلى تجسيد دور المرأة الخانعة الذليلة المكسورة الجناح، التي تقدم بها السن في أفلام أخرى، مثل "شيء في صدري" لكمال الشيخ 1971، و"السكرية" لحسن الإمام 1973، و"بيت بلا حنان" لعلي عبد الخالق 1976.

لكن حسام الدين مصطفى هو الذي أسند إليها دور المرأة الشريرة بشكل قوي عام 1975 في فيلم "صابرين" المأخوذ عن مسلسل

إذاعي بالاسم نفسه، كتبته جاذبية صدقي، فهي في الفيلم الأخت التي تأتي من مدينة أخرى إلى بور سعيد، كي تقيم في بيت أختها، حاملة معها ثلاثة من الأبناء الصبية، ويحاول بيت الأخت أن يتسع لها على الرحب والسعة، رغم أن أسرة الأخت فقيرة، وتقوم الأخت بإلقاء شباكها على زوج أختها، وتصبح عشيقته، مما يصدم الزوجة التي تموت من الصدمة، فتتزوج الأخت من زوج شقيقتها، وتصبح سيدة البيت وتتحكم في مصير ابنة أختها صابرين، التي تسومها العذاب وتضربها، وتحولها إلى خادمة، لكن صابرين تقرر أن تنتقم من خالتها بأن ترمي شباكها حول أبنائها الواحد تلو الآخر، فتتزوج واحدا منهم، وتغري الثاني الذي يقتل أخاه ويدخل السجن، ثم تدبر قضية رشوة للثالث الذي صار ضابط شرطة، فيتم القبض عليه ويصيب كل هذا الأم بالصدمة التي سبق لأمها أن أصيبت بها، لكن نتيجتها تكون الجنون.

المرأة الشريرة هنا، فعلت أشياء شبيهة بما فعلته لواحظ، فهي تستخدم أنوثتها وجمالها في إثارة شهوة زوج أختها المريضة، ثم هي تمتلك مصير البيت، وتسعى إلى تعذيب صابرين ابنة أختها، وتقف بالمرصاد ضد أولادها الذين يتقدموا للزواج منها، الواحد تلو الآخر، مما يشعل نيران الكراهية في قلب الفتاة، والتي تدبر خططا للتخلص منهم أمام عيني أمهم، فالأم تجد أن صابرين غير مناسبة بالمرة لأي من هؤلاء الأبناء، خاصة ضابط الشرطة حسن.

تقلصت علاقة هدى سلطان بالسينما بشكل ملحوظ طوال العقود الثلاثة الماضية، ولعل آخر أدوارها كامرأة شريرة، هو فيلم "علاقة خطرة" من إخراج تيسير عبود عام **1981**، حيث تدور الأحداث في مدينة الإسماعيلية، وتلعب دور بسيمة صاحبة المترل الذي يسكن فيه المدرس الأعزب أحمد، التي تطمع في أن يتزوج من ابنتها سهام الطالبة بالمدرسة نفسها التي يعمل بها، وتتهمه بالاعتداء عليها ..

أخذ الشر هنا صيغة أخرى، لم يسبق للممثلة أن جسدته من قبل، فقد راحت المرأة التي تطلب الرجال لجسدها، أن تطلب الرجل هذه المرة لابنتها التي تم اغتصابها، والمرأة لا تتراجع قط عن اتهامها للمدرس، الذي يتم إيقافه عن العمل، وتبدو بسيمة هنا قوية الإرادة والشكيمة، فهي تعرف جيدا أن المدرس ليس مذنبا، لكنها تريد أن تغطي فضيحتها بأي ثمن.

الأم هنا، امرأة قوية تود مصلحة ابنتها، ولا تتراجع عن موقفها، هي ذات سلطان، بطبيعتها، وأيضا لأنها صاحبة الدار، وربة أسرة صغيرة، أما المدرس فهو أعزب وحيد، ولذا فإن بسيمة تحقق النصر، إلى أن يكتشف أحمد أن سهام الابنة كانت على علاقة بشاب، هو الذي أخطأت معه، فيسافر إلى العاصمة لإحضاره بهدف كشف الحقيقة.

قدمنا نموذج هدى سلطان، كممثلة ومطربة، تفرغت للتمثيل دون الغناء، مثلما فعلت شادية، في المرحلة الزمنية نفسها، لتؤدي دور المرأة الشريرة بشكل جديد، يتفق مع ما نردده الآن بمصطلح "نيولوك"

وبقدر ما كان الدور في صالحها، فإنه حبسها في إطاره، لما عجز المخرجون عن إخراج المرأة نفسها، أو امرأة متقاربة منها تركت أدوار الشر، وقللت علاقتها بالسينما، ولمعت في التلفزيون بقوة ملحوظة، في أدوار الأم.

توفيق الدقن

همبكة : أحسن م الشرف مافيش

توفيق الدقن، حالة خاصة في أدوار الشر، والخروج عن القانون، فهو الوحيد الذي كان يطلق في بعض أفلامه الأولى عبارات سخرية ممزوجة بالكوميديا، فكأنه بذلك يعلن عن مشاعره المكنونة على الملأ، وقد ردد مثل هذه العبارات في أفلام بعينها جعلته أكثر جاذبية من نجوم كبار عمل معهم.

رجل متوسط الطول، كثيف الشعر، غليظ الأنف، أجش الصوت، موهوب في التمثيل، يصلح في أداء دور الشر على الشاشة، والكوميديا على المسرح، هو في أغلب الأحيان ممثل الأدوار الثانية، ولم يصعد أبدا إلى أدوار البطولة، ولعله لم يكن يمتلك مثل هذه الصفة، يصلح أن يكون عزولا، كما لا يصلح أن يكون زعيم عصابة، بل واحدا من أفراد العصابة، يستمع إلى أوامر زعيم العصابة، وينفذها بحذافيرها، كما أنه يصلح أن يقوم بدور الشرير الشعبي، أي الذي يسكن الأحياء الشعبية، يقدر فقط على الغلابة، والمطحونين ويمارس شروره عليهم.

ولعل من أوائل الأدوار التي نذكرها لتوفيق الدقن، هو دور الواشي والنمام في فيلم "صراع في الميناء" ليوسف شاهين عام **1956**،

وهو الدور الذي كرره بعد ذلك بشكل ملحوظ، فهو الشخص الذي يدبر المكائد بين الناس، ويبدو طيبا لأحد الأطراف، بينما هو يكيد لهم كي يوقعهم في مشاكل عسيرة. كان توفيق قد لفت إليه الأنظار بقوة في "درب المهابيل" قبل ذلك بعام، لكنه في "صراع في الميناء" قام بدور رئيس العمال في ميناء الإسكندرية، الذي يمسك بيديه زمام الأمور، فهو يتحكم في مصائر العمال وفي سلوكهم، لكن عودة رجب من الخارج تشكل له تهديدا في سلطانه، فيعرف أن رجب قد يعين مديرا للعمال، مما يدفعه أن يشيع الشغب بين صفوف العمال، وهو أيضا يستطيع استغلال سذاجة رجب، فيوهمه بأن هناك علاقة غرامية بين رمزي وابنة خالته، فينضم رجب إلى صفوف العمال الثائرين ضد رمزي.

ومنذ ذلك الحين، فإن الدقن يتقن أداء هذه الشخصية، فهو يقوم بدور اليهودي المصري في فيلم "بور سعيد" لعز الدين ذو الفقار عام 1957، يدعى شيكو، وهو اسم حركي مستعار، فهو ينضم إلى مجموعة الجواسيس والأجانب المقيمين في المدينة أثناء العدوان عليها، وهو هنا مزدوج الوجه، يتصرف أمام المصريين كأنه واحد منهم، حتى إذا خلا إلى نفسه ظهرت حقيقته، فيبلغ الأخبار إلى مجموعة الجواسيس، حتى إذا تم القبض عليه، ووجه إليه سؤال إن كان مسلما، أو مسيحيا، أجاب أنه ليس هذا أو ذاك، بما يعني أنه يهودي، وعصابة الجواسيس يرأسها ويليامز، وتساعده مس بات وشيكو الحلاق ومور هاوس، وعندما يتم اكتشاف حقيقة شيكو فإن أهالي بور سعيد المناضلين، يستغلونه ضد

القوات المعتدية، ثم يفتدون به طلبة حين يقبض على وفية الضريرة، ويجعل طلبة من شيكو مقابلا لوفية..

وفي فيلم "ابن حميدو" لم يكن الباز أفندي شريرا بالمعنى المألوف بقدر ما هو وغد، يود خطبة الحسناء عزيزة، ويجد من حسن منافسا حقيقيا له على قلب خطيبته، فلا يجد أمامه سوى أن يدبر له تهمة تهريب مخدرات، ويتم القبض على حسن وزميله "ابن حميدو" وتعرف أنهما من رجال الشرطة، والغريب أن الباز هو الذي يذهب إلى قسم الشرطة، ويضمن خروج خصمه من القسم، وفيما بعد فإن الباز يختفي، دون أن يكون له تأثير واضح في الأحداث، إذ أن هناك عصابة تهريب ينشغل الشرطيان بأمور القبض على أفرادها ..

أما فيلم "أرض الأحلام" لكمال الشيخ في العام نفسه، فإنه يقوم بدور الشرير الصغير، بمعنى أنه يدير المكائد الذي سنعهدها منه، فهو المهندس الذي يعمل لدى عمر الذي يود الاستيلاء على بضعة أفدنة، ورثها أحمد عن أبيه، ويقوم المهندس بإبلاغ عمر أن الأرض التي سوف يشتريها تحتوي على معدن الحديد، مما يشعل الصراع بقوة بين الأطراف، وفي فيلم "الفتوة" لصلاح أبو سيف، فإنه يقوم بدور أحد معاوني أبو زيد إمبراطور سوق الخضار، وهو الذي يدبر المكائد، ضد هريدي، ويحاول كشف هويته، كخائن لدى أبو زيد، ويذهب مع سعيد، وبعض الرجال إلى منطقة صحراوية، بهدف مقابلة العميل الذي يتعامل معه هريدي.

وفي هذه المشاهد السريعة، فإن عيني توفيق الدقن تبدوان، وقد امتلأتا بالمكر والخديعة، فهو يريد إثبات نظريته بأن هريدي خائن، ويتعامل لصالحه مع أطراف أخرى، لكن غالبا ما يقابل الدهاء بالدهاء، فهريدي قد أعد عدته، ودبر كل شيء بإتقان، لذا فإن خطة كشف هريدي تفشل .

في هذه الفترة كان توفيق الدقن قد عمل بشكل مكثف أمام فريد شوقي، وفي عام **1958** جسد شخصية "أبو سنة" في فيلم "سلطان" إخراج نيازي مصطفى، إنه المكوجي عشيق الخادمة التي يحبها سلطان، والتي تحاول إلصاق مهمة السرقة إلى سلطان عقب خروجه من السجن، فيضربه بقوة، ويظن أنه مات، فيكون ذلك أول طريق الهرب إلى الجبل، وفيما بعد، فإن سلطان يستقدم حبيبته القديمة وزوجها أبو سنة إلى الجبل، وينزع له سنته الذهبية عند حافة الجبل ثم يرمي بها إلى السفح، ويطلب من "أبو سنة" أن ينزل لإحضارها، ويقذف به من أعلى

وقد لعب الدقن دور البطولة المطلقة كشرير في فيلم "هل أقتل زوجي" في العام نفسه، فهو ذلك الشخص الغامض الذي دخل حياة أسرة سعيدة أثناء غياب الزوج في عمله، كي يوهم الزوجة أنه ابن عم لزوجها، وأن الزوج قاتل وهارب من العدالة، وأنه لن يتردد عن إبلاغ الأمر إلى الشرطة ما لم توقع على عقد بيع أحد عقاراتها، ويحذرها من إبلاغ الأمر إلى زوجها خوفا من أن يقتلها، ويصور لها أن الزوج هو قاتل، ومصاب بوسوسة القتل، وأنه يمكنه أن يقتلها..

ورغم أن محسن سرحان هو الزوج، فإن مساحة حضور توفيق الدقن قد زادت في الفيلم، وفي النهاية تكتشف أن هذا الرجل هو شقيق الزوج، وأنه هو نفسه هارب من العدالة، ويلقى مصرعه..

لعل من أبرز أدواره في تلك الحقبة، دور الصديق المخادع في فيلم "تحت سماء المدينة" عام**1960** إخراج حسين حلمي المهندس، حيث يوقع بين الزوجين أحمد وسعاد، على طريقة إياجو، فينقل إلى كل منهما خبرا عن الطرف الآخر، يؤدي في البداية إلى انفصال الزوجين، ثم هو يجذب الزوجة إلى عالم الليل، فإذا سألت سعاد عن طليقها، يخبرها أنه لم يعد يذكرها، وإذا سأل أحمد عن طليقته، أبلغه أنها سارت في طريق الغواية، ومثل هذا الشخص لن يلبث أن تظهر مكائده، لكن سعاد تكون قد وقعت في الهاوية. وهو فيما بعد يبتز سعاد، فيجعلها في حاجة إلى المال، فيهجم عليها، ثم يجعلها ألعوبة بين يديه.

صنع حسين فوزي من توفيق الدقن النموذج الذي اشتهر به فيما بعد، ابن الحارة، البرمجي، خفيف الظل، الذي يعيش في الحارة بلا جذور، يكاد يعرف كافة أسرار أبناء الحارة، وينم عليهم، ويكذب ويفعل كل ذلك بخفة ظل ملحوظة، وينطق بعبارات ظلت علامة في أذهان الناس، حتى الآن بعد مرور قرابة نصف قرن، مثل "يا آاه ، يا آاه.. أحسن من الشرف ما فيش"، وأيضا "يا دانس"، وقد بدا هذا النموذج غريبا وجديدا على الشرير في السينما المصرية، فهو يمزج الضحك بالشر، وهو هنا يحاول إيقاع الرجل الثري في أن يحب الفتاة التي يحبها ابنه، دون أن

يعرف الأب الحقيقة، وأن يدبر دانس جريمة قتل كي يزج بالابن في السجن، ويزيحه عن الأب..

وبنجاح هذه الشخصية، سعى مخرجون آخرون إلى الاستفادة من مواهب الدقن، ليظهروه فيها، مثلما سيحدث فيما بعد في فيلم "سر طاقية الإخفاء"، لكن المهم هنا أن الدقن قد أثبت موهبته، فعمل في هذا النوع من الأدوار مع أهم المخرجين، خاصة صلاح أبو سيف الذي أسند إليه دور القروي الذي يبث النميمة حول فايزة، المدرسة في فيلم "الطريق المسدود"، ويتم افتعال فضيحة حول فتاة معتدلة مما يضطرها أن تهرب مرة أخرى إلى المدينة التي سبق أن هربت منها إلى القرية.

ولعل من أبرز أدوار الدقن في تلك المرحلة، هو ضابط القلم السياسي في فيلم "في بيتنا رجل" لبركات عام **1961**، فهو الذي يبحث عن إبراهيم، الطالب الذي اغتال زعيما سياسيا، ويقوم باستجواب عبد الحميد ابن العم الذي ينشطر إلى قسمين: الأول ناحية ابنة عمه، والثاني الرجل الذي يسعى للإبلاغ عن إبراهيم من أجل الحصول على المكافأة، ورغم أن رجل البوليس السياسي هنا يؤدي واجبه، فإن الفيلم تعامل معه على أنه شرير ، يقوم باستجواب مواطن شريف كي يعترف بأشياء هو في حاجة إليها، وهذا الضابط في البوليس السياسي ينجح في مهمته ويعذب من يقوم بالقبض عليهم.

وفي قائمة أفلام الممثل، وهي القائمة الأطول من بين ممثلي الأفلام في مصر، لا يكاد يوجد استثناء في إسناد دور واحد لشخص غير شرير،

للدقن، حتى دور الزوج المخدوع في فيلم "الأزواج والصيف" فإنه أيضا رجل خارج عن القانون يجد نفسه في الزنزانة نفسها مع الرجل الذي أقام علاقة عاطفية مع زوجته..

ولعل دوره في "سر طاقية الإخفاء" هو أحد أدواره الباقية في الذاكرة، فأمين هذا شخص غليظ، قوي البنية، يود الزواج من ابنة خالته، التي تعمل صحفية، وتحب زميلها، وجارها عصفور الضعيف المسالم، نحن هنا أما النقيضين، القوي، والضعيف، يحاول هذا الأخير أن يتسلح بقوة خفية هي طاقية الإخفاء، أما أمين فإنه عندما يحصل على هذه الطاقية ذات القوى الخارقة، فإنه يستخدمها في أعمال الشر، مثل السرقة والقتل والسعي إلى الثراء، والطاقية تنتقل بين الطيب الساذج الأبله ، والشرير الحويط الذكي الذي يضغط على ابنة خالته كي تقترن به، والذي يطعن عشيقته السابقة بسكين، وينسب الجريمة إلى عصفور ورغم كل هذه الوجوه المتعددة للشرير أمين، فإن الجُمل التي ينطقها لا تزال أيضا ترن في الآذان، مما يوحي أننا لا يمكن أن نتخيل ممثلا آخر يؤدي مثل هذه الأدوار بالقوة نفسها مثلما فعل الدقن، وهو يردد: "العلبة دي فيها إيه.. فيها فيل، فيها فيل" ..

أما زيطة صانع العاهات في فيلم "زقاق المدق" لحسن الإمام عام **1963** فهو الرجل الذي له مهنته التي يرتزق منها الآخرون، مهنة مقززة لكنها مطلوبة، فزيطة يصنع العاهات التي تبيح للمتسولين أن يكتسبوا شهادات رسمية كي يحصلوا على عوائد ودخول مضمونة، وزيطة هنا

رجل رث الثياب كثيف الشعر قدر الهيئة، ليست له أي عائلة أو جذور ولا أصدقاء..

ورغم أنها أدوار متقاربة، فإن الأداء يختلف، فهو الزوج القوي، في فيلم "أنا وهو وهي" لفطين عبد الوهاب، إنه النمساوي الذي يأتي إلى المحامي حمدي متصورا أن هذا المحامي، قد نام مع زوجته في أحد الفنادق، ويفرض سطوته عليه بقوته، والحقيقة أن الدور بدا شاحبا بالنسبة للدقن قياسا إلى الممثل سلامة إلياس الذي جسد الدور في المسرحية.

أما "همبكة" الذي يردد العديد من الجمل التي عاشت في أذهان الناس طويلا بعد فيلم "بنت الحتة" لحسن الصيفي عام **1964**، فإنه نموذج لابن بلد كان موجودا في الستينات، بدليل نجاح هذه الشخصية التي تردد جملا مثل "ألو.. ألو يا أمم".. وهمبكة هذا هو الساعد الأيمن لشرير الحارة المعلم زكي الذي يدبر له المكائد، من أجل أن يفوز بقلب إخلاص، فيعرض همبكة على المعلم أن يكسب سليم شقيق إخلاص في صفه ليستطيع أن يتزوج الأخت أي أن همبكة، ودوره هنا صغير، هو الذي يحرك الأحداث، ويوقع بالأشخاص.

في العام نفسه جسد الدقن أيضا الشخصية نفسها في فيلم تاريخي مغامرات، هو "أمير الدهاء" لبركات، فهو الذي سوف تفوته الوظيفة لو تولى حسن الهلالي منصب رئيس البحارة، لذا فهو يتعاون مع اثنين آخرين من أجل الوشاية لدى الحاكم بأن الهلالي يحمل رسالة خطرة على المستوى السياسي، ويقوم بنفسه بكتابة رسالة الوشاية بيده اليسرى،

ويزج بالهلالي فعلا وراء جدران سجن رهيب لسنوات طويلة لجريمة لم يرتكبها، وكي يخرج فيما بعد لينتقم ممن تسببوا في إيذائه الواحد تلو الآخر، دون أن يريق الدماء، بعد أن صاروا أغنياء بفضل وشايتهم.

حتى في فيلم "مراتي مدير عام" لفطين عبد الوهاب عام **1966**، فإنه الموظف الوقح خفيف الظل المتملق النمام، صاحب الإشاعات، المتسرع الذي ليس له عمل في المصلحة سوى استطلاع الأخبار الكاذبة، فهو الذي يأتي بخبر عن المدير العام الجديد، بأنه سكري وأرمل وأشياء أخرى، فإذا به عندما يكتشف أن عصمت هانم امرأة، يضيف تاء التأنيث على الكلمة، وهو مستعد دائما بقصيدة مدح للمدير الجديد، مهما كانت هويته، وفي كل المناسبات، كما أنه يعرف أن هناك علاقة بين المديرة عصمت والمهندس حسين، فيشيع في المصلحة بأمر العلاقة إلى أن يصدم الجميع بحقيقة العلاقة أنهما متزوجان..

في تلك الفترة، كان توفيق الدقن قد لمع في أدوار كوميدية عديدة على المسرح مثل "سكة السلامة"، وترددت عباراته الضاحكة مثل "على ودنه"، ورغم ذلك، فإن السينما لم تعفيه من أدوار الشرير في أفلام مثل "أبواب الليل" **1969**، و"صراع المحترفين" في العام نفسه.

وكان الدقن يعمل بشكل مكثف في هذه الأدوار، فهو في عام **1969** يمثل في عشرة أفلام، ارتفع عددها عام **1973** إلى ثلاثة عشر فيلما؛ ففي فيلم "حرامي الورقة" عام **1970** لعلي رضا، جسد دور اللص الذي سرق حافظة نقود بداخلها ورقة يانصيب تكسب البريمو،

لكن بعد أن يكون قد باعها اللص إلى أحمد الراقص بإحدى الفرق الاستعراضية..ترى من يكون صاحب المبلغ الذي ربحته ورقة اليانصيب؟، هل هو أحمد الذي اشترى الورقة من النشال أم زينب الفتاة الفقيرة التي تعمل في مصنع ملابس جاهزة أثناء عودها إلى المترل، أم أن صاحب الورقة هو النشال نفسه الذي راح يطارد أحمد للحصول عليها، لقد جسد الدقن هنا مجددا شخصية الشرير الخارج على القانون، فهو يبتز الشاب كي يخفي حقيقة أنه لص المحفظة .

والحقيقة أن عدد الأفلام التي قام بها توفيق الدقن بدور الشرير كثيرة للغاية، خاصة مع بداية السبعينات، وكثير من هذه الأفلام قيمته الفنية أقل، ومنها على سبيل المثال "الغشاش"، و"نهاية الشياطين"، و"شباب في العاصفة" عام 1971 ثم "الشيطان والخريف"، و"ساعة الصفر" عام 1972 إلا أننا يمكن أن نتوقف بالنسبة لرحلة الفنان عند أفلام بعينها، فلا شك أن أشرف فهمي هو الذي أعاد اكتشاف الدقن، وقدمه في أغلب أفلامه حتى رحيل الدقن عام 1987 ابتداء من "واحد في المليون" عام 1971 لكن الدور البارز للمثل كان عام 1973، مع أشرف فهمي في فيلم "ليل وقضبان"، فهو هنا صف الضابط في سجن، أقرب إلى المعتقل السياسي، الشلقاني هنا يلاحظ أن الكهرباء تنقطع في بيت المأمور، كلما كان هذا الأخير خارج السجن، أو على سفر، ويتابع هذه الظاهرة ثم يبلغ مدير السجن فتحي عبد الهادي الذي يتظاهر بأنه في مأمورية خارج البلدة، ويعود فجأة ليتأكد أن هناك قصة حب بين زوجته سميرة، وبين المعتقل السياسي المهندس أحمد، فيدبر خطة مع الشلقاني

لإطلاق الكلاب وراء السجين كي تمزق جسده، وتدبير الأمر على أن الكلاب طاردت سجينا هاربا من المكان.

في هذه الأعوام، بدأ الدقن يشهد تحولا ملحوظا في أدواره، مثل دور العاشق الذي صدم في حبيبته التي اختطفها في "البحث عن فضيحة" لنيازي مصطفى عام **1973** لكن حتى عندما ذهب الدقن إلى سوريا ليمثل في فيلم "رحلة عذاب" عام **1974** فإنه جسد دور الشرير الذي يوقع بزميل له، وفي عام **1975** جسد دور رجل العصابة في فيلم "مولد يا دنيا" لحسين كمال، فهو أبو دومة الذي يدير مدرسة للنشل، ويرى في مجموعة الشباب الذين يعملون معه مكسب لتحقيق المزيد من المال، لكن المخرج عادل يحاول الاستفادة من طاقة هؤلاء الشباب ليقدمهم في فرقة استعراضية جديدة، ويحدث صدام بين أبي دومة، الذي ينجح في إرهاب الأولاد لأول مرة وإعادهم إلى حالتهم القديمة، وبين عادل، حيث يحاول أبو دومة أن يهدم المسرح ليلة الاستعراض الكبير، لكنه يتراجع في اللحظة الأخيرة.

وفي عام **1976** جسد الدقن دورا شريرا كاريكاتوريا في فيلم "فيفا زالاطا" لحسن حافظ، فهو رجل الكاوبوي الذي يتصدى لزلاطا، ويطلق الرصاص عليه فيقتله ويصبح حاكما متسلطا على مدينة مكسيكو، حتى تذهب نجمة ابنة زلاطا إلى مصر بحثا عن ابن الأخ متولي، ليقف ضد الشرير الذي سيطر مع أعوانه على المدينة. هنا، كان الدقن قد صار أكبر سنا، ولم يعد ذلك الشرير الماكر النمام رجل العصابات،

مثلما سبق أن جسد العشرات من الأدوار؛ فهو في "بص شوف سكر بتعمل إيه" لأشرف فهمي عام 1977يقوم بدور رجل عصابات خطف وتربية الأطفال، وهو دور مشابه لما جسدته نجمة إبراهيم في "جعلوني مجرما"، لكن الدقن كان يكسب هذه الشخصية روحاً مرحة وخفيفة..

وفي عام 1979 استعان به أشرف فهمي ليقدم دور شقيق الزوجة الانتهازي الساخر في فيلم "ولا يزال التحقيق مستمرا" الذي يحث الزوجة على التمرد ضد زوجها الفقير، وفي عام 1982 عمل مجددا مع أشرف فهمي في "الشيطان يعظ" في دور الفتوة القديم الذي فقد قوته، وأنيابه، وفي "على باب الوزير" لمحمد عبد العزيز عام 1982 جسد دور الموظف الشريف الذي يتولى تربية أبنائه، لكنه يتصرف بحماقة ملحوظة ضد ابنه الأكبر طالب كلية الطب.

وفي أحد أدواره الأخيرة، بدا الدقن كأنه يتخلى عن كل الشخصيات الشريرة خلفه ويتحول إلى شخص حكيم، خبرته الحياة بالمنطق الجميل، وهو يرشد الشاب القادم من المدينة على كيفية التعامل مع صاحب الأرض التي سيبيعها له، وذلك في فيلم "خرج ولم يعد"، وبدا الدقن كأنه قد ارتدى ثوبا جديدا فرضته عليه الشيخوخة والزمن، لكنه لم يفقد بريقه حتى رحيله؛ فظل يعمل حتى اللحظة الأخيرة .

رشدي أباظة

كل ممثل جيد له في الشر دورا لا يُنسى..

وفي العام نفسه الذي أسند فيه عز الدين ذو الفقار دور الأخ الشهم صابر إلى رشدي أباظة في فيلم "امرأة في الطريق" أسند اليه دور "الرجل الثاني" الذي "دوَّخ" الشرطة ورجالها، ولم يتم التخلص منه بسهولة، فدسوا له بضابط شرطة بالغ الذكاء والحذاقة، فكشف هويته، ولم يدعه يهنأ بالتخلص منه إلا بعد أن أذاق الجميع الأمرين.

رشدي أباظة، ذلك الأنيق المهذب، الذي يجيد التعامل مع النساء، المولود لأم إيطالية وأب مصرى، الذي قام بالبطولة المطلقة عام **1948** في فيلمه الأول "المليونيرة الصغيرة" ما لبث أن صار ممثلا للأدوار الثانية في أفلامه التالية، وغالبا ما تكون هذه الأدوار في السينما المصرية مخصصة للشر الذي يحاول مجابهة الخير، وفي هذه الأفلام كان المخرجون، ذوو الأصل الإيطالي مثله يسندون إليه الأدوار الثانية أو الأولى، مثل السيندريني في "أمينة" عام **1949**، ثم "امرأة من نار" لفرتيتشبو.

ولعل أول أدوار الشر التي نذكرها له، هي دور الذكر الجديد البديل الذي جاء إلى بيت ثري في الزمالك عام **1952** في فيلم "الأسطى

حسن" لصلاح أبو سيف، فهناك امرأة حسية، تتعامل دائما مع الرجال البالغين الصلابة بهدف إشباعها، ويأتي هذا الرجل الجديد أنيقا، قويا، بعد أن انطفأ عود العشيق القديم، إنه طاقة مشتعلة لإشباع المرأة، ويبدو متعجرفا، دون أن يعرف نهايته، ولابد للمرأة أن تتخلص من العود القديم الذي يشتعل غضبا، فيتعارك معه.

ويبدو أن هذه الصورة وحدها راقت للمخرجين في هذا الوجه الجديد، فظهر بالشكل نفسه في أفلامه التالية، فهو الشرير الأنيق في "إرحم دموعي" الخطيب الذي يعود من السفر، مصاحبا معه خطيبته الجديدة، ويتخلى كالوغد عن حبيبته التي تنتظره، فهو يميل إلى الميزان الأرجح ناحية الثروة المضمونة، ويتعمد إهانة حبيبته القديمة، التي اضطرت للزواج من رجل صناعة، من أجل إنقاذ أبيها من الإفلاس، وهذه الحبيبة تعترف لزوجها في ليلة زفافها أن قلبها معلق برجل آخر، إنه ليس سوى هذا الوغد الذي سوف يستغل تسجيلات وصور قديمة لابتزاز المرأة، أو محاولة إعادتها له.

وفي "جعلوني مجرما" لعاطف سالم عام **1955** هو أيضا أحد الفريقين الذين يترددون على الملهى الليلي من أجل اصطياد النساء، وممارسة شروره، وهو يقف ضد سلطان دوما، ويتشاجر معه، كما يؤدي دور الرجل الذي يتزوج النساء، ويخطط لقتلهن من أجل الفوز بمبالغ وثيقة التأمين في فيلم "حياة أو موت" لكمال الشيخ.

كلها أدوار صغيرة متشابهة للفتى الوسيم الشرير، فهو ابن الوزير الذي يتزوج من فتاة تحب ابن عمها ضابط الجيش في فيلم "إني راحلة" لعز الدين ذو الفقار عام 1955حتى إذا تزوج بها، انكشفت أخلاقه الشرسة، فهو يخونها مع نساء أخريات، ويضربها، إلى أن تشعر باليأس منه، فتهرب مع حبيبها وتموت محترقة في عش الحب بعد أن مات الضابط من المرض.

المخرج الذي أحس بقيمة وموهبة رشدي أباظة، ومنحه دور البطولة الأولى هو حسين فوزى الذي منحه دور الصياد العاشق أمين في فيلم "بحر الغرام" عام 1955 أمام نعيمة عاكف، وقد بدا أباظة هنا بالغ السحر والفتنة، فهو عريض المنكبين صاحب ضحكة مميزة يثير شهوة امرأة متزوجة تريده لنفسها، لكن ليس هذا الدور هو ما نهتم به هنا، نحن نبحث عن أباظة الشرير، لكن منذ هذا الفيلم وأدوار الممثل تتراوح بين الخير والشر، وبين البطولة المطلقة في الأدوار الثانية.

ففي العام 1956 قام بدور ابن الذوات الأنيق العاشق الذي تدفعه حبيبته كريمة إلى الانتقام من المطربة الجديدة زنوبة، التي تملكت قلب المطرب والملحن وحيد في فيلم "إزاي أنساك" لأحمد بدرخان، فيقوم هذا الشاب الثري بإغراء زنوبة بالهداية، وبعدها بالزواج، ويبدأ في إبعادها عن المطرب، بل أن زنوبة تتعالى على المطرب وتترك بروفات العروض الغنائية، مما يعرض الفرقة للخسارة، وذلك كلما أغدق عليها الشاب المزيد من الهدايا، وهو يتمكن ذات ليلة من تخديرها، والاعتداء

عليها ثم يكشف لها حقيقتها، ويتركها.. زنوبة في هذا الفيلم تستحق مثل هذا الوغد الذي غرر بها، فسرعان ما صارت هي الأخيرة شريرة ناكرة لجميل من وقف بجانبها، والغريب أن الفيلم سرعان ما غفر لها، حين قررت العودة مرة أخرى إلى فريد.

في هذا العام، قام رشدي أباظة بدور ضابط الشرطة الذي يفتش عن الفاعل في فيلم "من القاتل" لحسن الصيفي، ثم هو العاشق في "موعد غرام"، وشيئا فشيئا ستقل مساحة الأدوار المشابهة، ففي عام **1957** قام من جديد بدور العاشق الوغد، الذي يدفع بحبيبته إلى الزواج من نادية، ابنة الزوج تمثل صدمة بالنسبة لها، وتحاول أن توقفها لكنها لا تنجح في ذلك بل أن هذا الوغد يتقدم للزواج منها، كي يمتلك المرأتين معا، الابنة، وزوجة الأب..

وفي عام **1958** جسد رشدي أباظة، دور الضابط الفرنسي بيجار في فيلم "جميلة" ليوسف شاهين، هذا الضابط الذي فقد عينه في حرب فيتنام، جاء إلى الجزائر كي يتولى وأد المقاومة والثورة المسلحة بيد من حديد، وما أن تقع جميلة بين يديه – كواحدة من المناضلين – حتى يشرع في تعذيبها بقوة ووحشية، ويطلب منها أن تطلعه على مكان يوسف زعيم الثوار، لكنها تتحمل أقسى العذاب ولا تخون قضية بلادها، وحين يفشل أن يجعل السجينة تعترف، فإنه يأمر بالقبض على أخيها الصبي، ويعذبه أمام عيني أخته بالقسوة نفسها.

يبدو بيجار نفسه رجلا بالغ الحدة، يخلو وجهه من أى ملامح، وتعطيه العصابة السوداء على إحدى عينيه مظهرا أكثر قسوة فمثل هذه الشخصية لا منفذ لها، وليس لديها رحمة، وهي تتفنن في تعذيب ضحاياها من أجل الحصول على المزيد من المعلومات.

وكان رشدي أباظة قد حاول إغواء زوجة صديقه الأديب في فيلم "أنا بريئة" إخراج حسام الدين مصطفى عام **1959** مما أدى إلى حدوث جريمة في البيت، فإن رمزي هذا لم يرتكب الجريمة بنفسه، بل أن الزوج الغيور هو الذي حاول قتل ابن عمه رمزي، وتتدخل الزوجة فتطلق رصاصة تصيب زوجها، فيهرب رمزي مع ناهد خوفا من العقاب، ويأويان إلى بنسيون..

رمزي هنا شرير بطريقته، فهو يحاول إغواء ناهد بما لديه من ذكورة، وهو أيضا يلعب القمار ويرفض الاعتراف بالحقيقة لابن عمه، بعد أن عرف أن فاضل لا يزال على قيد الحياة.. ويلقى رمزي مصيره على أيدى رجال الشرطة..

أما الدور الأهم في تاريخ حياة الممثل، كشرير بالطبع، فهو في "الرجل الثاني" لعز الدين ذو الفقار عام **1959**، إنه شرير من نوع خاص، يجيد التخفي وحفظ الأسرار، ويقود عصابة ضخمة، ويعرف كيف يتعامل مع أتباعه، وأيضا مع رئيسه الرجل الذي لا يعرف أحد من يكون.. كما يتمتع بذكاء وجاذبية وأناقة.

هكذا رسم يوسف جوهر ملامح الرجل الثاني، عصابة دولية بين القاهرة وبيروت مهمتها تهريب الأموال بين المدينتين، وعصمت يعيش أغلب وقته في كباريه، من حوله عشيقته سمر التي أنجبت له ابنة لا يعترف بها وينسبها إلى أحد رجاله. وعصمت كاظم هذا رجل بلا مشاعر، سواء في علاقاته العاطفية، أو علاقته بمن حوله، فهو يتجاهل مشاعر المطربة اليونانية لمياء التي تعمل أيضا في الكازينو، لذا فإن لمياء تقرر الزواج من رجل ثري، وعصمت مطيع، فهو يقتل إبراهيم شقيق لمياء لأنه خرج عن طوعه، تبلغ لمياء الشرطة وتطلب معرفة من هم قتلة أخيها.

رغم أن الفيلم يدور في مكان مغلق، هو الكباريه، فإن الأحداث تبدو مثيرة، خاصة عندما ينتحل ضابط شرطة شخصية الأخ الأصغر للمغنية لمياء، المسمى أكرم، وما أن يدخل الضابط إلى وكر العصابة يدور صراع حاد بين الأذكياء، ويبدو عصمت بارعا في كشف خصومه، والإفلات ممن يطاردونه، والتخفي بشكل جيد، وارتداء ملابس رجل آخر وهو ذاهب لملاقاة الرجل الأول.. كما أنه لا يتورع عن كسر ساق أحد معاونيه، من أجل عمل جبيرة يتم اخفاء المال تحتها، ولا يكاد يهتز جفن لعصمت عندما تبلغه سمر أن ابنتهما قد ماتت..

في أفلامه التالية، أدى رشدي أباظة دور الشرير الذي لا يلبث أن يتغير إلى الأفضل، وإذا كان قد ظهر في دور الوسيم الأنيق في الرجل الثاني، فإنه شخص مختلف تماما في "ملاك وشيطان" لكمال الشيخ عام **1960**، قد قام بعمل فارقا في رأسه من المنتصف، وبدا أجش الصوت،

قاسي الملامح، وعزت هذا يضع أسورة من النحاس في يده، وقد وجد نفسه حارسا على طفلة صغيرة، أتت بها عصابة للإقامة في مترله، حتى يدفع أبوها الجواهرجى فديتها، وعزت يعيش مع راقصة هي خيرية، يبدو بالغ القسوة كل هدفه هو الحفاظ على الصغيرة من أجل أن يأخذ نصيبه من زعيم العصابة المعلم شحات.

وعزت هذا لا منفذ عليه، فيتعامل بحدة ملحوظة مع الطفلة، ولا يتورع أن ينفذ عدة محاولات لقتلها، مثل وضع السم في اللبن الذي سوف تشربه، لكن الطفلة تبدو محظوظة حيث تقدم اللبن إلى القطة فتموت، وفي البداية فإن عزت لا يستجيب إلى رقة الطفلة، التي تحدثه بلغة لم يعهدها، وهو يجن جنونه حين تهرب الفتاة من المترل، ويتعامل معها بعجرفة شديدة، ثم يبدأ في التعاطف معها، لكن المال أهم من العاطفة، فبعد أن يوافق الأب على دفع الفدية، يأخذ عزت الطفلة إلى حقل ألغام كي تموت، لكنه بدا وكأنه قد تغير، حيث تلعب كل من خيرية، والطفلة دورا في هذا المضمار، ويحاول إنقاذها وإعادتها إلى أهلها، ويصير شخصا آخر تطارده عصابة الشحات، حتى يفارق الحياة أمام قصر الجواهرجي برصاص العصابة، بعد أن اطمأن أن الصغيرة وصلت إلى أهلها سالمة.

نفس المشاعر مر بها عبد الحميد في فيلم "في بيتنا رجل" لبركات عام **1961** فهو الطالب الفاشل الذي لم ينل أي شهادة، ويود أن يتزوج من ابنة عمه، وعندما يكتشف أن أسرة العم تأوي لديها شخصا مطلوبا من الشرطة، يبدأ في مساومة الأسرة على الإسراع بتزويجه من ابنة العم،

ويتصرف عبد الحميد كوغد إزاء الجميع، ويهدد دوما أنه قادر على إبلاغ البوليس السياسي، بل أنه عند لحظة خلاف، يسر إلى إدارة البوليس السياسي كي يحصل على المكافأة المرصودة لمن يبلغ عن القاتل الهارب إبراهيم حمدي. وفي مكتب رئيس المباحث، يبدأ في الاعتراف، لكنه يتوقف حين تدخل ابنة عمه، التي طاردته، كي تبلغه أنها طوع بنانه..

وعبد الحميد هنا يتغير تماما مثلما حدث مع عزت حيث يتراجع عن موقفه، ويبدأ في التعاطف مع أسرة عمه، ثم مع القضية الوطنية التي يمثلها إبراهيم حمدي، وهو فيما بعد يطارد من الشرطة. ويتم القبض عليه، ويعذبونه، ويصبح واحدا من الفدائيين.

وقد عاد رشدي أباظة إلى أدوار الشر مرة أخرى في فيلم "الطريق" لحسام الدين مصطفي عام **1964** فهو صابر الابن الذي تبلغه أمه، العاهرة سابقا، أن أباه موجود وأن عليه أن يبحث عنه، ويأتي إلى القاهرة ويتوه فيها كرجل وحيد، بدون جذور، يحاول أن يجد له جذرا واحدا، ويتحمل الإهانات والضياع، إلى أن يقع في غرام زوجة صاحب الفندق الصغير الذي يقيم فيه فيصبح خائنا ثم قاتلا وهاربا من الشرطة، ويصير مآله إلى المشنقة.

كافة الظروف التي تحيط به تقوده إلى الجريمة، هو مادي، غير مؤمن، واقع بين امرأتين، الأولى تعمل في الصحافة، وتمثل الإيمان، هي إلهام، أما كريمة فهي الشهوة، والضياع، وهي التي تدفعه إلى أن يتخلص

من زوجها، كي يصير لها وحدها، وهو يستخدم آلة حادة لتحطيم رأس الرجل بدلا من أى وسيلة أخرى أقل عنفا.

كانت هذه الأدوار بمثابة استثناء في حياة الفنان الذي قام بتوزيع أدواره، وبالنظر إلى خريطة أفلامه الأخرى سنجد أن دور الشرير قد صار أقل، أو فلنقل أنه تغير، ففي فيلم "العيب" لجلال الشرقاوى عام 1967 على سبيل المثال نراه يقوم بدور محمد، الموظف المرتشي، الذي يضع قوانينه لمن يتعاملون مع المصلحة الحكومية التي يعمل بها.

فهو واحد من مجموعة موظفين يقومون بتزوير أذونات الاستيراد لحساب أحد رجال الأعمال، وفي مقابل هذا فهم يتقاضون منه رشوة دائمة، وعندما يتم تعيين ثلاث فتيات من حديثي التخرج بالعمل في المصلحة، يكون من حظ إحداهن العمل في المكتب الذي يحرر الأذونات المزورة، يحاول الموظفون وعلى رأسهم محمد أن يضموا الفتاة إلى صفهم، لكن محاولتهم تفشل رغم حاجتها إلى المزيد من المال من أجل علاج أمها، ومن أجل أن يجعلها تنصاع، فإنه يتقدم لخطبتها لكنها ترفض. شخصية محمد هنا، يحدث لها التحول من السيء إلى الأفضل، فلا يلبث أن يتغير، ويتوقف عن قبول الرشوة من أجل أن يتزوج من حبيبته.

ومع مرور السنوات، راح أباظة يقوم بأدوار شر مختلفة، فهو الطبيب الذي يضاجع إحدى مريضاته في فيلم "السراب" لأنور الشناوي عام 1970، وهو جاسر الذي يخون ابن عمه مع زوجته في فيلم "امرأة ورجل" لحسام الدين مصطفي، وهو الرجل الذي يدفع بدولت إلى أن

تغوي هدى كي توافق على أن تنام في فراشه في فيلم "العاطفة والجسد" إخراج حسن رمزي عام 1972. تعيش هدى في بيت مشبوه مع دولت بعد أن عرفت أن حبيبها أحمد قد مات في طائرة احترقت، فأصابها اليأس، أما الرجل الذي يبغيها، فإنه يفعل كل ما بيده من أجل أن ينالها، ويتم تخديرها واغتصابها.

أما الدور الأكثر شرا في تلك السنوات، فهو بلا شك "شيء في صدرى" لكمال الشيخ، فهو حسين باشا شاكر المتسلق إحدى قمم السلطة قبل الثورة، يتعاون مع رجال المستعمر، انه رجل يوغر صدره بالحقد والكراهية، وهو لن ينسى قط زميله الأسبق محمد أفندي السيد الذي لم يتمكن من أن يضعه تحت رايته، فهو رجل وطني شريف، ولا تكتمل لذة الباشا سوى بالسيطرة على محمد السيد، لكن هذا الأخير يموت، ويبقى شبحه النقي ماثلا أمام ذاكرة الباشا، الذي تستبد به شهوة السيطرة وحب التملك وإغراءات السلطة، فيحاول إذلال الأهل من خلال أسرته، حتى يطفيء النار المشتعلة بداخله. فالزوجة والابنة وجارها الذي يحب ابنة محمد، يصبحون محور حياته. ويقوم الباشا بدفع مدير مكتبه لإحضار الأم وابنتها للعيش في منزله، ويبدأ في إغواء الأم ويغرر بها حتى تسقط في الرذيلة معه. ويحاول أن يفعل الأمر نفسه مع الابنة، التي يجد فيها نموذج الأب محمد، ولا ينالها رغم أنه أبعد عنها خطيبها، يحاول الاعتداء عليها، لكنه لا ينجح، ويظل شبح خصمه القديم ماثلا أمامه يملأه بالحقد والغيرة والوسوسة.

في عام 1975عاد رشدي أباظة مجددا إلى أدوار الشر في فيلم "يوم الأحد الدامي" لنيازي مصطفى المقتبس عن فيلم "ساعات اليأس" لوليام وايل، وهو هنا سجين هارب مع أخيه وزميل ثالث، يدخلون فيلا الدكتور زكي للإقامة بها، حتى يتمكنوا من الهرب إلى مكان آمن، يبدو سلطان هنا، شخصا بالغ الشراسة والقوة يتحكم في حياة أخيه، وهو بالتالي يثير الرعب داخل المنزل، خاصة حين يحس أن الخطر يهدده، وسلطان هنا لا يمارس القسوة وحده بل يستعين بالسجين الهارب الثالث جرش (أدى الدور علي الشريف) كي يثير الخوف والفزع في قلب الأسرة. فجرش هذا يجيد ممارسة طقوس الوحشية التي تلقاها في السجن.

وسلطان القاسي هذا يموت على يدي أخيه الأصغر بعد أن عانى منه الكثير، حيث يصوب المسدس إلى ظهر أخيه، ويرديه قتيلا.

في فيلمين متتاليين عام 1978 عاد رشدي أباظة إلى أدوار الشر، الأول في "القاضي والجلاد" إخراج نادر جلال، فهو شريف الذي يقيم علاقة غير شرعية مع زوجة شريكه كمال، الذي يكتشف حقيقة الخيانة ويلقى مصرعه في سيارته، أي أن الخيانة هنا أدت إلى مقتل رجل برىء، مما يضاعف الإحساس بالشر الذي يكمن في داخل شريف، الذي يحاول أن يلقي شباكه على ليلى ابنة كمال، فتبدأ الأم بالشعور بالغيرة من ابنتها، وتحاول الابنة ناهد أن تنتقم من أمها، وعشيقها حين توافق على خطبته لها مما يثير غيرة الأم، وتفلح الحيلة وتواجه الفتاة أمها، وتصر على الزواج من شريف، تذهب الأم إلى شريف تستوضح موقفه من ابنتها، يركب سيارته معها ويلقيان مصرعهما محترقين داخل السيارة.

وفي فيلم "وراء الشمس" لمحمد راضي في العام نفسه، يقوم بدور الجعفري مدير السجن الحربي، الذي يتخذ قرارا سريا طبقا لأوامر عليا باغتيال أحد قادة حرب 1967، لتصميمه على ضرورة عقد محاكمة شعبية لمعرفة أسباب النكسة، بينما تعمل ابنته سهير في مكتب رئيس الاستخبارات هاشم بك الذي يفلح في تجنيدها للتجسس على طلبة الجامعة. والجعفري هنا رجل لا يعرف الرحمة، فهو يتفنن في تعذيب المساجين، ويقوم بقتلهم، خاصة محمود والد سهير، مما يدفع هذه الأخيرة لمحاولة الانتقام منه.. وقد صور الفيلم العديد من أساليب التعذيب التي تعيد للأذهان صورة بيجار في فيلم "جميلة"، فهو رجل جامد الوجه لا يعرف اللين أجش الصوت تبدو ملامحه دائما في الظلام، ولا منفذ إلى التعاطف معه، ولا حل معه سوى الموت قتلا.

تؤكد هذه الأدوار أن أباظة الذي جسد شخصيات متنوعة، قد أتقن دور الشرير بحذاقته وموهبته، فأكسبها صدقا ومهابة ملحوظتين.

نادية الجندي

ستظل نادية الجندي حالة خاصة في السينما المصرية كممثلة، فقد جسدت من الأدوار التي تمثل مسيرتها السينمائية، فهي قد بدأت حياتها بالظهور في أدوار صغيرة للغاية، مجرد صورة عابرة، أو مشهد قصير، إلى أن تمكنت بعد خمسة عشر عاما من بدايتها أن تنتج لنفسها فيلمها الذي جعلها تتبوأ عرش الأفلام، أيا كانت قيمتها، وأن تضع على أفيشات أفلامها عبرة "نجمة الجماهير"..

وفي الكثير من أفلام الممثلة، سوف نرى امرأة تمر بهذه المرحلة من الصعود الاجتماعي البطئ، حتى تتمكن بفضل جسدها وجمالها وقوة شخصيتها أن تكون في قمة الهرم الاجتماعي، والغريب أن هذه الشخصيات كانت في الغالب شريرة لامرأة تنتمي إلى قاع المجتمع، ثم تصعد إلى ذروته.

ومثل هذه الشخصيات موجودة بشكل محدد في أفلام "الباطنية" و"شهد الملكة" و"الخادمة" و"ملف سامية شعراوي" و"صاحب الإدارة بواب العمارة" و"الشطار" و"الإمبراطورة".

لكن علاقة الممثلة بأدوار الشر بدأت منذ منتصف الستينات، أي وهي تقوم بالأدوار الصغيرة في فيلم "صغيرة على الحب" لنيازي مصطفى

عام 1966، فهي خطيبة المخرج التلفزيوني، الذي يبحث عن طفلة تقوم ببطولة مسلسل جديد، وتشعر بالغيرة من الطفلة، وهي في حقيقة الأمر فتاة بالغة تتخفى في زي طفلة، تذهب للإقامة عند المخرج، مما يشعل الغيرة في قلب الخطيبة، وهذا أمر طبيعي للغاية، لكنها مشاعر مرتبطة بغرور، وعنجهية.

أما فيلم "ميرامار" لكمال الشيخ عام 1969، فقامت فيه بدور امرأة شبقة ترتبط بالشاب الثري حسني صاحب كلمة "فريكيكو" إنها امرأة تعيش لحظاتها وتنتقل بين الرجال، وتظهر بسرعة، مثلما تختفي..

وإذا كانت نادية الجندي قد سافرت إلى بيروت لتقوم بالبطولة في أفلام لبنانية، مثل "الضياع" و"أمواج" و"عالم الشهرة" فإن هذه الأدوار كان أغلبها يدور في محيط الإغراء، وقد عادت الممثلة إلى مصر لتنتج فيلمها "بمبة كشر"، أما أول دور شرير لها ضمن أدوار البطولة، فهو في فيلم "شوق" لأشرف فهمي عام 1976. وهو الدور نفسه الذي سبق أن جسدته هدى سلطان في فيلم"امرأة في الطريق" عام 1958.

شوق، غنية، وراقصة موالد، ماضيها سوف يظل شبحا يطاردها كالقدر المحتوم الذي لا مهرب منه كوصمة عار أبدية تعلن التوبة، وتودع عالم الليل والرجال الباحثين عن المتعة العابرة، وقررت أن تعيش بقية عمرها زوجة للشاب الذي عشقها عشقا جنونيا، شاهدها وسط المولد وهي ترقص، ولم يعترض الأب الثري، المعلم آدم، على زواج ابنه من الغانية، فهو لا يستطيع أن يرفض مطلبا لابنه مختار الذي يحبه حبا يفوق

الوصف، على عكس أخيه الأكبر المهندس أحمد فقد نبذه وتخلى عنه وأصبح يكرهه مثلما كان يكره أمه..

لكن نبأ زواج شوق من مختار لم يكن نبأ سعيدا بالنسبة للجميع، فنساء البلد بدأن يشعرن بالخطر الداهم المتمثل في هذه الراقصة التي تشعل لهيب الرغبة في أعماق الأزواج كلما مرت في الطرقات بجسدها الناري، وبعد أن تتزوج من مختار فإنها تتفاجأ بعودة شقيقه أحمد من الخارج، فتنجذب إليه، وتبدأ في إغوائه، محاولة أن توقعه في حبائلها بكافة الاساليب، فهي تتعامل مع زوجها بتوحش ملحوظ، أما مع الرجل الذي تحبه فهي تندفع إليه اندفاعا، تحت بصر الأب الضعيف، ما يولد مشاعر الغيرة والحقد لدى الزوج، فيحاول أن يقتل أخيه، ووسط هذا الصراع تحاول شوق أن تحقن الدماء، وتعلن أنها لا تحب أحمد، وأنها تحب حنفي الطبال، وتغادر المدينة معه..

لعل شوق هنا أقل شرا من لواحظ في "امرأة على الطريق" حيث انتهت الحوادث بقتل قابيل لأخيه هابيل وضياع الأسرة،كما أنها تموت مخنوقة على يدي صابر، وشوق أصغر سنا وأكثر توهجا وإثارة وإغراء، لدرجة أن الناقد مجدي فهمي كتب عام **1976** أن أداء نادية الجندي الذي تطور كثيرا، يبدوا أنها تريد أن تحمل لقب ملكة الإغراء الجديدة، وبصراحة فهي قد نجحت في ذلك..

من المعروف أن نادية الجندي، قد ربطت مسيرتها الفنية بأسماء معينة عملت معهم لأكثر من ربع قرن منهم من المخرجين أشرف فهمي،

وحسام الدين مصطفى، ونادر جلال، ومن كتاب السيناريو بشير الديك، ومصطفى محرم، وأنها كانت تهوى التمثيل أمام ممثلين جدد تمنحهم فرص البطولة لأول مرة ومنهم ممدوح عبد العليم، وياسر جلال، كما وقفت كثيرا أمام فاروق الفيشاوى، لذا فإن الكثير من هذه الأفلام يبدو متشابها، خاصة الأفلام ذات الصبغة السياسية التاريخية، التي تلقي الضوء على مراحل من تاريخ مصر الحديث، ومنها "ملف سامية شعراوي" عام **1988**، و"الإرهاب" عام **1989**، و"شبكة الموت" عام **1990**، و"مهمة في تل ابيب" عام **1992**، و"الشطار" عام **1993**، و"الجاسوسة حكمت فهمي" عام **1994**، و"امرأة هزت عرش مصر" عام **1995**، و"**24** ساعة في إسرائيل" عام **1998**. وهذه الأفلام في حاجة إلى إعادة قراءة..

وفي أغلب أفلامها، كما سبقت الإشارة، فإنها امرأة من قاع المجتمع، تصعد إلى القمة عن طريق غير شرعي، وإذا كانت قد بدأت مسيرتها في أداء أدوار الشر مع أشرف فهمي في "شوق"، فإن هذا الأخير أخرج لها فيلم "الخادمة" عام **1984**، وفيه تجسد أكثر أدوارها شرا على الإطلاق، فهي امرأة تصنع المؤامرات، من أجل الاستيلاء عاطفيا على الشاب الوحيد في البيت الذي تعمل فيه، ثم تتزوجه، وتسبب انهيار الأسرة بأكملها، بدءا من الأم التي تُصدم في هذه العلاقة، فتصاب بالشلل.

وفردوس امرأة شريرة بطبعها، متزوجة من رجل عجوز، تخونه مع آخر أصغر منه هو "أبو سريع" وعندما يدخل زوجها المترل، ويراها في فراش الخيانة، فإنها لا تتورع عن قتله خنقا عن طريق الوسادة دون أن تتجه الشبهات إليها، فهو رجل هرم لا حول له ولا قوة، وفيما بعد، فإن "فاضل" يرشحها للعمل عند الأرملة حكمت صاحبة الشركة التي كان زوجها إبراهيم يعمل بها، وتظل فردوس وفية لعشيقها الذي يدفعها إلى العمل كخادمة، وفي البيت تدرك أن الابن الأوحد علاء ضعيف الشخصية، فترمي بشباكها عليه إلى أن تدخل الأم وتراهما معا، فتطردها، لكن علاء يعيدها مرة أخرى إلى البيت، ويتزوجها.

هي امرأة متلونة كالحرباء، تستخدم أشواكها للنبش، وتبكي دموع التماسيح حين يتم اكتشافها، وهي تنتقل من طبقة اجتماعية إلى أخرى، حين يصبح في إمكانها السيطرة على الشركة وإدارتها، بينما الأم حكمت قد أصابها الشلل، وهي تتخلص من "أبو سريع" بالإبلاغ عنه عندما سرق مجوهرات حكمت هانم، كي تكون هي المسيطرة الأولى على كل شيء.. ثم أنها تنجح في ضم فتحي مدير الشركة إلى صفها، هدفا لإحكام السيطرة..

وما تفعله المرأة من شرور يفوق الوصف، فهي جميلة ومثيرة وخائنة، ومن هم أمامها ضعفاء، وفي حاجة ماسة إليها خاصة زوجها الذي يكتشف خيانتها، فيطلقها ويطردها من المترل، ويندم على ما فعله مع أمه.. وهذا النوع من الشرور هو الثمن المؤكد أن تموت صاحبته

مقتولة على يد شريك لها، فعندما يخرج أبو سريع من السجن، فإنه يقتلها.

الغريب أن في فيلم "الإمبراطورة" عام **1999** لعلي عبد الخالق، هناك مشهد متكرر تماما من مثيل له في "الخادمة"، حين تدخل الأم إلى فراش ابنها، فتفاجأ أن الخادمة زنوبة تعاشر ابنها الشاب معاشرة الزوجات فتطردها، أي أن كاتب السيناريو مصطفى محرم هو الذي اقتبس المشهد من فيلم سابق له، رغم أن المخرج هنا مختلف، وزنوبة هذه من بيئة اجتماعية وضيعة، فهي تعيش مع أسرة تتاجر في المخدرات، ويقوم أفرادها بتوزيع المخدرات وسط ساحة الحي، ومنهم شقيقها الصغير زينهم، والأكبر سالم. والأسرة، رغم ذلك، تسكن بدروم في بيت قديم بحارة شعبية، ترتقي لتتسيد الإتجار بالمخدرات في المنطقة بأكملها.

وزنوبة هنا أقل شرا من فردوس، فهي بعد طردها شبه عارية من منزل عشيقها المتخاذل، تقرر الانتقام من الضابط، وأن تجد طريقها إلى الثروة الخارجة عن القانون، فهي تتزوج من تاجر مخدرات يكبرها سنا، وهي تخفي المخدرات التي تتاجر فيها داخل شقتها، كما أنها صاحبة تأثير عليه، فهي تهجره كي تعود إلى الحارة، لكن الزوج يحاول استعادتها مرة أخرى.

وزنوبة تصعد السلم الاجتماعي، مثلما فعلت فردوس، فهي امرأة تمارس العنف ضد الرجال، وتتوسع في الإتجار بالمخدرات، إلى أن

يظهر حبيبها القديم، وقد صار ضابطا في إدارة مكافحة المخدرات، فتسعى للانتقام منه.

ومثلما سيطرت فردوس على الشركة وحدها، فعلت زنوبة، حيث أن أخاها الأكبر يسقط في دائرة الإدمان، أما الأصغر فيتم القبض عليه ويدخل السجن، وسعيا إلى السيطرة الأكثر، فإنها ترمي بشباكها على شاب أصغر منها، يساعدها في أن تتطور في مهامها، إلى أن تصبح إمبراطورة في عالم المخدرات، تمكنت من نشر نوع جديد من الهيروين في السوق.. وهي هنا صاحبة نفوذ وقوى، يحوطها رجال أشداء، يضعون العوينات السوداء على أعينهم، يطلقون الرصاص على من تشاء في أي وقت، ويمارسون الاغتيالات، وهي من جانبها تسعى إلى الانتقام من الضابط، الحبيب السابق، وبالفعل فإن الضابط يموت مقتولا بالسم، أثناء مواجهة معا، ومحاولة للتقارب أو الخداع..

وضعنا فيلم "الإمبراطورة"، بجملة اعتراضية، والسبب هو التشابه الملحوظ مع فيلم "الخادمة" لأشرف فهمي الذي كان لقاؤه الأخير مع نادية الجندي عام 1997 في فيلم "امرأة فوق القمة" الذي كتبه مصطفى محرم أيضا، والبطلة هنا هي نعمة كاتبة الآلة الكاتبة المتواضعة، التي تعيش حياة بالغة البساطة مع زوجها المحامي بسيوني. وهي ترتقي اجتماعيا من خلال علاقتها بأدهم، المصري الشاب الذي تزوج من امرأة خليجية، ويقيم في بلدها، يرغب أدهم في نعمة، ويقرر انتزاعها من زوجها، والزواج منها أثناء نزوة طاغية..

والجانب الشرير هنا أقل من فردوس، وزنوبة، فالمرأة التي تتزوج من أدهم، لا تلبث أن تنفصل عنه وتنجب منه طفلا، تنسبه إلى زوجها القديم، وبعد عشرين عاما تكون قد حققت مكانة اجتماعية وثروة، لدرجة أنها تتنافس مع أدهم في مجال العقارات، ويحاول أدهم إثبات بنوة ابنه من نعمة، ويدخل في خصومة شديدة معها، لكنه يموت في ظروف غامضة أمام المحكمة، مما يوحي أن نعمة صارت صاحبة سطوة، وأنها في مقابل الاحتفاظ بابنها، فهي تأمر رجالها بأن يقتلوا أباه الحقيقي.

هي المرأة نفسها، محاطة بالرجال الأشداء، وتتمكن من خلال سطوة الجنس أن تسيطر على الرجال، ومن خلال شهوة المال أن تحقق كل الأمن والطموحات لها.

المخرج الثاني الذي عمل بشكل مكثف مع نادية الجندي هو حسام الدين مصطفى، وقد كان أغلب الشخصيات التي جسدتها، هي لامرأة تصعد إلى قمة المجتمع قادمة من الأحياء الشعبية، وبداخلها الشر ودوافع الإجرام، حتى وإن كانت ضحية، وهذه الأفلام ترى أن البيئة هي صانعة الجرائم..

هذه الأفلام التي أخرجها حسام الدين مصطفى هي "الباطنية" عام **1980** و"وكالة البلح" عام **1982** و"شهد الملكة" عام **1985**، وفيها كانت نادية الجندي هي الشريرة فعلا، ثم هناك أفلام اصطبغت فيها المرأة بالطيبة والوطنية والشر معا، مثل "الجاسوسة حكمت فهمي" عام **1994**.

لعل النجاح المدوي الذي حققته نادية الجندي في حياها، قد انطلقت شرارها بفيلم "الباطنية" فهي وردة ابنة الحي الشعبي، وقد صاغ مصطفى محرم الشخصية كي يضع كافة السمات التي عرفت عن الممثلة في المرحلة التالية، امرأة جميلة، فقيرة، مرتبطة برجل غني، ذي مكانة، لكنه لن يتزوج قط منها، لذا فعليها أن تنتقم منه بأن تقتل ابنه، دون أن تعرف أن هذا الابن هو أيضا ولدها الذي تصورت أنه قد مات رضيعا..

هي فاتنة، مطلوبة من الرجال، تقوم بالغناء والرقص في الحانة، وتردد عبارات شعبية على طريقة "سلم لي ع البدنجان" والعشرات من مثل هذه الجمل، وهي ترتقي اقتصاديا حين تعشق برعي من رجال الحي، الذين يتاجرون في السيارات، وتقف ضد عائلة العقار بشراسة، وهي تشارك برعي في خطته للانتقام من عائلة العقار..

والقصة معروفة بتفاصيلها، لكن هذا النجاح، دفع بنفس الطريق أن يعمل معا مجددا، فعاد حسام الدين مصطفى، ومعه نادية الجندي، ومحمود يس، وسيناريو مصطفى محرم في "وكالة البلح"، وفيه تؤدي دور معلمة في وكالة البلح، تدعى نعمة الله، سبق لها أن تزوجت أكثر من رجل، هي، رغم مظهرها البلدي، امرأة ثرية قوية شهوانية، لا تتورع عن قتل من ينافسها. تتخلص من أزواجها الواحد تلو الآخر، وكان آخرهم عبدون، بعد أن صار أشلاء رجل، كي تدخل إلى حياها رجلا جديدا، هو عبد الله الوافد إلى المكان جديدا، هو ذكر ورجل من الصعب السيطرة عليه، وبدلا من أن تلفظه بعد أن تكون قد امتصت رحيقه، فإنه هو الذي

يهجرها إلى امرأة أخرى من طبقة راقية، إنها ميرفت ابنة رجل الأعمال أمجد. فيتزوجها، ويؤسس وكالة خاصة به بمساعدة حميه..

تحاول نعمة الله استعادة عبد الله بأي طريقة، لكنه يرفض، فتنتقم منه بأن تدبر لقتل الجد حتى لا يجد من يساعده، ثم تحرض أعوانه لسرقة بضاعة عبد الله، إذن فنحن أمام امرأة تمتلك كافة الوسائل، وتمارسها من أجل تحقيق أهدافها، القتل، والجنس، والمال، والرجال الأشداء، وهي تلقى جزاء ما ارتكبته من شرور، فإذا كانت وردة قد دفعت ثمن شرورها بموت ابنها الشاب أمام عينيها مقتولا برصاص رجال أرسلتهم إليه، فإن نعمة الله يتم القبض عليها، بعد أن اعترفت بجرائمها لعبد الله الذي أوهمها بعودته إليها، ثم هي تموت قتيلة على يدي عبدون، الذي رفع بلطته ليهوي بها على عبد الله فإذا بالمرأة تفتديه، وتموت صريعة.

وفي فيلم "شهد الملكة" ماتت أيضا زهيرة بيدي زوجها السابق محمد، حين عاد من منفاه، وخنقها على ما ارتكبته إزاءه، وربما إزاء كل الرجال، وحسب عنوان الفيلم، فإن شهد الملكة يعني مملكة النحل التي يتقافز الذكور خلفها محاولة إخصابها، والذكر القوي هو الذي يبقى في النهاية، لكن حسب الفيلم، فإن الملكة أيضا تموت..

وزهيرة بدأت من القاع، في حي شعبي، في بداية القرن العشرين. متزوجة من عبده الفران، رجل مقزز الشكل، تعلوه الأغبرة السوداء، وهو أشعث الشعر، لقد تخلصت الفتاة، زوجة الثري عزيز الناجي منها، لأن المرأة طمعت في هذا الثري، وزهيرة زوجة متمردة، تطلب الطلاق

من زوجها، ثم تعمل خادمة في مترل محمد الفسخاني، وتتزوجه بعد طلاقها من الفران، إنها الخادمة نفسها التي يتم ضبطها في مخدع سيدها، ثم تتزوج منه، وتتحسن أحوالها، هي امرأة وصولية شهوانية تستخدم جسدها كسلاح لاكتساب الرجل وممتلكاته..

وعن طرق زواجها من محمد الفسخاني، تنتقل إلى طبقة اجتماعية أرقى، وتعتلي ظهر الرجل، وتحاول السيطرة عليه، وفي مواجهة بينهما يخنقها، ويلوذ بالفرار متصورا أنها ماتت قتيلة، ولأنها امرأة ذات مكانة، فإن فتوة الحي ومأمور المنطقة يتنافسان على الزواج منها، بعد أن تم طلاقها غيابيا، تزف إلى نوح الفتوة، بعد أن فرضت عليه أن يطلق زوجاته الأربع، ويموت الفتوة في ظروف مجهولة، وترمي بشباكها على عزيز الناجي، ولا توافق على الاقتران به إلا بعد أن يطلق زوجته ألفت، لقد قامت بخراب بيوت كثيرة، وشتتت مصير رجال عديدين، منهم المأمور الذي تحول إلى التحقيق بتهمة قتل الفتوة، وكما أشرنا، فإن زوجها الأسبق محمد الفسخاني يتسلل إلى الدار، ويقتلها لتدفع ثمن ما ارتكبته من شرور.

حسام الدين مصطفى هو الذي أخرج لها فيلمه الأخير عام 1994 في عامين متتاليين جسدت فيه شخصية الراقصة والممثلة حكمت فهمي في فيلم يحمل اسمها.

صور الفيلم "حكمت فهمي" على أنها المرأة ذات الحس الوطني، تصادق الثوار، وتحاول الإيقاع بالجاسوس الألماني جون آيلر، وتساعد

الثوري أنور السادات في الهجوم على معسكرات الإنجليز، ولسنا هنا بصدد الحديث عن الحقائق التاريخية في هذه الأفلام، لكن حكت فهمي لم تكن شريرة..

إذا كان حسام الدين مصطفى قد منحها دور المرأة الشريرة، فإن نادر جلال أخرج لها مجموعة من الأفلام، كانت في أغلبها المرأة القوية الشكيمة، أكثر منها مجرمة، لا تعرف الهزيمة بسهولة، وإذا كان التعاون الأول بين الاثنين قد تم في "خمسة باب" عام **1983**، فإن أفلامهما التالية، كانت هي:"جبروت امرأة" عام **1985**، و"ملف سامية شعراوي" عام **1988**، ثم "الإرهاب" عام **1989**، و"شبكة الموت" عام **1990**، و"عصر القوة" عام **1991**، و"مهمة في تل أبيب" عام **1992**، و"الشطار" عام **1993**، و"امرأة هزت عرش مصر" عام **1995**، و"اغتيال" عام **1996**، و"أمن دولة" عام **1999**.

وكما سبقت الإشارة، فإن الكثير من هذه الأعمال كان يحمل صبغة سياسية تاريخية معاصرة، وفي أغلبها كانت امرأة تلعب دورا وطنيا، خاصة ضد العدو الإسرائيلى، لكنها لعبت أيضا دور المرأة الوصولية الحسية الشريرة في العديد من الأفلام، مثل "جبروت امرأة"، فهي نرجس الفقيرة التي تعيش أيضا في بدروم، مع زوجها الطالب سيد، الذي لم يتمكن من استكمال دراسته لوفاة أبيه، تدفع نرجس زوجها لتحقيق طموحها، فيعمل لدى المعلم منجلاوي الذي يعرف بالصلاح والتقوى، وهو في الواقع من كبار تجار المخدرات..

تستغل نرجس أنوثتها وجمالها وذكاءها في محاولة الإيقاع بتاجر المخدرات أشرف بك، ثم تتفق مع سنارة، أحد رجاله أن يقتله حتى تهبه نفسها، ينتقم منجلاوي، أو أشرف بك، منها، ويقوم بقتل زوجها بعد أن أطلعه سنارة على الاتفاق الذي تم بينهما.

وقد لعبت نادية الجندي في الأفلام الثلاثة التالية مع نادر جلال دور المرأة الطيبة المناضلة، التي لها ارتباط مباشر برجال السياسة، مثل زواج امرأة من ضابط كان مقربا من المشير عبد الحكيم عامر في "ملف سامية شعراوي"، ثم قيامها بدور صحفية تسعى للإيقاع بإرهابي دولي حاول خداعها، ثم هي زوجة سابقة لزعيم العصابة بسيوني، تجندها المباحث للإيقاع بزوجها في "شبكة الموت"..

وفي "عصر القوة" جسدت دور امرأة من إحدى العائلات الأشبه بالمافيا، عائلة ذات نفوذ اقتصادي واجتماعي يرأسها عميدها الفيومي، هي في البداية لا توافق على عمليات عائلتها المشبوهة، خصوصا أنها محامية تؤمن بالعدالة وتتمسك بالقانون وتلتزم الشرف، لكن النكبات التي تتعرض لها الأسرة تدفعها لتحل مكان أبيها، وأن تكون سيدة العائلة، فالأخ الأكبر يموت في سيارته على أيدي خصوم العائلة، ثم يموت الأب العميد الذي يتاجر في السلاح، وينافس مجرمي الحروب على العديد من الصفقات.

المرأة هنا، بعد مصرع أخيها، تقدم استقالتها كمحامية، وتنقلب من حال إلى حال، تضرب بكل المثل عرض الحائط، وتتحول إلى كتلة من

الكراهية، فمصرع أخيها قد أصاب الأب بالشلل، وها هي المرأة وحيدة، فوق قمة الأسرة، وهي تستخدم الأسلحة العديدة التي سبق لنساء جسدت نادية الجندي شخصياتهن أي استخدمتها، مثل الجمال، والإغواء وتبدأ في ابتزاز خصومها بشرائط جنسية، وتأمر أتباعها باقتحام شقق الغرماء، وتشاهد التصفيات الجسدية التي تتم لهؤلاء الخصوم، الواحد تلو الآخر.

إنها امرأة عصابات من الطراز الأول، الصفقات التي تقوم بها دولية، والرجال الذين في حياتها أشداء مثلها، لدرجة أنهم يخطفون ابنيها دفعا لتهديدها، وهي تجد نفسها تشارك في حملة كلها من الرجال، بحثا عن الطفلين اللذين تم إخفاؤهما في مكان مجهول.

والمرأة هنا لا تتأخر في إطلاق الرصاص على خصمها اللدود، دفعا لرجاله الآخرين أن يعترفوا بمكان الطفلين، وفي المشهد الختامي للفيلم، تجلس المرأة فوق المقعد نفسه الذي كان يجلس عليه الفيومي لتعلن أنها رجل العصابة المنتصر، البالغ القوة..

في "عصر القوة" لم تنل المرأة الشريرة جزاءها القانوني، بل أنها تنتصر على كافة خصومها، بعد أن سالت بحار الدماء، وتهاوت رؤوس رجال، ومجرمين، وبدت الشرطة، رمز العدالة في السينما، كأنها لا تدري شيئا عن هؤلاء الموتى.

في فيلم "امرأة هزت عرش مصر" قامت نادية الجندي بدور ناهد رشاد، امرأة فاتنة، أكسبها الفيلم سلوكا وطنيا، على أنها أنقذت رجال ثورة يوليو من يطش الملك فاروق، وهي صاحبة الفضل في إنقاذ الثورة، إنها زوجة لطبيب الملك فاروق قامت بإنقاذه من محاولة اغتيال، لذا فإن الملك يكافئها، مع زوجها، بأن يلحقهما للعمل بالقصر، وتصبح وصيفة للملكة، هي امرأة طموحة تحلم بالزواج من الملك فاروق الذي تحبه وتقف إلى جواره، وهي تستغل ضعف الملك، وسرعة وقوعه تحت إغراء النساء كي تدير الأمور، إنها ليست امرأة شريرة، بالمنطق الوطني، بل هي سيدة قوية الشكيمة، تساعد زوجها الطبيب في تكوين تنظيم سري ضد الاحتلال البريطاني معروف باسم الحرس الحديدي، وتشرف ناهد عليه بنفسها، وتضم إليها الضابط المستهتر مصطفى كمال، ومعه الضابط الشاب أنور السادات، ومجموعة من الضباط الأوفياء للملك، يقومون بمحاولات عديدة للتخلص من خصوم الملك.

ورغم أن ناهد تخون زوجها يوسف مع الملك، فإنها تنجح في الطلاق منه، على أمل أن تتزوج من صاحب الجلالة، لكنها تفاجأ، بعد قصة حب طويلة، أن الملك يطردها من القصر، ويعلن زواجه من فتاة أخرى، فتقيم علاقة غرامية بمصطفى كمال، وتنادي بالوقوف ضد الملك، وتشارك في تكوين خلية سرية مع الضباط الأحرار.

حسب القوائم الفيلمية لنادية الجندي، فإن هناك أعمال أخرى قامت فيها بدور الشريرة، أو النمط نفسه الذي ألفناها عليه. مثل

"صاحب الإدارة بواب العمارة" لنادية سالم عام 1985، و"بيت الكوامل" لعاطف سالم عام 1986. وأنها اضطرت إلى القتل مرغمة بعد أن ذاقت الويلين في "الضائعة" لعاطف سالم عام 1986 أيضا..

نبيلة عبيد

امرأة تحترف الخيانة

قليلة هي أدوار الشر التي يلعبها بعض نجوم السينما الكبار، خاصة من النساء.. فلا أحد يذكر أن ليلى مراد، وأم كلثوم، أو صباح، أو راقية إبراهيم، قد أسندت إليهن أدوار شر بالمرة، بينما النجمات الأخريات غزيرات الإنتاج قد ظهرن من وقت لآخر في دور المرأة الشريرة، والغريب أنه رغم قلة هذه الأدوار، فإنها تعد علامات بارزة في تاريخ هذه النجمة، خاصة نبيلة عبيد.

ورغم قلة الأدوار الشريرة التي جسدتها نبيلة عبيد في مشوارها السينمائى، فإن الفيلم الذي شكل نقطة تحول حقيقية هو "ولا يزال التحقيق مستمرا" لأشرف فهمي عام 1979، ويعني ذلك، أنه كان على الفنانة أن تنتظر ستة عشر عاما بأكملها ليتم اعادة اكتشافها، بعد النجاح الملحوظ الذي حققته في دور "رابعة العدوية" عام 1963.

يعني هذا أن الفنان قد يلمع بشدة في أداء دور الناسك فيصبح في أحسن أحواله، ثم هو يعاد لمعانه في دور الفاسق، أو الشرير، فيكون

أيضا في أفضل صوره، وذلك لأن النقيض هنا يمثل تفجرا خاصا، باعتبار أن الخير والشر طرفان متناقضان تماما..

كانت بدايات نبيلة عبيد عام 1962 من خلال دور صغير لم تنطق فيه بكلمة واحدة، في فيلم "مافيش تفاهم" لعاطف سالم، لكن نيازي مصطفى هو الذي قدمها في أول بطولة في دور "رابعة العدوية"، الزاهدة التي تركت كل متاع الدنيا، لتتعبد في عالم من الصوفية الساحرة، وقد قامت ممثلة أخرى بتجسيد نفس الشخصية قبل ذلك بعام، هي عايدة هلال في فيلم "شهيدة الحب الإلهي" لعباس كامل، لكن الأضواء كلها ذهبت إلى الممثلة الجديدة نبيلة، التي تم الرهان عليها، حيث أسند لها عاطف سالم دور البطولة حين كانت زوجته – في فيلم "المماليك" أمام عمر الشريف، وكانت أفلامها الأولى كلها ملونة، في زمن الأبيض والأسود، بما يعني مدى الاعتناء بها، والمراهنة عليها، مثل "كنوز"، و"زوجة من باريس"، وهما فيلمان تدور أحداثهما في الواحات..

وقد صارت نبيلة عبيد، مجرد ممثلة عادية، فيما بعد، تقوم في أغلبها بدور بنت البلد الطيبة، مثل دور البائعة في "لعبة كل يوم" عام 1971، كما سافرت نبيلة عبيد للعمل بين سوريا ولبنان في النصف الأول من السبعينات، وعادت لتستكمل التمثيل في أفلام عادية للغاية، منها "رحلة العجائب" الذي دارت أحداثه في الولايات المتحدة عام 1974..

في هذا العام، أدت نبيلة عبيد أول أدوار الشر في حياها، تقريبا، في فيلم "كان الحب" إخراج حلمي رفلة، وقد تشابهت قصة هذا الفيلم، مع ثلاثة أفلام تم إنتاجهم عامي **1958**، **1959** في السينما المصرية، هم "ارحم حبي" لبركات، و"بافكر في اللى ناسينى" لحسام الدين مصطفى، وهو بدوره مأخوذ عن نص أدبي لعبد الحميد جودة السحار، و"فضيحة في الزمالك" لعاطف سالم..

تقوم فكرة الأفلام الثلاثة على وجود شقيقتين الأولى فتاة فاضلة، ورومانسية جميلة بريئة، أما الثانية فهو تتمتع بممارسة الخيانة، واختطاف الرجل الذي أحبته أختها وعندما يكاد أمر خيانتها ينكشف فإن الاتهامات توجه إلى الأخت الفاضلة التي تدفع الثمن..

ليلى هي الأخت الشقية الطموحة إلى درجة الدمار، تبحث عن زوج ثري، لذا فهي سريعا ما تتعرف على مدحت، الذي يدعي الغنى، تندفع في مشاعرها نحوه، دون أن تدرك حالته الحقيقية، فالظاهر هي اللافتة التي تجذبها، لا تبحث عن الجوهر، وعندما تكتشف أن مدحت ما هو إلا ميكانيكي سيارات حتى تنتقل عقارب بوصلتها ناحية مراد الطبيب الذي يسكن في الدور العلوي من فيلتهم، والذي يكن الإعجاب لأختها سحر، المضيفة الرزينة، المحبة للهدوء..

اتجهت ليلى نحو مراد، بعد أن عرفت بثرائه، ورغم أنه يحب أختها، وبالفعل فإنها تتزوج منه، إلا أن ليلى بعد الزواج وإنجابها ابنتها سحر الصغيرة، لا تشعر أن تلك هي حياتها التي كانت تتمنى أن تعيشها،

بل تتمرد عليه، فهي تريد الحياة غير المستقرة، وهي تخون زوجها مع صديقه الدكتور مجدي، وعندما يتم اكتشاف الأمر، فإن سحر تنسب لنفسها هذه العلاقة لإنقاذ أختها وحياتها الأسرية، لكن ليلى لا تلبث أن تموت في حادث، ويعرف الزوج حقيقة الأمر..

في عام **1977**، عرض فيلم "وسقطت في بحر العسل" لصلاح أبو سيف، وهو أول إنتاج لنبيلة عبيد التي منحت لنفسها البطولة المطلقة، بينما جاء دور نادية لطفي ثانويا، أو ضيفة شرف قياسا إلى دورها، والفيلم كما هو معروف مأخوذ عن القصة الأولى في مجموعة "البنات والصيف" التي سبق أن نجحت فيه..

بدت الممثلة المنتجة، كأنها تحاول أن تعيد اكتشاف نفسها، بأن تمنح أدوار البطولة المطلقة، وفي نفس الفترة كانت تقوم بأدوار ثانية في أفلام مثل "إلى المأذون يا حبيبي"، ثم "العمر لحظة"، وفي عام **1978** رأيناها مجددا في دور الشريرة في فيلم "المرأة الأخرى" لأشرف فهمي.

الشريرة في هذه السينما هي امرأة خائنة في المقام الأول، تتمرغ فوق فراش رجل آخر رغم أنها متزوجة، وسوف نراها هنا تبيع تجارة زوجها لعشيقها، وينتج عن ذلك أن تسوء علاقات عديدة كانت سوية، خاصة علاقة الصداقة بين زوجها وجارته هدى، حيث بدأت الشكوك لدى الزوج أن جارته وشت بأسرار ملفات العمل إلى عادل عشيق سعاد.

سعاد، هي ابنة رجل الأعمال مختار، التي ترمي بشباكها حول الدكتور محمود، العائد من الولايات المتحدة، والذي تمكن من تجاوز الفقر، وافتتح مكتبا خاصا، تعمل به ابنة خالته هدى، التي تحبه في صمت.

محمود هذا أشبه بحامل الشعلة في الميثولوجيا اليونانية، لا ينظر حوله بل أمامه، ولا يرى سوى سعاد التي ستحقق له خطوات في عالم المال، إنه رجل على غرارها، طموح يطمع في الثروة، إلا أنه مع مرور الوقت يعاني من التفتح الزائد لزوجته، وفي أثناء سفره لعقد الصفقات بالخارج، تكتشف هدى وجود علاقة جنسية بين سعاد وعادل، صديق محمود وخصمه، تحاول هدى إبعاد الزوجة عن هذا المسلك، مما يجعل سعاد في أن تعجل بإبعاد هدى عن طريقها، حين توحي للزوج أن هدى سربت أسرار الصفقات إلى عملاء منافسين..

وعندما يواجه محمود ابنة خالته بالتهم المنسوبة إليها، تخبره بما تعرفه عن امرأته، مما يقلب الأمور تماما، وحين تثور النخوة لدى الزوج، فإن مختار بك والد سعاد، يقف بالمرصاد لمحمود ويهدده في مستقبله، ويخيره بين التجاوز عن الخيانة، أو الفصل من الشركة..

سعاد، المرأة الخائنة هنا، تستخدم كل أسلحتها لإشباع نزواتها، فهي تمتلك فراش الرجل وتحاول التمسك به، لذا، فإنها تبذل كل حيلها لطرد هدى من المكتب، كما أنه عندما يتم اكتشاف خيانتها. فإنها تبدي جرأة، وتعترف أمام أبيها أنها خائنة، مما يعني التبجح الشديد للشخصية.

في نفس الأسبوع، عرض فيلم آخر بعنوان مشابه، هو "الاعتراف الأخير" إخراج أنور الشناوي، وهو بمثابة إعادة إخراج لفيلم "مع الذكريات" لسعد عرفة **1961**، وفي الفيلم تموت الزوجة درية بعد حياة حافلة بالسعادة مع زوجها أدهم، الذي يظل في حالة حزن دائم، وفيما بعد يتضح أن هذه الزوجة الراحلة كانت خائنة، وسيئة السلوك، وأن يوم الحادث بالذات كانت تخونه مع شخص آخر، يعرف أدهم ذلك من خلال زميلته القديمة بالجامعة سميرة، والتي تخرج من جبعتها أوراق الإدانة لدرية.

ودرية هنا امرأة شريرة خائنة وإن كانت تبدو أمام زوجها وفية، بالغة الإخلاص، مما يعنى أن نبيلة عبيد قامت بدورين متشابهين في العام نفسه، وكان عليها أن تفعل شيئا مهما في العام التالي، حيث أنتجت فيلمها "ولا يزال التحقيق مستمرا" لأشرف فهمي، عن أقصوصة لإحسان عبد القدوس. وكان الدور، والفيلم بمثابة نقطة تحول في مسيراتها الفنية.

وصارت شخصية زينب في هذا الفيلم، نموذجا للمرأة الشريرة في السينما المصرية، فهي امرأة مليئة بالطموح، تتزوج من مدرس بسيط، لا تكف عن طلب النقود، هي كالإسفنج تريد كل مسامها أن تمتلئ بالمال، يحاول الزوج إرضاءها، فيسافران معا إلى بلد عربى، الربح فيه أوفر، وإن كانت الحياة أصعب..

ولا تحتمل زينب الحياة في الغربة، وسرعان ما يعودان إلى مصر، هي امرأة انتقادية تعاير زوجها بفشله، وتضع زوج أختها الثري نموذجا أمامها وهي تعاير زوجها، تطلب منه أن يكسب عن طريق الدروس الخصوصية، إلا أنه يرفض..

وسرعان ما يأتي الرجل الذي تعتبره نموذجا، إنه مدحت، الصديق القديم لزوجها، يظهر بعد غياب طويل، عاد من الخارج محملا بالنقود، تعرف أنه كان فاشلا في الدراسة، لكنه الآن ثري، ومدحت هذا يكن نحو زميله القديم حسين شعورا سلبيا؛ فقد كان حسين دائما ناجحا في الدراسة، بينما كان مدحت نموذجا للفشل، يكتشف الصديق العائد أن العلاقة بين الزوجين مليئة بالتوتر، لذا فهو يستغل هذه المشاعر، كي يحشر نفسه بين الطرفين، خاصة بعد أن يطلب منه الزوج أن يتوسط للمصالحة بين زوجته، وبينه، لكن مدحت يستغل الموقف لزيادة مساحة الشرخ بينهما..

وسرعان ما تقوم علاقة بين الزوجة وبين مدحت، تنمو فوق الهدايا الثمينة، والتردد على المطاعم الفخمة، ومحاولة إرضاء أم زينب، التي تخون زوجها على فراش مدحت، وتستطيب طعم الخيانة، فتترك بيتها وتعود إلى منزل أمها، وتبدأ في طلب الطلاق. لكن حسين يرفض ليس حبا، بل لأن الطلاق سيجعلها تهنأ بخيانتها..

وسرعان ما يشبع مدحت من الزوجة الخائنة، ويبدأ في إلقاء شباكه على ميرفت، شقيقة حسين كنوع من الإعجاب بها، وأيضا

لإشباع مشاعره القديمة، بالنقص تجاه زميله. ويفاتح ميرفت في الأمر، فتبدي موافقتها، إلا أن زينب تتحول إلى أسد شرس عندما يبلغها نبأ هذه الخطبة، تبدو كالمتوحش الجريح، يحاول مدحت أن يهدئ من روعها، وأن يقنعها أنه يفعل ذلك من أجلها، حتى يتخذ من العلاقة الجديدة ستارا..

تبدو زينب وقد جرحت، وصار عليها أن تنتقم، وكان أول ما فعلته أن عادت إلى بيتها، وحكت له كل أطراف الخيانة، وافقت معه على قتل الغريم المشترك الذي خدع الأطراف الثلاثة: الزوج، وأخته، وزوجته، وتستطيع أن تدبر مسدسا، ثم يتم التواعد في "عوامة" على النيل، يأتي إليها مدحت..

كانت الخطة أن يدخل الزوج على زوجته، وهي تخونه فيقتلها، لكن زينب قتلت عشيقها بمجرد دخوله العوامة، وتبدأ في إلصاق التهمة لحسين فوضعت قلما أهداه له تلاميذه إلى جوار الجثة، ليبدو أنه سقط سهوا من القاتل. لكن حسين يقتل امرأته، ودبر الأمر على أساس أن العشيقين قتل كل منهما الآخر، ثم يخرج من العوامة، ليجد أخته تكاد أن تدخلها، فيأخذها ويذهب.

الزوجة هنا تخون، وتدبر المكائد، وتطلق الرصاص، وتقتل، ثم تموت، وقد كان أداء نبيلة عبيد حالة من التفرد، جعلت الناقد مجدي فهمي يكتب: "نبيلة عبيد جيدة جدا في دورها. ساعدها في هذا مقدرتها على "الردح" الذي كان ركنا في بناء شخصيتها".

ورغم أن دور الشريرة فتح عالم النجومية الأولى للفنانة، التي أطلقت على نفسها اسم "نجمة مصر الأولى" في أفيشات وعناوين الأفلام، إلا أنها في أفلامها التالية – خاصة التي قامت بإنتاجها – تعمدت أن تؤدي دور المرأة النبيلة الملتزمة المثالية، خاصة في الأفلام المأخوذة عن إبداع إحسان عبد القدوس، ومنها "العذراء والشعر الأبيض"، و"الراقصة والسياسي" وأيضا في أفلام أخرى مثل "الصبر في الملاحات"، و"اغتيال مدرسة"، لكنها بين وقت وآخر كانت تعود إلى أدوار الشر المشابهة لدور زينب. وفي هذه الأدوار، كانت تعتمد على "الردح" وعلى الصوت العالي، مثلما حدث في فيلم "أبناء وقتلة" لعاطف الطيب عام **1987**.

في هذا الفيلم نحن أمام الراقصة دلال التي ترقص في البارات، والحانات في النصف الأول من خمسينات القرن الماضي هي امرأة بضة، تملأ ذراعيها بالذهب، مما يغري عامل البار شيخون أن يتزوجها، بهدف الاستيلاء على ما لديها من ذهب لشراء البار الذي يملكه أحد الخواجات، ويستعد للرحيل، عقب قيام العدوان الثلاثي..

كل ما فعلته دلال إزاء فعلة زوجها أن أخذت تولول، وانتظرت الفرصة كي تنتقم منه، خاصة أنها أنجبت من شيخون توأم، حيث تنتهز الزوجة فرصة تستر زوجها على زوج شقيقته الهارب من السجن في مكان خفي بالبار، فتبلغ الشرطة عليه انتقاما منه، خاصة الضابط أحمد الذي وضع عينيه عليها كأنثى..

دلال، بهذا، تستطيع أن تدخل زوجها إلى السجن لمدة خمس سنوات، وتطلب منه الطلاق، ثم تتزوج من الضابط الذي أبلغته بجريمة زوجها، وهنا يبدو الشر بكامل ملامحه، فهي تستأثر بالتوأم..

وعندما يخرج شيخون من السجن، كان أول ما فعله هو أن توجه إلى بيت طليقته، بعد أن طلقت بدورها من الضابط، وصارت راقصة مشهورة ثرية، ود أن يشاهد ولديه، لكنها حرمته من الرؤية. مما دفع به إلى الاستعانة بقاتل محترف أن يقتلها.

تم القتل هنا، عندما ركب القاتل المحترف سيارة فارهة، وأوعز لها أنه رجل ثري، مما يعني أن الراقصة، لم تكن راقصة فقط، بل بنت ليل تخرج مع من يدفع، وتركب سيارته، ليذهبا إلى سطح المقطم، دون أن تعرف أنه سوف يقتلها، وبالفعل فإن الرجل يخنقها، نفس الخنق الذي أراد شيخون أن يفعله حين زارها، ومن أجل أن تكون الجريمة كاملة، فإن شيخون يقتل القاتل المحترف، كأنما هو قتل متبادل، مثل الخطة المتقنة في فيلم "ولا يزال التحقيق مستمرا"..

ظلت نبيلة، طوال تسع سنوات تقريبا، تنوع من أدوارها، وفي أغلب هذه الأفلام كانت أقرب إلى الضحية، مثل دور الزوجة في "الوحل"، والمدرسة المظلومة في "اغتيال مدرسة"، ثم الزوجة الثورية في "حارة برجوان"، ودور العاهرة عميلة الاستخبارات في "كشف المستور"

وفي عام **1995**، عادت نبيلة عبيد مرة أخرى إلى أدوار الشر، من خلال فيلم "هدى ومعالي الوزير" لسعيد مرزوق، وهو المخرج الذي سيسند إليها دور المرأة القاتلة في فيلم "المرأة والساطور" عام **1997**.

كلا الفيلمين مأخوذ عن قصة حقيقية، عرف الناس تفاصيلها في صفحات الحوادث بالصحف، المرأة الأولى هي سيدة الاقتصاد الهاربة هدى عبد المنعم، التي صار اسمها في الفيلم هدى عبد الغني كي يوحي الفيلم للمتفرج أن كل ما يراه واقع، هي امرأة بالغة الجمال، شديدة الذكاء. تسافر إلى بلد عربي (نحس أنه ليبيا) لتعمل سكرتيرة مع صاحب شركة مقاولات، وتتعرف في تلك الدولة على رجل مهم صاحب سلطة ونفوذ (وزير)، وتتطور العلاقة بينهما إلى زواج، حيث أصبحت بين يوم وليلة من الأثرياء في سوق المال والتجارة. وحركت بمالها السوق بعد أن عادت إلى القاهرة. وتتخذ من المقاولات ميدانا لزيادة رأس مالها..

فالملايين ولَّدت المليارات، بفضل ما لديها من جبروت وأنوثة، وذكاء. هي نموذج لرجال الأعمال الذين بدأوا من الصفر، تسقط في حفرة التنازلات التي جعلتها تدوس على القيم والأخلاق من أجل زيادة ثرائها، وتنميته على حساب البسطاء الذين انخدعوا بمظهرها الكاذب، وسهلوا لها المهمة حيث حصلت على قروض بنكية بلا ضمانات، وأخضعت السوق لخدمة أطماعها وأهدافها..

صنعت المرأة ظاهرة من الفساد الاجتماعي والاقتصادي، فقد تكالب عليها أصحاب النفوس الخربة يساعدونها في عمليات النصب،

والاحتيال والتزوير والغش والخداع من أجل الحصول على الكسب والمزيد من الثراء..

إنها تستعين بأبناء أسرتها، الذين ليست لديهم أى خبرة، كي تولى لكل منهم وظيفة مهمة في الشركة التي تسربت أخبارها إلى الصحافة، وفي جريدة أخبار اليوم، تقرر صحفية جريئة أن تتبع ملف هدى عبد الغني، وتستجمع الوثائق، وهدى ليست فقط امرأة فاسدة، تستخدم جسدها، بل أنها تحاول رشوة الصحفية، لكنها تفشل وتحاول المرأة إرهاب الصحفية، من خلال سلسلة من الحملات التي تحاول من خلالها إرهابها، لكن أماني الصحفية تستمر في كتاباتها بمساعدة رئيس التحرير..

استخدم الفيلم الأسماء الحقيقية الأولى للأبطال والبطلات، خاصة هدى وأمانى، لكنه لم يشر بالضبط، من هو الوزير الذي ضاجعته هدى كي يساعدها في الهروب من مصر، وقام بنفسه بتوصيلها لحمايتها إلى المطار.

نحن هنا أمام نوع من الإجرام الاجتماعي الذي يمس المجتمع، فقد استولت على الأموال من الجمهور لبناء عمارات لكنهم لا يحصلون على شيء، ويبقى المشروع مجرد هياكل في الصحراء..

أما فيلم "المرأة والساطور" فهو أيضا عن حادث حقيقي، لكن السينما لها تصور مختلف، والمرأة الشريرة هنا، ليست خارجة عن

القانون، وغير مستعدة لذلك، وهي تقتل زوجها النصاب، الذي حاول اغتصاب ابنتها الصغيرة، لأن الحيلة قد ضاقت بها.

والمرأة هنا ليست قاتلة فقط، بل مثلت بجثة زوجها، فقطعت رقبته وحملته بين يديها، والدم يقطر منها، ثم مزقت الجثة إلى قطع وضعت كل منها في كيس، ثم رمت بها في أكثر من صندوق قمامة، أي أن الجريمة مرتبطة هنا بالبشاعة والدموية وتقطيع الجثة، ثم راحت الزوجة تمارس حياتها بشكل طبيعي إلى أن تم القبض عليها.

تبدو آثار هذه الجريمة البشعة في المشاهد الأولى من فيلم، جو مقبض كئيب، شاطئ بحر مليء بالصخور الجامدة، ضباب يغلف المكان، دخان ينبعث من بقايا نفايات تحترق من داخل صندوق، وبعض مياه المطر تملأ المكان، ورياح تندفع، ثم تبدو أشلاء جثة رجل مقتول، عظام قدم مهشمة ودماء وأوراق جرائد، وكلاب شرطة تعوي بقوة، وهي تتوصل إلى المكان. ثم ما يوحي أن رائحة نتانة تنبعث من المكان، وأخيرا يظهر رأس القتيل الذي ينز دما..

يعكس هذا مدى بشاعة الجريمة، وتأتي أهمية الترقب، إننا سوف نرى المرأة، فيما بعد إلى أى حد هي منكسرة ومسالمة، ويسوقنا الفيلم نحو التعرف على كيف قتلت هذه المرأة، زوجها. فبعد أن يتم القبض على الزوجة، نبدأ في التعرف على كيف بدأت العلاقة بين نصاب يحمل العديد من الأسماء وبطاقات الهوية وجوازات السفر والحيل، وبين زوجة أقنعها أنه يعمل في مجلس الوزراء..

يهمنا هنا شخصية المرأة المجرمة، فهذه القاتلة تبدو ذات وجه بريء عندما يتم القبض عليها، لذا فإنه لا يتم التعرف على ما ورائها إلا بعد أن يتم التحقيق..

تزوجت سعاد من رجل أتقن أعمال النصب، فصدقت كذباته، وهو رجل يتمتع بقوة حسية، ولديه رغباته الشاذة في ممارسة الجنس مع زوجته، حيث يبدو عنيفا، ويود أن يأتيها من الخلف فتقاومه ثم لا تلبث أن تستسلم له. والزوج محمود علوان لم ينصب فقط على زوجته الجديدة سعاد بل على زوجات سابقات. أما هي فأرملة منذ سبع سنوات، متعطشة للجنس لكنها قليلة الخبرة بالحياة يسرق ما لديها من حلي ويبيع شقتها الأنيقة وينهب أموالها، ثم يحاول اغتصاب ابنتها..

أما سعاد التي تقتل زوجها وتمثل به، ليست مجرمة بالسليقة، فيكاد يغمى عليها، حين ترى زوجها يذبح عدة حمامات، إلا أن الوحشية التي اكتسبتها من تصرفاته جعلها مجرمة تفعل ما لم تفعله أي امرأة أخرى في زوجها، تقطع جسده وتتخلص من دماء جسده في البانيو، وتمسك برأسه المقطوع بين يديها، تتأمله، كأنها تتشفى، ثم تضع قطعة في أماكن متعددة قريبا من البحر..

حاول الفيلم أن يبرر ما فعلت لكنه لم ينجح في ذلك، فالجريمة كانت أكثر من بشعة. وكما أشرنا فإن العدد القليل من أدوار الشر أثبت موهبة الممثلة، بدليل أن هذه الأدوار لا تكاد تنسى من ذاكرة المشاهد..

صلاح قابيل

أدى صلاح قابيل أدوار الشر والخير بشكل متواز، وبالقوة نفسها والجاذبية كما لم يفعل غيره من الممثلين، خاصة في جيله.

ولا شك أن في هذا ذكاء شديد وقدرة على التنوع والاختيار، وليس هذا بالغريب على نجم شد انتباه الناس من خلال المسرح، قبل أن يستعين به حسن الإمام ليسند إليه دور البطولة المطلقة في الفيلم الأول لقابيل، وهو شخصية الحلاق عباس الحلو في "زقاق المدق" عام 1963.

كان الانطباع الأول، أننا أمام حلاق شاب، حليق الذقن بشكل جذاب، دون أى زوائد، طويل القامة قليلا، مهندم الملابس، خجول، ملئ بالحياة، يبحث عن فرص عمل أفضل. ولم يكن يوحي بأنه سوف يكون شرير الشاشة، وبالفعل، فإنه في أفلامه الأولى، خاصة التي أخرجها له مكتشفه حسن الإمام رأيناه مناضلا وطالبا وبريئا وشهيد الوطن.. مثلما كان في "بين القصرين". إلا أن أول أدواره كوغد كان على يدي مكتشفه أيضا، في "هي والرجال" عام 1965، إنه دور طالب الحقوق العاشق، الذي أحب الخادمة، وهو يسكن فوق السطوح، فتأتيه بالمساعدات وتقف إلى جانبه ويعدها بالزواج، حتى إذا تخرج وعمل في إحدى المحاكم بالإسكندرية في وظيفة مرموقة، صارت بالنسبة له غير

لائقة اجتماعيا فتهرب منها، وصارحها بحساسية موقفه الوظيفي، وأخرجها من حياته حزينة.

وقد ظل صلاح قابيل يؤدي شخصية العاشق النبيل طوال خمس سنوات في "هارب من الأيام" لحسام الدين مصطفى عام **1965**، و"دلال المصرية" عام **1970**، إلا أن أول من منحه دور الشرير الحقيقي كان حسين كمال في عام **1970**، في فيلم "نحن لا نزرع الشوك".

هو في هذا الفيلم شرير أقرب إلى ما جسده كمال الشناوي في "المرأة المجهولة"، ويحمل أيضا الاسم نفسه علام. فهو الوغد الشرير، الذي يتزوج من سيدة بعد علاقة طويلة من الشد والجذب، ففي البداية تعمل سيدة خادمة لدى أسرة عباس، ويبدو هنا شابا مليئا بالحيوية، والرعونة والاندفاع يحاول أن يلاحقها، ولا يتورع عن مهاجمتها. وأن ينال جسدها، مما يدفع بها أن تهرب من منزل أسرته وتلتحق بالعمل خادمة أيضا في بيت أسرة أخرى. ثم تتعرف على علام البلطجى، بائع الكازوزة الذي يحاول أن يفرض عليها عواطفه، ويستميلها حتى تتزوجه، ويحاول استغلالها، وسرقة ما تملكه من مصاغ، وهو هنا رجل قوي، في أشياء عديدة، في التأثير عليها عاطفيا وفي قوته الحسية، وفي قدراته على سلب ما تمتلك، فهو يطير بها ويعنفها، ويأخذ المال كي يصرفه على نزوات أخرى، مما يضطر سيدة أن تهرب من البيت، وتقع بين يدي إحدى بائعات الهوى التي تقودها إلى المنازل الخاصة بالدعارة، وتصبح امرأة ذات مكانة، وترث أموالا كثيرة من أحد عشاقها، فيظهر علام مرة

أخرى في حياتها، ويبدو ناعما رقيقا، يستعمل معها أساليبه القديمة نفسها. فتعود إليه وتنجب منه، ويبدأ في التغير مرة أخرى، ويمارس معها كافة ما سبق أن فعله: النصب والسلب والضرب والعنف، فتفلس وتهرب منه، كي لا يموت ابنها لشدة حاجته إلى العلاج.

صلاح قابيل هنا شرير لا مثيل له، فهو يمارس شروره على أقرب الناس إليه، زوجته، ويبدو جاحد القلب تجاه ابنه الذي يموت، وهو يستغل المرأة هنا، الوحيدة العصامية المنكسرة أكثر من مرة، وفي أكثر من زمن، حتى إذا نال منها الكثير، هجرها أو تركها تهجره.. صحيح أنه انكسر بعد وفاة ابنه، وطلب من زوجته الغفران، وأنها لم تغفر له، وقررت تربية ابن حبيبها حمدي، إلا أنه حسبما كتب رفيق الصبان في كتاب تكريمي عن حسين كمال، فإنه لم يحصل الممثل، فيما بعد، على دور مماثل.

وبالفعل، فسرعان ما عاد صلاح قابيل مرة أخرى إلى أدوار الخير، يقوم مرة بدور العاشق، ومرة بدور الجندي في الجبهة، أو الصحفي الباحث عن الحقيقة، لكنه بالفعل لم تتح له فرصة مهمة مثلما أتيح له أمام شادية، في فيلمين سابقين، وفي عام **1974**، أسند إليه حسن الإمام، مكتشفه، دور الأخ الوغد أو المكروه في فيلم "عجايب يا زمن" عام **1974**، ففيه يقوم بدور الأخ محمود، المفضل لدى الأب حمدي، فهذا الأب يفضل ابنه محمود ويحبه أكثر من أخيه حسين. ويوهم هذا الأخير أن أمه ماتت منذ ولادته، ومحمود هنا ليس شريرا بالمعنى المفهوم، بقدر ما

هو أداة لتنفيذ مشاعر الأب، الذي يفاضل بين ولديه، فيؤثر أحدهما على الآخر، ويثير الحزن، والغيرة في قلب حسين، على حساب الأخ، خاصة أن محمود قد خطب الفتاة وفاء، التي يحبها حسين، مما يزيد من مشاعر التنافر بين الطرفين، وبالفعل فإنه تقوم مشاجرة بين الأخوين حين يتصور محمود أن حسين هو الذي حرض وفاء على تركه..

أي أن المتفرج هنا أمام طرفين، أحدهما مظلوم ومغبون من الأب والمجتمع، ولابد أن يكون الثاني قد أخذ الكثير مما يستحق أخوه، مثل حنان الأب، وإيثاره له، وأيضا أن محمود خطب حبيبته. وكما أشرنا، فهذا ليس دور شرير بالمعنى المألوف.

وهذه الفترة، كانت بمثابة مرحلة تحول بالنسبة لصلاح قابيل، فهو يؤدي دور الوغد، وأغلبها أدوار ثانية في الفترة التي أسندت فيها البطولات إلى كل من محمود يس، وحسين فهمي، ونور الشريف، فأدى في فيلم "المطلقات" دور الزوج الذي ينفصل عن زوجته، من أجل أن يقيم حياة جديدة، فيكون ذلك بمثابة العار لامرأة شرقية مطلقة.

وفي فيلم "لا شيء يهم" لحسين كمال عام 1975، أدى دور فهمي الموظف الذي يجيد التعامل مع رؤسائه من خلال التملق والكذب، سعيا إلى الحصول على الرضاء والترقي، فإذا كان رئيس مجلس الإدارة الجديد يعشق لعبة الكاراتيه، فإنه يذهب ليتعلم أصول اللعبة، سعيا وراء حصوله على الرضاء والمكانة المقربة.

وفي عام 1976 كان صلاح قابيل واحدا من ثلاثة أشخاص، قرروا أن يزجوا بشريك لهم في جريمة سرقة كبرى إلى السجن، وذلك في فيلم "دائرة الانتقام" لسمير سيف، لقد اتخذ كل منهم اسما مستعارا.. وتسللوا في الليل مع جابر إلى بيت أحد الأثرياء، هو قريب لواحد منهم، وسرقوا ما به، ثم هربوا بعد أن تركوا زميلهم مغمى عليه، وأبلغوا عنه، وعندما حاول جابر الاعتراف عليهم، لم يجد ما يدل عليهم، وبعد خروجه من السجن، وجد أخته قد احترفت الدعارة، وأن أمه قد ماتت، فقرر الانتقام منهم، وكان فؤاد الذي جسده صلاح قابيل، قد صار صاحب مؤسسة اقتصادية، بفضل النقود المسروقة، وعليه أن يحافظ على مكاسبه، وعندما يلحق به جابر، فإنه يتوسل إليه ألا يقتله، فيكمم فمه، ويرمي به في حمام السباحة رغم وجود رجاله الأشداء الذين فشلوا في حمايته..

كان من الغريب أن يختفي صلاح أبو سيف عن السينما طوال ست سنوات، ابتداء من عام 1978، بعد فيلم "أسياد وعبيد" لعلي رضا، إلى عام 1984، حين أسند إليه بركات، واحدا من أهم أدوار الشر في تاريخ السينما في فيلم "ليلة القبض على فاطمة"، فهذا الشرير هنا ليس جاحدا فقط ضد أخته التي قامت بتربيته، وخطيبها الذي انتظرها طويلا، بل هو خائن للوطن إبان محنته في عام 1956، وهو سياسي متسلق، صعد إلى قمة الهرم الاجتماعي عن طريق التآمر والقتل، وإنكار الجميل، أي أننا أمام شرير مركب، وليس مجرد خارج عن القانون..

الشقيق الشرير هنا، هو جلال طاهر، يرسل في البداية رجاله إلى دار أخته فاطمة، في محاولة للقبض عليها بتهمة الجنون، وتتمكن فاطمة من الهروب، كي تحكي أمام الجيران عن سوءات أخيها، منذ أن كان صبيا صغيرا، تولت تربيته هو وأخوته، إذن فهو شخص ضد الجميع: أسرته، والوطن، فهو حين كان صبيا يعمل في التزوير، ثم في التهريب، وسرقة معسكرات الإنجليز، ثم في بيع السلاح للفدائيين، وعندما تقوم ثورة يوليو يصبح واحدا من زعمائها اللصوص، بل والقتلة، ومثلما كتب سامى السلاموني، فإن "دمويته الشاذة تصل إلى حد تدمير حياة أخته التي ضحت بكل شيء من أجله.. فهو يلفق تهمة لحبيبها سيد تدخله السجن لمدة خمسة عشر عاما، وبعد انتهائها يهدده بالسجن مرة أخرى، كي يحول دون زواجه من فاطمة، بل ويأمر بقتل أخته نفسها ببساطة شديدة، فيضربها رجاله بعنف، ويلقون بها في البحر ولكنها تنجو، فيعود ويأمر بالقبض عليها بتهمة الجنون"..

هو شر لا منفذ منه ولا تراجع فهو برجماتي، مصلحته فوق الجميع، يفعل أى شيء لتنفيذ مهمته ورغبته، ولم يصور لنا الفيلم، في كل مراحله، أي صورة اجتماعية أخرى لجلال، فهو ليس بعاشق، وليست هناك امرأة في حياته سوى أخته التي تعرف أسراره، ويصور الفيلم جلال على أنه عضو بارز في مراكز القوى أيام عبد الناصر، لا يتورع عن ارتكاب كل أنواع الجرائم.

فتح هذا الفيلم باب العودة القوية لصلاح قابيل إلى السينما، كانت ملامحه قد تغيرت قليلا، وصار في الأربعينيات من عمره (مولود عام 1937) أبرز ما فيه شوشة بيضاء في أطراف شعر رأسه الأمامي، ورغم هذه العودة القوية، فلا يمكن أن نقول أنه قد انحصر فقط في أدوار الشر، فهو أحيانا الفتوة، وفي أحيان أخرى هو ضابط الشرطة، حيث أدى هذه الشخصية في أفلام عديدة منها "بطل من ورق" عام 1988، و"نهر الخوف" عام 1988، و"الإرهاب" عام 1989، و"ضربة معلم".. وغيرها.

لكنه في منتصف الثمانينات أدى دور الفتوة في أكثر من فيلم، ليس فقط في الأعمال المأخوذة عن حرافيش نجيب محفوظ، بل أيضا في فيلم "الهلفوت" لسمير سيف، ففي فيلم "شهد الملكة"، جسد دور فتوة الحارة، المشوه الوجه، الذي يسعى للزواج من زهيرة، ضمن رجال آخرين أحاطوها، مثل المأمور، بكل ما له من هيبة، والفتوة بكل ما يملك من قوة، والفسخاني بما له من جاذبية، ثم سيد الحي بماله من جبروت ومكانة.

ونوح الفتوة هنا، ليس شريرا بالمعنى المألوف، بل هو رجل مشوه، لديه توتة ويستخدم النبوت كسلاح، وهو ينافس المأمور من أجل الزواج من المرأة التي تشبه ملكة خلية النحل، وقد صور الفيلم الرجلين أقرب إلى الكاريكاتير منهما إلى شخصين يتمتعان فعلا بمكانة ومهابة.

وفي "الحرافيش" للمخرج نفسه في العام التالي، رأينا الممثل يؤدي دور الفتوة الشرير الطاغية، الذي يصاهر عائلة الناجي، ويستغل فرصة رحيل الناجي الأكبر، كي يعلن نفسه عند أطراف المنطقة أنه الفتوة الجديدة، ولكن سليمان الناجي، الابن الأكبر للعائلة يظهر في اللحظة المناسبة، ويواجه عتريس وينتزع منه اعترافه بأنه الفتوة، وتقوم أحداث الفيلم على أساس الصراع بين الناجي وأسرته، والخصومة بين ولديه على قلب المرأة نفسها، مما يزيد من حمية الاقتتال، وعندما يضعف سليمان الناجي بدنيا، فإن عتريس يظهر مرة أخرى، ومثل الموقف الأسبق، فإنه يعلن نفسه فتوة على الحي، ولأن الفتونة، فإن خضر الناجي، الابن الأكبر سليمان، يكرر المواجهة التي سبق أن فعلها أبوه، وينتزع المنصب من عتريس الذي يعود متخاذلا أمام قوة النبوت.

وفي فيلم "الهلفوت" جسد صلاح قابيل شخصية الفتوة عسران، القاتل الأجير، ففي البداية نراه يستغل الزحام الماثل أمام المزلقان، كي يطلق الرصاص على رجل مطلوب منه أن يقتله في مقابل أجر، وعسران هذا شخص مهيب عملاق ذو نظرات حادة، ويحمل السلاح، ويخافه الجميع ويعملون له ألف حساب، ويعيش وحده في منزل يغلقه خلفه بالعديد من المزاليج. مما يعكس الجانب الآخر لهذا الشرير المثير للخوف.

فذات يوم، يلتقي الحمَّال عرفة بمرسي الذي يبحث عن عسران، بتكليف من الثري كيلاني لاستئجار عسران لقتل المقاول فؤاد المنياوي، يدعي عرفة أنه عسران ويحصل على ألفي جنيه كمقدم لإتمام العملية،

وكان عرفة قد سبق أن اكتشف مدى ما يتمتع به عسران من خواء جسدي حين اكتشف كل هذه المزاليج التي يغلق بها بابه، خوفا أن يفاجئه خصم ويقتله، لذا فإن حاجز الخوف يتلاشى داخل عرفة، ويدخل في مواجهة جسدية معه، يموت خلالها عسران بالسكتة القلبية..

في عام 1987جسد صلاح قابيل شخصية الشرير مرتين، الأولى في فيلم "عصفور له أنياب" إخراج حسن يوسف، وفيه يعود إلى دور الأخ العاق، فهو رياض الذي يحاول أن يستولي على قطعة أرض يمتلكها أخوه المهندس محمود، مما يؤدي بدخول الأخ الأصغر مستشفي الأمراض العقلية لمدة سبع سنوات، وعندما يخرج محمود من المصحة العقلية، يجد أخاه رياض وقد صار رجل أعمال كبير بعد أن استولى على نصيب أخيه من الميراث، وهو الذي ادعى له أنه سوف يقيم مشروعا مشتركا معه ذات يوم، لكنه الآن ينكر أي صلة بما حققه من ثروة، ويدعي أنه خسر كل ما له في أول مغامر قام بها في دنيا الأعمال، وأن الشركة الضخمة التي يملكها الآن هي ملك لزوجته.

ويتحول الأخ محمود إلى شرير، يتكلم مع أخيه بلغة الخروج عن القانون، فتحت تهديد المسدس، يعطي رياض لأخيه كل ما له من حقوق، ويستطيع محمود أن يعيد أخاه إلى سابق عهده، كرجل بسيط، يعيش في بيت الأسرة القديم.

الفيلم الثاني الذي جسد فيه صلاح قابيل دور الشرير عام 1987 هو "المرأة الحديدية" إخراج عبد اللطيف زكي، ولا يكاد يخرج

دوره عن ما سبق أن جسده في فيلم "دائرة الانتقام" قبل عشر سنوات تقريبا، فهو واحد من أربعة أشخاص، تخلصوا من رابعهم عن طريق القتل الجماعي، أي أنه هنا قاتل بالمشاركة.

وإذا كان الخارج من السجن هو الذي انتقم لنفسه من خصومه الثلاثة، فإن ماجدة، زوجة القتيل، وهي مدربة كاراتيه، هي التي تبحث عن الرجال الأربعة الذين أطلقوا النار على شكري في فيلا العجمي، ومنهم شكري الثري، رجل الأعمال، صاحب ورشة النجارة، حيث ستحدث المواجهة بينه وبين ماجدة، فتقتله بالمنشار الكهربي.

شخصية الوغد، الذي يتم الانتقام منه، ليست جديدة على صلاح قابيل، وهو يجسدها هنا، باعتبار أن الناس تستهويها قصص الانتقام، وأن السينما تنظر إلى المجرمين الأوغاد بأنهم يستحقون العقاب، فمن قتل يجب أن يقتل، ولو بعد حين، وقد أثرى شكري، وزملاؤه الآخرين بشكل غير شرعي، وقاموا بأنفسهم بالقتل، والتخلص من شريك لهم، سبق أن اختلفوا معه.

وفي عام 1988 قام المخرج مدحت السباعي بإعادة إخراج فيلم "سمارة" الذي كتبه أبوه عبد المنعم السباعي عام 1954، وذلك تحت عنوان "نواعم" ونحن لم نعقد مقارنة بين الفيلمين، لكن كان على صلاح قابيل أن يجسد شخصية زعيم العصابة الغامض الذي تعرفه سمارة أو نواعم من صوته، فترمي بشباكها عليه، وقد جسد محمود المليجي هذه الشخصية في الفيلم الأول، رجل أنيق من علياء المجتمع يدير الجرائم،

خاصة التهريب من برجه العاجي دون أن يعرف أحد هويته، إلا أن نواعم تتعرف على زعيم العصابة من خلال صوته الذي سبق أن سمعته، وقد كانت في صحبة زوجها المعلم هريدي.

مدحت السباعي، رأى أن أنسب من يجسد هذه الشخصية في الثمانينات هو صلاح قابيل، بأناقته وبدلته البيضاء واتزان حركته، فهو ليس بصاحب هيئة الإجرام، بل ابن الذوات الأنيق الذي يرمي بشباكه حول نواعم، وتستطيع أن تعرف منه بعض أسرار عملياته، فتبلغها إلى سيد ضابط المباحث المتخفي. ومن خلال هذه المعلومات فإنه يتمكن من القبض على العصابة، بمن فيهم رئيسها.

في الفترة نفسها، كان صلاح قابيل يجسد الأدوار الخيرة، مثل دور الزوج الذي تقوم زوجته وعشيقها بقتله بالسم الرعاف في فيلم "غرام الأفاعي" لحسام الدين مصطفى، أما عام **1989** فإنه قد بدأ بنشاط مختلف للممثل عندما عرض له فيلم "يا عزيزي كلنا لصوص" إخراج أحمد يحيى، فنحن هنا أمام ثلاثة من اللصوص الظرفاء، الأول عبد الله بهنسي الذي يكره عائلة السلاموني ويسعى إلى الاستيلاء على أموالها، ويمتلك الكثير من الأموال، أما الثاني فهو مرتضى السلاموني ابن العائلة الثرية، الذي يجد نفسه وقد فقد كافة أمواله بعد أن تم القبض على أبيه، الذي مات حزنا، ووضعه تحت الحراسة، أما اللص الثالث فهو محروس الذي صدقه مرتضى حين جاء لسرقته في إحدى الليالي، وبدأ يوجهه لسرقة فيلا خصمه عبد الله.

إنها سرقات متبادلة، أقرب إلى حكايات الشطار، فكل طرف يتفنن في سرقة البروش الماسي من الآخر، فمحروس عندما يسرق فيلا عبد الله يأتي إلى مرتضى بأوراق مهمة وخطيرة، ويقوم مرتضى بمساومة خصمه لدفع ثلاثين ألف جنيها؛ مما يجعله يرضخ على أن يقوم عبد الله بتدبير خطة متقنة لسرقة البروش من مرتضى، حين يسافر لبيعه في روما، فيرسل إليه برجال العصابات لإيهامه بأنهم قتلوا مساعده، فيترك لهم البروش.

والفيلم ملئ بحكايات الشطار حول الخطط المتقنة لسرقة البروش أو الوثائق، وينتهي بضحكة مجلجلة من مرتضى، وهو يقول: يا عزيزي كلنا لصوص.

وفي العام التالي، قام صلاح قابيل بالتمثيل في عمل آخر مأخوذ أيضا عن إحسان عبد القدوس هو "الراقصة والسياسي"، أدى فيه دور الشرير المقبول الجانب، فهو رجل سياسة سبق أن رقد مع راقصة وسرق مالها، ولم يدفع لها ثمنها، واختفى، ليظهر على شاشة التلفزيون بعد عدة سنوات، لقد أصبح وزيرا مرموقا، وتسعى الراقصة إلى استعادة علاقتها به.. فقد طلب خاله مدكور منها إحياء حفل خاص لأحد الضيوف من السياسيين العرب مقابل ثلاثة آلاف جنيها، وقد استضافته في فراشها ليلة كاملة، دون أن يعطيها حقها المالي.

الرغبة التي انتابت سونيا سليم في استرداد النقود من الوزير، ليست بالطبع من أجل المال، فالرجل كان ذكرا حقيقيا في فراشها، وهي

تحاول استعادته، لكنه الآن في منصب حساس، ويحاول صد المرأة، إلا أنها تهدده بنشر مذكراتها والكتابة عنها، فيعرض عليها مبالغ طائلة لإلغاء فكرة نشر مذكراتها.

وعنوان الفيلم الذي أخرجه سمير سيف، يحاول أن يؤكد أن الراقصة التي دبرت أموالها من خلال هز البطن، هي أشرف من رجل السياسة الذي يحاول أن يضع العراقيل أمامها في إنشاء دار حضانة للأيتام.

أما رجل السياسة فإن ماضيه سيء فهو بلطجي ونصاب ووصولي، ولا يزال يمارس أساليبه القديمة وهو في منصبه المرموق..

في العام نفسه قام صلاح قابيل بدور عباس الذي يتاجر في الدواجن الفاسدة في فيلم "قضية سميحة بدران" إخراج إيناس الدغيدي، وهو شريك ليوسف زوج أخته زهيرة في هذه العمليات، والذي يتعرض لحملة صحفية شرسة من الصحفية سميحة بدران في اجراء تحقيقات صحفية تدين الفساد بصوره المختلفة في المجتمع. مما يدفع بيوسف، جارها القديم، الذي حقق ثراء كبيرا باستخدام طرق ملتوية في الصفقات، أن ينسج عواطفه الزائفة على الصحفية ويتزوجها من أجل أن يلهيها عن الهجوم عليه..

وقد بدا الدور الشرير الذي جسده صلاح قابيل هنا ثانويا، قياسا إلى دور يوسف شعبان، حيث أن الزوجة الصحفية كان هدفها هو

كشف فساد زوجها، أما عباس فقد كان مجرد أخ لزوجة يوسف التي وافقت على أن يقترب زوجها بالصحفية، من أجل هدف خاص يتمثل في إبعاد الحملات الصحفية عن دائرة عملها.

في عام1991، بدأت الأدوار تنهال على صلاح قابيل متنوعة، فقد جسد ستة أدوار من خلال ستة أفلام، لعب في بعضها دور الشرير، ولا نقول المجرم، مثل دور سعيد في فيلم "تصريح بالقتل" إخراج تيمور سري، فهو صاحب إحدى شركات تجارة المواد الكيماوية، الذي يستورد مواد محظور استعمالها، ويستخدمها في التخلص من بعض موظفي الشركة، ممن لا يأمن من جانبهم لتبدو وفاتهم طبيعية.

أى أننا أمام قاتل، وخارج عن القانون، وهناك شخص يقف له بالمرصاد، هو الطبيب الشرعي مجدي الذي يعلم أن سعيد سوف يستلم شحنة قادمة من الخارج بها مواد مشعة، وعندما يسرق أحد عمال الجمرك عينة منها ظنا منه أنها تحمل أغذية محفوظة، يصاب العامل بحروق قاتلة، ليلقى حتفه في مياه البحر، في محاولة يائسة لإطفائها، ودون أن يثبت دليل واحد لإدانة سعيد.

يقرر مجدي اقتحام وكر سعيد لتحدث مواجهة بالرصاص بينهما، لكنها لا تسفر عن شيء، ولمهارة سعيد في طمس معالم جريمته، وهروبه من شحنة المواد المشعة، وقبضة البوليس واتهامات مجدي أيضا.

نحن إذن أمام مجرم من نوع خاص، هو واحد من الفاسدين، الجشعين ثري وذكي ولا يعرف قلبه الرحمة أو المراجعة، وثمن هذا الجشع هو أن الناس تسقط في التهلكة، حيث تدخل البلاد سيارة محملة بعلب المواد المشعة، فيلتفون حولها ويتخطفونها ظنا منهم أنها مواد غذائية محفوظة، دون أن يلتفتوا لأي تحذير..

وفي العام نفسه، جسد صلاح قابيل دور السجين الذي قضى مدة عقوبته في فيلم "مسجل خطر" لسمير سيف، فهو مصطفى أبو العز الذي اضطر للاعتراف كذبا بارتكاب سرقة كبرى قام بها شركاؤه للحصول على مال لعلاج زوجته، هو إذن ليس مجرما، بقدر ما هو ضحية، وبعد خروجه من السجن يجتمع رفقاء الزنزانة للانتقام من شركاء مصطفى بعد أن عرف أنهم تركوا زوجته تموت، وأودعوا ابنته الوحيدة ملجأ للأيتام.

وقد وضع فيلم "زوجة محترمة" لأحمد السبعاوي شخصية الأخ الأكبر كرجل شرير، رغم أنه تعرض لخيانة من زوجته وأخيه. فالدكتور حسين استاذ جامعي، ينقذ الفتاة سهام من أيدي بعض الشباب حين حاولوا اغتصابها ليلا على كورنيش الإسكندرية، ثم يقرر الزواج منها لحمايتها، وعندما يصل يوسف شقيق حسين من الخارج عقب انتهاء دراسته، يسقط حسين فجأة مصابا بالشلل ولحماية سهام من الضياع إذ وافته المنية يطلب من شقيقه يوسف أن يتزوجها بعد أن يطلقها، وينفذ الشقيق طلبه بعد تردد طويل، كما توافق سهام مضطرة..

حتى هنا، وحسين رجل بالغ السمو والرقي، لكنه يجري عملية جراحية ناجحة، ويتم شفاؤه من الشلل، وهنا يتعامل مع الفيلم على أنه شرير، فهو يطلب من شقيقه أن يطلق سهام كي يعيدها إلى عصمته، إلا أن يوسف يرفض ويترك الفيلا ليقيم مع زوجته في شقة صغيرة، فالفيلم يرى أنه ليس من حق حسين أن يتزوج امرأته السابقة للمرة الثانية، وأنه طلب غريب..

وقد قام صلاح قابيل بدور الشرير في العديد من أفلام المقاولات كبطولة مطلقة، مثل دور أباصيري في فيلم "المفسدون" إخراج إسماعيل حسن عام 1991. فهو يغتصب إحدى الموظفات التي تعمل عنده، وهو على خصومة دائمة مع منافسيه من تجار المخدرات.

وفي فيلم "المتهمة" لبركات عام 1992، فهو طارق رجل الأعمال الذي يتزوج من البنات كي يستخدمهن في عمليات التهريب دون أن تعرفن، خاصة ليلى، الذي يأخذ ليلى معه بعد الزواج إلى اليونان، يبدو رجلا مليئا بالحب والشاعرية، وعندما تعود للقاهرة لزيارة والدها، بسبب تدهور حالته، يتم القبض عليها في المطار لوجود كيس هيروين داخل حقيبتها. تكتشف أن زوجها طارق مهرب مخدرات، وهو الذي دس لها الهيروين، ولكنها تعجز عن إثبات براءتها ليحكم عليها بالسجن المؤبد.

وبعد سنوات، تخرج ليلى من السجن عجوزا منهكة، ويظهر طارق مرة أخرى، ويهددها بكشف سرها أمام ابنتها، فتقتله.. هذا المجرم

لا يعرف التوبة ولا التحول إلى الأفضل، وهو يظل على مؤامراته وأخلاقه السيئة إلى أن ينال جزاءه على أيدي إحدى ضحاياه..

ولعل هذه الفترة كانت قد شهدت ازدهارا وقبولا على صلاح قابيل، وأسند إليه المخرجون المزيد من هذه الأدوار، مثل دور رجل الأعمال الشرير في فيلم "دنيا عبد الجبار" واسمه الدوكش، الذي يعاقب أحد العاملين لديه، بسبب خسارته في أحد المزادات بأن أمر رجاله بضربه أمام زوجته دينا، مما يدفع عبد الجبار إلى أن يتحول إلى شخص عنيف ويقرر أن ينتقم من الذين أهانوه وعذبوه وأذلوه أمام زوجته، وخاصة الدوكش..

كما أن صلاح قابيل أدى دور رجل الأعمال فاروق شكري، زعيم العصابة أيضا في فيلم "اللعبة القذرة" إخراج حسام الدين مصطفى عام 1973، ليكون بذلك قد قام في هذه الفترة بدور الشرير بلا منازع، هذه الفترة التي خلت تقريبا من وجود وجه مألوف يقوم بمثل هذا النوع من الأدوار، لكن الممثل كان قد صار يقبل القيام بأى دور يسند إليه..

عادل أدهـم

باستثناء فيلمه الأول "هل أنا مجنونة" إخراج أحمد ضياء الدين عام 1964، فإن الكثير من الأفلام التي قدمها عادل أدهم في السنوات الأولى من علاقته بالسينما، كان أغلبها من النوع الكوميدي، مما يوحي أن الممثل لا يصلح قط لأدوار الشر، أو فلنقل أنه ممثل متنوع الأدوار .

لكن مع البصمة الأولى له في السينما، كان عادل أدهم هو الشرير، كي يصير عميدا للأشرار في السينما طوال ثلاثة عقود تقريبا، فهو بتكوينه الجسماني وموهبته السهلة الاكتشاف، قد صار الملك المتوج في هذه العقود لأداء هذه الأدوار. شاب طويل خفيف الشعر يصلح لأدوار الجنتلمان، يجيد التعبير بوجهه، جاد غالبا، خفيف الحركة، يرمز إلى قوة الذكورة في أغلب هذه الأفلام، وأيضا إلى القوة الجسمانية، يمكنه أداء دور رجل الشرطة، أو زعيم العصابة، أو المجرم الفردي الذي يدير كل شيء بمفرده، يستخدم السلاح، أو يديه.

ففي فيلم "هل أنا مجنونة" أدى عادل أدهم دور رجل يطمع في ثروة هدى (سميرة أحمد) الفتاة البالغة الهشاشة، وقليلة الخبرة، الشديدة التعلق بأبيها، فقدت بوفاة أمها الكثير من الحنان، وبزواج أبيها عاشت في المزيد من التجاهل، وتتفاقم عقدها النفسية، فتتردد على عيادة

الدكتور الذي يكتشف أنها بالغة العنف، أما الشخصية التي جسدها الممثل، فهي لشاب يطاردها، ويحاول إيهامها أنها مجنونة من أجل أن تستسلم له، لكن لكثرة مطارداته لها، تدور مشادة بينهما، يموت على إثرها، فيتم القبض عليها، وفي المحكمة يسعى الدكتور أحمد إلى إثبات براءتها.

الذين شاهدوا عادل أدهم في هذا الدور سيلاحظون كافة السمات التي اتسم بها فيما بعد في أدوار الشر، التي بدأت تتسع مساحتها من فيلم لآخر، بعد مجموعة من الأدوار لشخص طيب نبيل في "العائلة الكريمة" عام **1964**، ولصديق في "الخائنة" لكمال الشيخ عام **1966**، ولرجل دبلوماسي في "جناب السفير" لنيازي مصطفى عام **1961** ولدور رجل الإنتربول في"أخطر رجل في العالم" لنيازي مصطفى، وهنا يطارد السيد إكس، ويفشل دوما في مهمته، وهو هنا أشبه بالمفتش كلوزو في سلسلة أفلام الفهد الوردي.

وفي "أيام الحب" لحلمي حليم عام **1968**، قام بدور الممثل الأول في فيلم يقوم مخرج بعمله، وهو الذي يبحث عن بطلة جديدة، أما حسام الدين مصطفى فقد أسند إليه دور الفدائي في فيلم "السمان والخريف" عام **1967**.

حسام الدين مصطفى هو الذي اكتشف عادل أدهم، أو أعاد اكتشاف ذلك في فيلم "هي والشياطين" في عام **1999**، فهو زيزو الذي ينضم إلى عصابة تهريب أموال، والذي يتفق مع زعيمها على تهريب

أموال ثم يطمع في النقود فيعطيها لصديقه كمال الذي يخبئها في جزيرة الموت بالملاحات، تعتقد العصابة أن زيزو قد طمع في المزيد من المال، لكنه يستطيع الهرب من العصابة التي تقبض عليها الشرطة، ويبحث زيزو عن كمال الذي هرب ومعه النقود، ويتمكن من العثور عليه، ويعترف له بمكان الأموال، ثم يقتله أمام منزل حبيبته وردة يلفظ كمال أنفاسه الأخيرة، ويعترف لوردة بمكان النقود، يحضر زيزو إلى الملاحات للبحث عن الأموال، ويقابل البرنس، وتحاول وردة التقرب إليه للوصول إلى مكان النقود، ولأنها تريد أن تنتقم لخطيبها كمال الذي قتله زيزو.

زيزو هنا رجل عصابة مهرب، وقاتل، وطماع، وعاشق للنساء، وهو يلقى جزاءه بالموت على أيدي رجال العصابة، وقد استطاع عادل أدهم هنا أن يجسد دور الشرير بكافة تعبيرات وجهه، وأداءه التي نعرفها عنه، والتي اكتملت ملامحها في أفلامه التالية، ومثلما يحدث مع الممثل، أي ممثل، حين يلمع في دور ما فإن الأدوار التالية تكتب خصيصا من أجله.

في عام 1970 تجسدت مثل هذه الشخصيات الإجرامية الشريرة في عدد من الأفلام، بعضها من إخراج حسام الدين مصطفى، الذي أجاد إدارته، مثل ثلاثة أفلام "الثعلب والحرباء"، و"الأشرار" و"لصوص على موعد" وبدا أن المخرج قد وجد ضالته في الممثل، ليصنع مجموعة من أفلام المطاردات والحركة، ففي "الثعلب والحرباء" يقوم بدور ناجي الذي يسرق محل المجوهرات مع زميله عزيز وشريكته كاميليا، ثم

بعد السرقة يتخلص من عزيز بالوشاية، ويدخل عزيز (إبراهيم خان) السجن، وهناك يتعرف على ظريف (فريد شوقي) الذي يحكي له كل قصته، ويعده ظريف أنه سوف يقوم بمساعدته، وإعادة نصيبه من المجوهرات، يجد ناجي نفسه مطاردا من قبل بطاقة تتابعه في كل مكان بها عبارة واحدة، ويحاول أن يعرف من أين تأتي له تلك البطاقات، ويشك أن الرسالة من كاميليا التي تنفي علاقتها بالبطاقات، يخرج ظريف من السجن، ويطارد ناجي، وبعد أن يفشل ناجي في معرفة مرسل البطاقات يتقدم ظريف له ويخبره بأنه هو الراسل، وأنه جاء ليحصل على نصيب عزيز، لكنه يتهرب منه، إلا أن كاميليا تقتل ناجي، وتكتشف أن ظريف ضابط شرطة متنكر، دخل السجن من أجل متابعة هذه القضية للقبض على العصابة .

وفي فيلم "الأشرار" عام **1970**، يقوم عادل أدهم بدور مهرب الأموال، الذي يعمل مع شريكين آخرين، وقد وضع المخرج مجرمه هنا في إطار الخارج عن القانون، من خلال شكله العام، وأيضا سلوكه تجاه الآخرين، فهو غير حليق اللحية تركها منبتة بما يعكس عدم الاهتمام بظاهره، ويضع على عينيه نظارة سوداء مستديرة رفيعة الذراعين، وقد غطى رأسه بكاب أسود يخفي المزيد من ملامح الوجه، كما أنه يرتدي الملابس السوداء التي ترمز في الكثير من الأفلام إلى الشر وأصحابه، أما سلوكه العام، فهو أنه مهرب محترف يمكنه أن يقتل ويذبح وأن يخون شركاءه، وأن يشتهي النساء، خاصة من يؤتمن عليهن، ويهرب بالنقود

وحده، أي أن الشخصية التي جسدها الممثل هنا لا منفذ منها إلى السلوك الأفضل، وبالتالي فهو إما أن يموت، أو يتم القبض عليه .

في العام نفسه، بدأ نجم عادل أدهم يصعد كممثل، ويقوم بالدور الرئيسي كشرير، فقد اختاره حسام الدين مصطفى للمرة الثانية في فيلم "لصوص على موعد"، فهو يجسد شخصية رئيس العصابة التي يتفق معها صادق بك لسرقة قلادة فرعونية ثمينة في أحد العروض الأثرية في تركيا، وينجح في سرقة القلادة كي يعطيها إلى صادق بك، الرجل المختل عقليا

رحلة الصعود هذه تعني أن الشرير هنا يقف أمام الخير، أو الممثل الرئيسي موقف الضعف، وقد بدا عادل أدهم هنا، كأنه يتقدم بذكائه وموهبته، فهو شرير من نوع جديد ذكي، خفيف الحركة، يجيد القتال لا ينهزم بسهولة، عكس الأشرار السابقين، كما لا يمنع الأمر أن يكون رجلا مليئا بالذكورة ولديه قدرة على إغواء النساء، مثلما حدث في فيلم "القتلة" لأشرف فهمي عام **1971** فهو عزيز المتشرد الذي يتردد على الكباريه، وهو رجل بلا قلب مستعد أن يفعل أي شيء خاصة ارتكاب الجريمة، وعندما يتقابل عزيز مع المهندس عادل، فإن الاثنين يعقدان معا اتفاقا، أن يقوم عزيز بقتل زوج أم المهندس، في مقابل أن يقوم عادل بقتل من يشاء عزيز، وذلك كي تبتعد الشبهات عن كل منهما، ويقوم عزيز بتنفيذ جريمته بسهولة، أما عادل فإنه يفشل عندما يحاول التخلص من سوسن زوجة عزيز .

عزيز هنا لديه القدرة على الابتزاز والقتل وتنفيذ الجريمة، ويؤمن بأن كل غاية تبرر الوسيلة، وقد استطاع عادل أدهم أن يستخدم إمكاناته السابقة الذكر كي يعضد مكانته كممثل لأدوار الشر، لكن لا نستطيع أن نقول أن دوره في "ثرثرة فوق النيل" هو لرجل شرير، فهو واحد من أبناء الموسرين يبحث عن متعة في وطن مهزوم، وليس ما يفعله سوى نوع من الهروب .

إلا أن شخصية فؤاد الشامي في فيلم "امتثال" لحسن الإمام عام 1972 تعتبر واحدة من أكثر الشخصيات التي تقطر شرا، فهو الفتوة البالغ العنفوان، هو بلطجي في شارع عماد الدين يخافه الجميع، ويودون رضاءه، ويخضعون له، خاصة الراقصات وبنات الليل، إنه يرتدي زي الفتوات والبلطجية، ويخاطب الناس بالقوة ومهارة استخدام السلاح الأبيض، ويستطيع التغلب على خصومه بسهولة، كما أنه يفرض الإتاوات، ويتخذ ممن يشاء من النساء عشيقات، وهو مفتاح لنجاح فنانة أو فشلها. لذا فإن امتثال عندما ترفض دفع الإتاوة، فإن فؤاد الشامي ينجح في إبعادها بسهولة عن شارع عماد الدين، وعندما تعيد حساباتها، وتنجح في إغرائه، فإنه يدفع بها إلى شارع عماد الدين مرة ثانية، وتتحول من راقصة إلى ملكة لهذا الشارع.

وقد استوحى حسن الإمام القصة من حكاية حقيقية لشخصية بالاسم نفسه، ففؤاد الشامي حسب الفيلم يعرف أن امتثال قد حملت سفاحا من عشيق آخر هو ناجي، وأنها هربت معه، فيطاردها بدافع

الغيرة، ويقتلها بطعنها بزجاجة مكسورة، وتبدو مدى القسوة في تنفيذ القتل.

كان عادل أدهم كممثل لأدوار الشر شخصا مختلفا، فلم يكن غزير الإنتاج مثلما سبق أن رأينا نجوم الشر في أزمنة سابقة، فهو في العام 1972 قدم فيلمين فقط هما "امتثال" لحسن الإمام، ثم "الزائرة" لبركات، بينما قدم فيلما في عام 1973 هو "المرأة التي غلبت الشيطان" ليحيى العلمي. ثم توقف تماما عن العمل في عام 1974ليعود بأربعة أفلام في العام التالي.. لعب فيها دور الشرير، وبدأ يعمل بهذا المعدل لعدة سنوات.

في فيلم "الزائرة" تدور الأحداث في لبنان، والشرير هنا ليس بلطجيا، وإنما رجل بالغ الأناقة، في ضيعة لبنانية، يسعى إلى إقناع عاملة بار أن تنتحل شخصية ليلى ابنة أحد الأثرياء رسميا كي ترث المال ويشاركها فيه، لكن الفتاة لا تلبث أن تتعاطف مع صاحب الضيعة، وتنجح في إنقاذه من الموت، مما يدفع بحامد أن يحاول قتلها، حامد هنا لا يتورع عن القتل حين تكاد خططه أن تفشل وهو أيضا يضع "كاب" على رأسه، ويحمل بندقية صيد يصطاد بها البشر والحيوانات، وفي الأحداث نعرف أن عاملة البار نادية، هي نفسها ليلى ابنة صاحب الضيعة، وأنها تخفت بهدف كشف نوايا حامد في الاستيلاء على أموال أبيها، والسعي للقبض عليه .

الأفلام التي قدمها الممثل في النصف الثاني من السبعينات كانت في الغالب لرجل عصابات يبتز النساء ويسعى لامتلاكهن، أو هو رجل مركز القوة، صاحب المركز السياسي الذين يتمكن من أقدار الآخرين، فيعذبهم، ويتخلص منهم.

وإذا كان الممثل قد ظهر في شخصية الشيطان في الفيلم الذي أخرجه العلمي، فإن الشيطان هذا قد سبق أن رأينا آخرين يجسدونه، منهم يوسف وهبي، ومحمود المليجي، لكن المهم هنا هي الشخصيات الشريرة في أفلام مثل "لقاء مع الماضي"، و"نساء ضائعات"، و"الأنثى والذئاب" في عام **1975**، وإذا كان عادل أدهم قد عاد للعمل مجددا مع حسام الدين مصطفى، فإن يحيى العلمي قد قدمه في واحد من أبرز أدوار الشر في "لقاء مع الماضي"، إنه محمود الذي يعمل في تزوير النقود، ويتم القبض عليه، وعندما يخرج يبحث عن شريكه القديم حسين الذي سرق النقود، وأخفاها مع ماضيه، وتبدأ المطاردة بين محمود وشريكه الأسبق، ويهدده أن ينضم إليه، وإلا كشف سره إلى زوجته.

في هذا الفيلم اجتمع الثلاثي عادل أدهم – نور الشريف – ميرفت أمين للمرة الأولى، والذين جمعهم نيازي مصطفى مرة أخرى في العام نفسه في فيلم "الأنثى والذئاب"، فعادل هنا هو شفيق، رجل العصابات أيضا الذي تعشقه النساء، ويختار منهن الواحدة تلو الأخرى، ويلفظهن، من أجل أن يدفعهن للعمل بالدعارة، ومن هؤلاء الفتيات سلمى التي تتمرد عليه محاولة العودة إلى طريق الصلاح، فيدفع برجاله إلى

البحث والإتيان بها تمهيدا لقتلها، وتشاء الصدف أن تتعرف سلمى على عادل أدهم الشاب الذي تطلب منه حمايتها، لكنها تموت.

لا تلبث حنان شقيقة سلمى أن تظهر في الساحة، ويحاول شفيق أن يقتلها متصورا أن سلمى لم تمت بعد، فيختطفها، وذلك لشدة التشابه بينها وبين أختها، ويسعى أدهم إلى إنقاذ حنان من براثن المجرم

المجرم هنا رجل عصابات يقتل ويخرج عن القانون بأشكال عديدة، كما أنه يشتهي النساء، أي أن أغلب الشخصيات التي جسدها عادل أدهم في تلك الفترة لم تخرج عن البلطجي في فيم "امتثال". وهو رجل صاحب طغيان خاص وعنفوان، وقد أقبلت السينما على الممثل بقوة في عام **1976** ليجسد دور الشرير في خمسة أفلام من أبرزها "المذنبون" لسعيد مرزوق الذي قام فيه بدور الشخص القوي الحس، الذي يعرف كيف يصطاد أمثاله من النساء المشتعلات الحسية، وهو يبتزهن، أو يحصل منهن على الأموال حسب قدرته في إمتاعهن، كما أنه يرتكب مع زميل له جريمة سرقة إحدى الخزائن ..

وفي "حكمتك يا رب" الذي أخرجه صديقه الحميم علي رضا، انتقل الشر مع الممثل إلى حي المرج، حيث نرى المعلم زكي قدرة يعمل في تهريب المخدرات عن طريق حشو بطون الجمال بالمخدرات، ويقوم بتوزيع بضاعته في المرج، لكنه ليس الرأس الكبير، فهناك المعلمة "أم نعيمة" التي ترأس العصابة.

لم تترك السينما أي فرصة لإخراج عادل أدهم من أدوار الشر، فصار نجم هذه الأنواع من الأدوار طوال عقد بأكمله، وتعددت أشكاله، من الخارج فهو المدير العام بالشركة في فيلم "أمواج بلا شاطيء" لأشرف فهمي، الذي يدفع عشيقته عاملة التليفونات كي تعرف أسرار أصحاب الشركة كي يوقع بينهم جميعا. وهم نادر الذي يصدم في أن هناك علاقة غير شرعية بين أمه وصالح الذي يتولى تربيته بعد وفاة الأب، حسام هنا يسعى إلى إبعاد صالح عن الإدارة، وعندما يكتشف نادر الأمر تصبح الكلمة الرئيسية لحسام، ويحقق رغبته.

الشرير في هذا الفيلم لم ينل أي عقاب، فقد كشف الفيلم أن كل أفراده فاسدون، وأنهم يستحقون ما يحدث لهم، فنادر يتزوج امرأة عاهرة اصطادها من على شاطيء البحر، والأم تزوجت من عشيقها، لكن هذا لم يصلح الأمر، وقد وجد حسام وعشيقته في ذلك فرصة لإدارة الشركة كما يشاءان.

في عام 1977 عاد عادل أدهم للعمل مع صديقه علي رضا في فيلم "آه يا ليل يا زمن" وفيه جسد دور رجل عربي يدير ملهى ليليا في سويسرا اصطاد فاتن البلتاجوني، ابنة باشوات ما قبل الثورة، الهاربة إلى أوروبا، ودفعها للعمل كفتاة ليل، وأن تكون عشيقته أحيانا، وتحت الحاجة فإن الفتاة وافقت أن تلعب الدور دون أي تراجع، ثم ما لبثت أن هربت للبحث عن طريق أفضل.

في تلك الفترة، ووسط أدواره التي نعرفها، ظهر الممثل في ثلاثة أفلام كواحد من مراكز القوى، وهي شخصيات ظهرت في أفلام تهاجم الفترة الناصرية، وهذه الأفلام هي "طائر الليل الحزين" ليحيى العلمي، و"حافية على جسر الذهب" لعاطف سالم عام **1977**، ثم "أسياد وعبيد" لعلي رضا في العام التالي..

يمتلك هذا النوع من الرجال الكثير من السطوة السياسية والقدرة على التحكم في مصائر البشر، كما أنه يمارس الخروج على القانون بطريقته، فهو فاسد وملوث، لكنه يحمي هذا السلوك الخارج عن القانون بقوة منصبه، لذا فإنه قادر أن يزج بخصومه إلى السجون، وأن يكيد لهم مؤامرات وأن ينسب إليهم تهما لم يرتكبوها، وهذا النوع من الأفلام على أن هذا الرجل يرمز إلى النظام السياسي بأكمله .

فهو طلعت مرجان في فيلم "طائر الليل الحزين" الذي يتخذ لنفسه عشيقة هي درية، الذي يدبر خططا إجرامية لخصومه ويقتلهم، وتنسب الجريمة إلى الشاب عادل الذي كان في أحضان درية ليلة ارتكاب الجريمة، وهذا الرجل لديه سلطة على قاض شريف هو حازم الذي أصدر حكمه بالإعدام ضد عادل، لكنه بدأ في مساعدته في اكتشاف الحقيقة .

ويرى الفيلم أن طغيان مثل هذا الرجل كان يمكن أن يدوم لولا ما فعله أنور السادات في **15** مايو بأن قضى على مراكز القوى، بما يعني أننا أمام مجموعة من الأفلام الموجهة.

أما عزيز بك في "حافية على جسر الذهب"، فهو يحاول انتزاع الفنانة كاميليا من المخرج أحمد سامح كي يمتلكها لنفسه، إنه رجل صاحب نفوذ سياسي ويمكنه أن يلحق الأذى بمن يعترض مصالحه وبالفعل فإن عزيز عندما يشعر أن أحمد سامح هو عقبة في طريق امتلاكه للفتاة كاميليا، فإنه يهددها أنه سوف يقوم بالتخلص منه، مما يدفع بالفنانة أن تضحي بحبها إنقاذا له، ويقوم عزيز بدفع رجاله للاعتداء على أحمد وتحطيم سيارته في الطريق الصحراوي، ووسط هذه التهديدات المتلاحقة والإيذاء المتكرر لكل من له علاقة حميمة بالفنانة، فإن كاميليا لا تجد أمامها سوى أن تقتل عزيز وتنتحر.

أما الفيلم الثالث "أسياد وعبيد" فإن رفعت هنا رجل استخبارات لديه العديد من العلاقات النسائية، ويستخدم سلطاته للبطش بكل ما هو عزيز، فهو يأمر بالقبض على الشقيقين أحمد وحسن بتهمة الانتماء إلى تنظيم، يعمل أحمد طبيبا، أما الثاني فهو يعمل صحفيا، وهو خطيب لسعاد التي يرافقها ذات يوم إلى ملهى ليلي تمتلكه نانا التي على علاقة جيدة برئيس الاستخبارات، هذا وتبدو قسوة هذه الشخصية في أن التعذيب الذي يمارسه يؤدي بعماد – صديق أحمد – إلى الموت، ويطلب رفعت من أحمد الطبيب أن يكتب شهادة وفاة طبيعية عن موت صديقه، وتحت الضغط يوافق أحمد.. والمجرم هنا متشابك العلاقات، خاصة النسائية، يستخدم مسدسه للتخلص من خصومه، ويموت مع عشيقته نانا التي تدفعه من الشرفة.

في رأيّ الشخصي، أن أحد أهم أدوار عادل أدهم في أدوار الشر هو دور مرسي في فيلم "أقوى من الأيام" لنادر جلال عام **1979**، وذلك العام الذي عمل فيه في ستة أفلام؛ فالأحداث تدور عند شريط سكة حديد في بلدة معزولة عن الدنيا، ومرسي هذا يحب هنية، ويتقدم إلى والدها الحاج بيومي، لكن الأب يبلغه أن هناك ارتباطا بينه وبين والد إسماعيل كي يزوجها منه، ولا يجد مرسي أمام هذا الرفض سوى أن يتربص بالفتاة ويغتصبها في واحد من المشاهد المليئة بالقسوة، وبذلك فإن الفتاة توافق أن تتزوج من مرسي – مغتصبها – وذلك رعاية لمشاعر أبيها.. وبعد أن يموت الأب تبدأ هنية في الضغط على زوجها كي يقوم بتطليقها..

مرسي هذا رجل له زغب خفيف في لحيته، يضع طاقية فوق رأسه، يبدو بالغ القسوة ولا يعرف الرحمة حتى تجاه من يحبها، وهو يموت مقتولا أثناء شجار مع إسماعيل بعد أن هربت هنية من البيت.

في عام **1981**، تعددت أدوار الشر التي جسدها عادل أدهم، فهو الذي يدفع بعشيقته للالتفاف حول ممرض مستشفي الأمراض العقلية في "أنا المجنون" لنيازي مصطفى، لكن دوره الأهم في ذلك العام هو الفتوة الديناري في "الشيطان يعظ" لأشرف فهمي الذي يغتصب زوجة أمام زوجها في واحد من أكثر المشاهد دموية في السينما المصرية، أما فيلم "الحب وحده لا يكفي" لعلي عبد الخالق فقد جسد فيه صاحب مؤسسة اقتصادية تمارس النصب على الراغبين في السفر إلى الخارج.

وفي هذه الفترة تنوعت أدوار الشر التي جسدها عادل أدهم، وبدأ يصعد إلى البطولة المطلقة، فهو في "السلخانة" لأحمد السبعاوي عام 1982، المعلم نجم الذي يدبر لقتل عمر الأخ غير الشقيق ليلة زفاف أخيه علاء، مما يصيب والد القتيل بالشلل من شدة الصدمة. ويقرر علاء أن يترك عمله ليحل محل أخيه والبحث عن الجاني، نجم هنا، قاتل ومهرب مخدرات وصانع مؤامرات، ويتعامل مع البشر كأنهم الحيوانات التي تذبح.

كان عادل أدهم قد اتجه إلى أدوار الخير لبعض الأفلام، لكنه عاد إلى شخصية مراكز القوى، صاحب السلطان الذي تتركه امرأته إلى شاب في سنها، فيمارس ضده التعذيب في فيلم "2 على الطريق" لحسن يوسف عام 1984 وهو العام الذي قام فيه بحفار القبور الذي يدفن الضحايا الذي تقتلهم صاحبة الفندق القريب في أحد المناطق الكندية في فيلم "المجهول" لأشرف فهمي، وهو أيضا الشرير صاحب السلطة في "عصر الذئاب" لسمير سيف، وهو الذي قام بسرقة كلية سائقه حين تم نقلها إليه في "الحقونا" لعلي عبد الخالق، ثم هو صاحب السلطة الباحث عن الكنز في أعماق البحر الأحمر في "جحيم تحت الماء"، وهو القاتل أيضا، رجل الأعمال في "نور العيون" لحسين كمال عام 1991 وأيضا المهرب في "عنتر زمانه" لتيمور سري عام 1994.

والملاحظ أن عدد أفلام عادل أدهم في السبعينات قد قلت بشكل ملحوظ، لكنه ظل مصرا على أن يؤدي هذه الأدوار حتى آخر

أفلامه الذي عرض بعد رحيله عام 1996، وهو "علاقات مشبوهة" لعادل الأعصر، فهو موسى الذي يتزعم عصابة لتجارة الأسلحة الذي يتصدى لأحد شركائه الذين سعوا للانفصال عنه وسعوا إلى التخلص منه.

خلاصة ما يقال عن أدوار الشر التي جسدها عادل أدهم، أن أحدا لم ينافسه في أدائها أثناء حياته، وأنه أعطى لهذه الأدوار بريقا خاصا، كما أن رحيل الفنان ترك ساحة أدوار الشر الحقيقية خالية تماما من مثل هذا الأداء العبقري .

عادل إمام

قد يبدو غريبا أن نخصص حديثا عن عادل إمام باعتباره من نجوم أفلام الشر في السينما المصرية، ليس فقط باعتبار نجومية الممثل ونوعية أفلامه، ولكن أيضا لأن من الصعب أن تجتمع الكوميديا والشر، لذا فإننا سوف نتحدث عن الشخصيات التي جسدها عادل إمام في إطار خروجها عن القانون، والخطورة في هذا الخروج عن القانون أنه صار مشروعا تبعا لجاذبية الممثل وشعبيته.

وترتبط هذه الظاهرة بتغيرات اجتماعية معينة، عقب تطبيق سياسة الانفتاح، وازدهار أحوال الحرفيين والصناعيين، خاصة مع سفرهم للعمل خارج مصر، ثم حدوث التفجر في نجومية عادل إمام مع فيلم "رجب فوق صفيح ساخن"، وأيضا فيلم "المحفظة معايا" لمحمد عبد العزيز، هؤلاء الحرفيين الذين كانوا يمثلون غالبية الجماهير التي كانت تذهب إلى السينما في ذلك العقد بالذات، والذين كانوا بمثابة الأبطال الرئيسيين في أفلام عادل إمام، هؤلاء الذين يبحثون عن الكسب السريع، بدون مجهود، وتجيئهم الثروات بشكل مفاجيء وسريع، دون أن يبذلوا أي مجهود، مثلما حدث لكل من رجب، وشعبان، ورمضان، ثم للبطل في أفلام مثل "الجحيم" و"المولد"، و"حب في الزنزانة"..

وسوف نتوقف هنا عند هذه المرحلة من عطاء الممثل، فمع بداية عام 1979 كان النجاح غير المتوقع لنجاح فيلم "رجب فوق صفيح ساخن" لأحمد فؤاد، ومع هذا النجاح كان هناك سبب اجتماعي بالغ الخطورة يتمثل في مسيرة رجب القادم من الريف لشراء محراث، فيجد نفسه وسط أضواء المدينة، وبعض من سرقوه، تقود رجب مذيعة إلى أحد الملاهي الليلية، وهناك يرى النشال الذي سبق أن سلبه أمواله التي جاء بها من قريته، يخبره بلبل أنه خسر كل الأموال التي سرقها في مائدة القمار، وهنا تبدأ رحلة الانحراف في حياة رجب الذي يتعلم لعب القمار، ويبدأ في كسب المزيد من المال عن طريق هذا القمار، إنها لعبة الكسب السريع لمبالغ كثيرة بدون بذل أي مجهود، ويصبح واحدا من طرف عصابي، يشكله مع زميله، أو الذي أصبح صديقه، اللص بلبل، والذي يصاب أثناء إحدى المعارك مع مجرمين آخرين، وبعد أن يموت يكون رجب قد تعلم اللعبة، فلا يعود إلى القرية بل يبقى، ويتحول إلى نصاب جديد يصطاد الريفيين الذين جاءوا إلى العاصمة كي يبيع لهم الوهم..

كان هذا الفيلم هو بداية مشوار نجومية خارقة، قرأ كتاب السيناريو مرحلة سياسية واجتماعية جديدة، يعتمد أبطالها على آلية مختلفة، فأغلب أبطال أفلام هذه المرحلة الذين يعكسون الواقع من اللصوص والأفاقين الباحثين على الثراء السريع، وهو قرار خارج عن القانون، مثلما رأينا في الفيلم التالي "المحفظة معايا" الذي عرض في نهاية 1978 فهناك زميلان سابقان فرقت بينهما الأيام، الأول صار نشالا، والآخر صاحب إحدى شركات الانفتاح التي تعمل بشكل غير شرعي،

فعندما يسرق النشال عطوة بعض الأوراق الخاصة بالشركة، عقب رفض شكري أن يعين زميله في شركته ينكشف مدى الفساد الذي تمارسه الشركة، والخروج عن القانون، يحاول صحفي الحصول على هذه الأوراق لإثارة حملة ضد الشركة، ويسعى شكري للحصول على الأوراق بأي سبيل ..

عطوة هنا لص، وإن حاول أن يتوب، فهو يسعى إلى السرقة أكثر من مرة، ومصيره السجن، وعندما يخرج من السجن، فإنه يحاول سرقة وزير لعله يعثر لديه على أوراق مهمة يبتزه بها، إذن فهو في الأساس خارج عن القانون لا يبحث عن التوبة الحقيقية، ولكن عن فرص جديدة، ولعل الجاذبية التي يتمتع بها الممثل قد أعطت الشرعية لمثل هذه الأوراق تجد مثل هذا القبول من الجماهير التي شاهدت الفيلم .

وقد فتح نجاح هذه الأفلام الباب لكتابة سيناريوهات جديدة تتناسب مع هذه المرحلة، وأن يؤديها الممثل نفسه، مثل فيلمي "شعبان تحت الصفر" لبركات، و"رمضان فوق البركان" لأحمد السبعاوي اللذين كتبهما سمير عبد العظيم، والذي كانت لديه رؤية واضحة في صناعة بطل يحبه الجمهور على غرار رجب، لكن التجربة التي لا يمكن تجاوزها، هي فيلم "الجحيم" لمحمد راضي عام **1980** المأخوذ عن سيناريو كتبه سيف الدين شوكت سبق أن أخرجه عام **1968** لحساب السينما اللبنانية التركية، وهو مأخوذ عن فيلم أمريكي بعنوان "ساعي البريد يدق الجرس مرتين" فرمزي في الفيلم، هو أحد الخارجين عن القانون بالصدفة، وهو

يحصل على مبلغ كبير من المال بالمصادفة، إنه يعمل في أحد الفنادق، ويعرف أن بالفندق عصابة تخفي حقيبة بها مبلغ كبير تمت سرقته، فيسرق الحقيبة ويهرب وينزل في استراحة بالطريق الزراعي، ويخفي الحقيبة، ويتحول إلى عشيق لزوجة صاحب الفندق التي تحاول أن تدفعه لقتل زوجها العجوز كي يخلو لهما الجو، وبسبب الغيرة من ابنة الزوجة الطالبة البريئة يدور صراع حاد بين رمزي وسلمى. وقد أعطى الفيلم للبطل هنا شرعية التوبة لمجرد أنه ود أن يفعل ذلك، أي حسب رغبته.

البطل الخارج عن القانون يفوز في نهاية الفيلم بكل شيء، بالنقود التي سرقها، وبالفتاة نجلاء بهدف أن يبدأ الاثنان حياة جديدة. وقد عرض فيلم "الجحيم" في اليوم نفسه الذي عرض فيه فيلم "شعبان تحت الصفر" ليؤكد على هذه الظاهرة الجديدة، فشعبان أيضا هو شاب ريفي فقير، تأتيه ثروة ضخمة عن طريق المصادفة ويتقبلها، وهي ثروة غير شرعية حيث ينتحل شخصية فريد الغطريفي، الابن الوحيد لثري راحل، هذا الابن موجود خارج البلاد بسبب صدور حكم بالإعدام ضده، ويبدو هذا الفلاح الفصيح وقد سعى للاستفادة تماما من هذه الثروة الطائلة، حيث يستجلب كافة النساء إلى بيته من أجل متعته، ويبدو أثر الثروة المفاجئة عليه في كل تصرفاته، حيث يحتضن الحقيبة فوق السرير، سوف يتكرر المشهد نفسه مع "بخيت وعديلة" بعد أكثر من خمسة عشر عاما.

حاول شعبان الاستفادة من هذه الثروة المفاجئة بكل ما تجلبه من إغراء، ونسي تماما معاناته كموظف لا يستطيع أن يقترن بحبيبته زينب، وقد تقدم نحو هذه التجربة بإصرار ملحوظ، وهو يذهب إلى المحكمة والسجل المدني، ليمحو اسم شعبان كي يتحول إلى الغطريفي، وعندما تنكشف أحواله ويتم القبض عليه فإنه يردد عبارات مضحكة أمام القاضي، مثل "أنا حمار يا بيه"، وتقف زينب إلى جواره .

أما الفيلم الأخطر فعلا في مسألة وضع شرعية للخروج عن القانون فهو "رمضان فوق البركان" الذي يقوم على فكرة أن أي موظف حكومة لديه عهدة مالية كبيرة يمكنه بكل سهولة أن يخبئها في مكان سري وأن يسلم نفسه إلى السلطات، وأن يتم سجنه ثلاث سنوات، باعتبار أن المبلغ الذي خبأه يعادل عدة مرات كل ما سوف يقبضه كراتب طوال حياته، وفي السجن يتحول رمضان إلى بطل جذاب له احترامه ووقاره، ويبدو التردد على السجن هنا أشبه بتزول فرد إلى فندق مألوف، لا يهاب الذهاب إليه، ففيه الألفة والصحبة.

في فيلم "انتخبوا الدكتور سليمان عبد الباسط" لمحمد عبد العزيز عام **1981**، قام عادل إمام أيضا بدور الخارج عن القانون الذي يتم القبض عليه في النهاية، فهو الأستاذ الجامعي الوقور المتزوج من زميلة له، وهو يعاني من الملل في حياته الزوجية، وتسوقه الظروف أن يتعرف على فتاة الليل إبتسام، ويتردد عليها في مترلها، لكنه في إحدى المرات يقوم بقتل رجل آخر يتردد على مترل العاهرة بدافع الغيرة، واختلاف

وجهات النظر، ويتفق مع إبتسام أن يخلصها من جثة القتيل، سليمان هنا أستاذ قانون، يبدو عندما يخرج عنه، ماهرا في تنفيذ هذا الخروج، ويبدو ذلك واضحا وهو يخفي معالم الجريمة، بل في ارتكابه جريمة ثانية عن عمد، حين يقتل توفيق الذي شاهده ينقل الجثة، فإذا كانت الجريمة الأولى دفاع عن النفس، فإن المرة الثانية تتم عن عمد، باعتبار أن توفيق الذي صار يهدده هو بمثابة خطر على حياته فيقتله، ويقوم بإخفاء جثته، تحت سمع وبصر العاهرة التي تتوصل تحريات الشرطة إليها.

نحن، من جديد، أمام فيلم مقتبس من فيلم أمريكي تم إنتاجه في الأربعينات، وجدته السينما المصرية صالحا للتعبير عن الثمانينات، ونحن هنا أمام مدرس جامعي، وليس واحدا من البسطاء الذين يخرجون عن القانون لأسباب خاصة بالفقر والظروف الاجتماعية، كما هو موجود في أفلام عديدة، مما يعني أن الممثل قد قام، غالبا، بأداء العديد من صور الخروج عن القانون، فهو في فيلم "المشبوه" المقتبس عن نص أمريكي أيضا، يقوم بدور اللص ماهر الذي يتزوج من عاهرة قابلها في إحدى الشقق أثناء إحدى عمليات السرقة التي يقوم بها، ويقرران التوبة، وأن يتزوجا، لكن الجريمة تطارد ماهر طوال حياته، حتى وإن حاول التوبة، فهناك ضابط شرطة يلاحقه لأنه سرق منه مسدسه الميري في إحدى المطاردات، وهناك حمودة زميله الذي فقأ له عينه، فراح يطارده كي ينتقم منه، وهناك الشقيق الذي يلاحق ماهر كي يساعده في إحدى عمليات السطو على رواتب إحدى الشركات الكبرى.. ومن سجن إلى آخر، ومن سنوات الحبس إلى محاولة التوبة، فإن ماهر يعيش على هامش

القانون، كلما خرج عليه تمت معاقبته، فهو متمسك بأسرته، ويريد أن يمنحها لقمة شريفة قد يستطيع الحصول عليها أخيرا بعد أن ساعد الشرطي في القبض على العصابة التي سرقت رواتب الشركة ..

وقد تجددت العلاقة بين الراغبين في السلوك القويم، والخروج عن القانون مجددا في فيلم "على باب الوزير" إخراج محمد عبد العزيز، وتأليف سمير عبد العظيم الذي وضع عادل إمام في شخصية الخارج عن القانون في أفلام عديدة منها "المتسول" بالإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه، ففي "على باب الوزير" هو الطالب الفقير في كلية الطب الذي يحب زميلته ابنة الجزار الذي يغش في اللحوم، وهو ابن الموظف الشريف عبد الصمد كثير الأولاد، الأرمل، ويرتبط كمال هذا بمجموعة من الشباب التزق، وهم ليسوا من مستواه المعرفي أو التعليمي. ووسط أحداث معقدة، فإن كمال يجد نفسه يمارس أعمالا كثيرة ضد القانون، منها تخفيه في زي رجال شرطة ومباحث تموين من أجل الكشف عن هوية اللحوم التي يبيعها الجزار، بحيث يتم القبض عليه وإدخاله السجن، ولعل ذلك يضيع مستقبله كطبيب منتظر.

وكمال الذي يرافق شلة السوء يجاريهم في الكثير مما يفعلون، دون أن يكون لديه أي إحساس بالمراجعة أو التطهر، وبالفعل فإن هذا النوع من الأبطال الخارجين عن القانون لا يعرفون التطهر بالمرة، وذلك مثلما حدث في فيلم "عصابة حمادة وتوتو" لمحمد عبد العزيز عام **1982**، فالزوجان حمادة وتوتو يحصلان على الثراء السريع بعد أن تم رفت الزوج

من وظيفته، ويقومان بسرقة الصيدليات والبنوك والمحلات، ويحاول السيناريو أن يعطي تبريرا لما يفعله الزوجان، بادعاء أن ابنهما كان مريضا، وفي حاجة إلى العلاج، لكنهما يستمران فيما يفعلانه بعد شفاء الابن، ومن أجل إكساب هذه السرقة شرعية، فإن الفيلم يجعل بطليه يسرقان حسن بلبع، صاحب الشركة التي سبق أن رفتت حمادة، والذي نسب إلى نفسه المشروع الاقتصادي الذي تقدم به حمادة إلى الشركة، وفي النهاية يتم القبض على الزوجين..

الفيلم يحاول أن يلقننا رسالة في الإثراء السريع، وهو أيضا مقتبس عن فيلم أمريكي كوميدي بعنوان "مرح مع ديك وجين" وأهم ما في الأمر أن هذا النوع من الأفلام كله عرض على الشاشات بشكل مكثف ومتلاحق، كأنه يؤكد على الفكرة التي تناقشها أفلام هذه المرحلة، فلا نكاد نجد استثناء إلا قليلا، وكانت بعض هذه الأفلام تعرض في دور عرض متجاورة في الوقت نفسه، والغريب ودون سابق اتفاق، فإن مخرجين كثيرين قد عكفوا على وضع عادل إمام في مثل هذه الشخصية، شخصية المجرم الذي يتعامل مع أقرانه، فصلاح في "حب في الزنزانة" لمحمد فاضل يقبل أن يدخل السجن بدلا من الشرنوبي، مقابل وعد بشقة تمليك وورشة خياطة، والغريب أنه دون عادل إمام، لاعتبرنا أنفسنا أمام شخصية خارجة تماما عن القانون، حتى وإن تحول إلى عاشق إلا أنه عندما يخرج من السجن يسعى إلى أن يأخذ حقه الذي دفعه سجنا، مثلما حدث فيما بعد في "رمضان فوق البركان"، ثم سوف تصبح المواجهة بين خارجين عن القانون، فصلاح يستعين بزميله السجين السابق

فاروق كي يعد له جواز سفر مزيف، ثم يدخل صلاح إلى بيت الشرنوبي ويقتله وهو يستحم في البانيو، مثلما اضطر الصحفي عادل أن يقتل الكاشف في نهاية فيلم "الغول" لسمير سيف عام **1983**، ومثلما خرج الشرطي السابق منصور عن القانون من أجل إرضاء حبيبته تراجي في فيلم "خمسة باب" لنادر جلال في العام نفسه، ومثلما سيفعل حسنين في فيلم "المتسول" لأحمد السبعاوي أيضا، حيث يعمل شحاذا في المدينة ضمن عصابة لصناعة المتسولين في المدينة. يرى الفيلم أن هذه الصناعة وسيلة مضمونة للتربح السريع والمضمون.وأن هناك مؤسسات تحتية لصناعة الشحاذة، وأن المتسول حسنين يمكنه أن يربح من عدة زوايا من ذلك الرجل الخارج عن القانون الذي يدير شركة مشبوهة، ويتصور أن هذا المتسول ليس سوى ضابط شرطة يتجسس على أنشطته بالإضافة إلى وقوع الشحاذ في قصة حب مع موظفة تتردد على المطعم الذي يتناول فيه الغداء، هي لا تستطيع أن تكمل حساب الغداء، وهو قادر أن يدفع الكثير دون أي معاناة..

والطبيعي في الفيلم أن هذا المتسول يفوز في النهاية بالنقود والحبيبة، وأن يقتنع الجميع أنه الشخص الأفضل، ولا شك أن هذا النوع من الأفلام، وهي كلها متقاربة الرؤى، يخاطب البسطاء غير القادرين أن هناك وسائل مضمونة للربح السريع، دون أن تكون هناك عقوبات رادعة، وأن هذه الوسائل للربح السريع موجودة من حولنا، لا تحتاج إلى بذل مجهود كبير، وذلك مثلما فعل طالب كلية الحقوق فهمي في فيلم "حتى لا يطير الدخان" لأحمد يحيى عام **1984**، فهو القروي الفقير الذي

يتفوق على الطلاب أبناء الأثرياء، يعلمونه كيف يجلب لهم المخدرات، ويقوم بخدمتهم في إعداد جلسات لتدخين المخدرات، وشيئا فشيئا يتحول هو نفسه إلى تاجر مخدرات بعد أن يعرف أسرار تجارة الحشيش، ويفتح مكتبا للتصدير والاستيراد، ويكون ثروة كبيرة من الإتجار في المواد الغذائية الفاسدة، ويتزوج من أخت أحد زملائه الأغنياء ثم يطردها، وفيما بعد ينجح في الوصول إلى عضوية مجلس الشعب.

هل هناك فساد أكثر من هذا، إنه يمارس الخروج على القانون بكافة أشكاله، فعلى المستوى الشخصي هو الذي يدفع بالفتاة سنية لزملائه كي يمارسوا الجنس معها، وهو الذي يتزوجها فيما بعد. وفي هذا النوع من الأفلام فإن العقاب الذي يحدث في زمن قصير نسبيا، يتمثل في وفاة مفاجئة لفهمي أثناء زفافه على سنية..

وفي العم نفسه، وبعد أسبوع تقريبا من عرض فيلم "حتى لا يطير الدخان" عرض فيلم "مين فينا الحرامي" لمحمد عبد العزيز، وفيه يؤدي عادل إمام شخصيتين الأولى حسين، وهو شاب طيب، توأم لأخيه شريف الذي اختلس مبلغا من المال من مدير الشركة عاصم وأخفاه داخل عمود سرير نحاسي فيتم القبض على شريف ويدخل السجن، ويبيع حسين السرير دون أن يعلم أن النقود بالسرير، شريف هنا مجرم حقيقي، يخافه المسجونون الذين يقيمون معه في الزنزانة، مثلما يحدث في أفلام أخرى منها "الأفوكاتو"، و"رمضان فوق البركان"، كما أنه يهرب من السجن بسهولة، حين يقوم بتبديل ملابس أخيه، ويخرج إلى المدينة لمتابعة مصير

السرير الذي يباع من أسرة لأسرة، وتتولد الكوميديا من المطاردات وتختلط ملامح الشقيقين، الطيب والطالح في شخص واحد.

كان عادل إمام قد تنبه إلى أدائه لهذه الشخصيات، هذا إذا كان في إمكانه اختيار النص في تلك السنوات، فرأيناه يقوم بدور مهندس يعيش مع أسرته في كارفان في الشوارع في "كراكون في الشارع" عام 1986 لأحمد يحيى، ثم قام لأول مرة بدور ضابط الشرطة في "النمر والأنثى" لسمير سيف عام 1987 الذي لم يلبث أن أعاده لأداء الشخصية التي نحن بصددها في فيلم "المولد" عام 1989، إنه إبراهيم الطفل الذي تاه من أمه وهو صغير في مولد السيدة زينب، فالتقطه أحد البلطجية ولصوص الأطفال، ويزعم أنه ابنه يقوم بتربيته، ويطلق عليه اسما آخر، وعندما يكبر إبراهيم يتحول إلى لص يسطو على الفيلات، ويصبح العماد الأساسي لعصابة ترأسها امرأة حسناء التي تعهد إليه ببعض المهام الخطرة، ومنها تهريب الدولارات للخارج، وبعد فترة يقرر إبراهيم الانتقام من كل أفراد العصابة، ينزل اليخت الذي يقيمون فيه، ويستولي منهم على خمسة ملايين دولار، ثم يعود إلى مصر بعد سنوات، وقد غيَّر اسمه. لقد حصل الشاب بسرعة فائقة على ثروة ضخمة وبسهولة، وتحول إلى رجل أعمال، وهو لا يكف عن ممارسة أعمال الإجرام، يقوم بتصفيته مع رئيس العصابة، وينجح في أن يقتله، كما أنه يكون سببا غير مباشر في مصرع أبيه الحقيقي، حين يموت الأب تحت أنقاض أحد المباني.

وغرابة هذا الفيلم أن إبراهيم بعد كل هذه الأفعال الإجرامية الحقيقية، وهو الذي عثر على أمه، يكرر فجأة لزوم النهاية الخيرة أن يعيش بالحلال، ويمنح نقوده التي جمعها بالسرقة والتهريب والقتل إلى الفقراء دون أن ينال أي عقاب سماوي أو أرضي.. إذن، ومع نهاية العقد التاسع من القرن العشرين، كانت هناك هذه الشخصية التي تحقق الكسب السريع، وكما أشرنا فإن جمهور المشاهدين هنا كانوا من هؤلاء المطحونين الحرفيين الباحثين عن فرصة ثراء، وكانت هذه السينما تفتح أمامهم الفرص المضمونة لتحقيق ما يحلمون به ..

ومع العقد الأخير من القرن لم تتغير الصورة كثيرا في أفلام من النوعية نفسها، وإن كانت هناك قضايا سياسية واجتماعية فرضت نفسها على المجتمع، وعلى رأسها الإرهاب، وبدأت دفة الفنان في التوجه إلى عمل أفلام مختلفة، عند بدء التعامل مع وحيد حامد ككاتب سيناريو، وشريف عرفة كمخرج في أفلام مثل "اللعب مع الكبار" عام **1991**، و"الإرهاب والكباب"، و"المنسي"، فالفقراء هنا، والمطحونين ظلوا على هيئتهم طوال الأحداث، ولم يحققوا أي ثراء، أو حتى حل لمشاكلهم الصغيرة، مثل الشاب حسن في الفيلم الأول الذي يحارب الفساد بكافة أشكاله، ويقرر أن يبلغ مباحث أمن الدولة بما يعرف، فتكون النتيجة أن يموت صديقه عامل السويتش برصاص رجال العصابات، فالعصابات هنا ليسوا هؤلاء الذين يعيشوا في الأقبية مثلما قدمتهم السينما المصرية، بل هم رجال في السلطة يتاجرون في المخدرات، وفي السلع الفاسدة، ولديهم من القوة ما لا يستطيع أحد أن يوقفهم..

لقد تغيرت الشخصية هنا، فلم تعد تسعى إلى الثراء السريع، بل بدت تائهة، رغم المتاعب الاجتماعية التي تعانيها، فالمنسي لا يستطيع أن يدبر حياته ويعيش على الهامش، يحلم بجنيات الليل يأتين إليه يداعبنه، وهو الموظف البسيط الذي يذهب إلى مجمع التحرير لاستخراج ورقة إدارية تتعلق بنقل أحد أبنائه من مدرسة إلى أخرى، فيكتشف النخر الاجتماعي والإداري في المبنى في "الإرهاب والكباب"، كما أنه الشاب الذي تم تجنيده ليصبح إرهابيا، ويمارس العديد من العمليات الإرهابية ولأول مرة، فإن الشخصية الخارجة عن القانون، التي يجسدها الممثل، تتحول إلى الأفضل، وتحدث لها عملية خلاص ملحوظة.

وقد عاد موضوع الثراء السريع مرة أخرى مع ثلاثية "بخيت وعديلة" التي أخرجها على مدى سنوات نادر جلال، فبخيت موظف بسيط، وعديلة مدرسة، يلتقيان بالمصادفة في أحد القطارات، ويعثران على حقيبة بها مبلغ ضخم من الدولارات يفقدها مهرب مخدرات، ويحاولان أن يسلماها إلى الشرطة، لكن الظروف تحول دون ذلك، ويجدان نفسيهما أمام ما أسميناه بالثراء السريع، أن يعيشا في ترف وبذخ، ويصبحان من الأغنياء، يقيمان في أحد الفنادق. ويتصرفان بسفه ملحوظ مع النقود، مثلما سبق لشعبان أن فعل في فيلم "شعبان تحت الصفر" وقد استغرق الفيلم وقتا طويلا في وصف التغير النفسي الذي حدث لكل من بخيت وعديلة حيث يقومان بتحطيم كل ما في الشقة من أشياء ثمينة .وإذا كان الاثنان قد فقدا النقود في الجزء الأول من الفيلم، فإن فرصة أخرى للإثراء السريع تأتيهما في الجزء الثاني، حين يقرران أن يرشحا نفسيهما

في مجلس الشعب، وتقرر إحدى عصابات تهريب المخدرات مساندة بخيت وعديلة وتمويل الحملة الانتخابية بشرط الحصول على قرارات معينة لصالحهم في المستقبل، فتكون فرصة للإثراء السريع المؤقت. وهي الفرصة نفسها التي أتيحت لهما عندما سافرا إلى الولايات المتحدة، وصدمت إحدى السيارات فتاة أمريكية، بخيت، إنها ابنة مرشح رئاسة الجمهورية ويصيبه حلم الثراء السريع بالحصول على تعويض، لكنه يكتشف أن المصاريف الإدارية للقضية قد استهلكت المبلغ كله .

في السنوات الأخيرة ، وبعد ظهور جيل من المضحكين الجدد، وتحول الجمهور من قاعات سينما وسط المدينة، ذات الأسعار المناسبة لجيل الثمانينات إلى سينما المولات تغيرت الشخصية التي يجسدها عادل إمام، ليصبح الثري المقتدر في أفلام مثل "التجربة الدانماركية"، و"عريس من جهة أمنية" و"السفارة في العمارة"، فهو يسكن الفيلات الضخمة، والشقق التي تطل على النيل، وهو في وضع اجتماعي يتناسب تماما مع الجمهور الذي يذهب لمشاهدته..

جميل راتب

هذا الفنان العائد من اللغة الفرنسية إلى مصر في عام 1975سرعان ما وضعته السينما في أدوار الشر، وكان صلاح أبو سيف هو أول من فعل ذلك في فيلم "الكداب" والغريب أنه في العام نفسه فإن كمال الشيخ وضعه في الإطار نفسه في فيلم "على من نطلق الرصاص" فقد قام جميل راتب بدور رئيس مجلس إدارة شركة من شركات القطاع العام مغموس بالنساء والانحراف، ويتم اكتشافه في النهاية .

جميل راتب الذي غاب عن مصر قرابة الثلاثين عاما، وعاد إلى مصر للعمل في السينما والتلفزيون والمسرح، عمل على خشبة المسرح الفرنسي، وفي السينما الأمريكية والفرنسية أكثر مما عمل في مصر، وكان عليه، وهو يبدو على مشارف الخمسين، أن يبدو كوجه جديد في المقام الأول، وكان الفيلم الوحيد الذي قدمه في مصر هو "أنا الشرق" عام 1958 وهو فيلم مجهول من إخراج الممثل عبد الحميد زكي، حيث يدور حول مغامرات حول البحث عن الذهب في مصر..

جميل راتب العائد، لم يبد في لكنته أي تغريب، وإن كان جاء للسينما المصرية بشخصية مختلفة متنوعة، فهو لم يعد الفتى الوسيم، رغم قيامه أمام فاتن حمامة بأدوار العاشق القديم العجوز الراجع من الماضي،

لكن طريقته في الحديث ونبرة صوته وهدوئه، فرضوا على أدوار الشر التي لعبها شكلا مختلفا، فهو أقرب إلى الممثل البريطاني هربرت لوم في أداء هذه الأدوار، يدبر الخطط ويخطط الجرائم، لكنه لا يدخل في مغامرات، ولا يمكن لأحد أن يشاجره أو أن يوقعه أرضا، فهو رجل له مهابته الملحوظة وكبرياؤه، وهو يمارس شروره من خلال مكانته الاجتماعية ووظيفته المرموقة، وقد ساعدته في ذلك أناقته ووسامته، فهو الجنتلمان الخارج على القانون، وإن كان جميل راتب قد استطاع أن ينوع من أدواره، فلا نستطيع أن نحصره في هذه الأدوار التي طلع علينا به مع عودته إلى الشاشة المصرية.

قام جميل راتب بالعديد من الأدوار فهو الأستاذ الجامعي، ورجل الأعمال والباحث والطبيب، وفي غالب الأحيان فإنه لم يخلع أناقته إلا في أضيق الحدود حتى في أدوار الشر، فإن المخرجين الذين عمل معهم وضعوه في الإطار الضيق الذي أشرنا إليه، فسوف نراه يقوم بدور المسئول الإداري في الشركات، الذي يحبك الجرائم في الكثير من الأعمال، بالإضافة إلى الفيلمين المذكورين فإنه سيفعل ذلك في "حب في الزنزانة" إخراج محمد فاضل عام **1983** و"الأقزام قادمون" **1987**، ثم "الدرجة الثالثة" **1988**، وكلاهما من إخراج شريف عرفة، و"حالة تلبس" لبركات **1988**، و"طيور الظلام" لشريف عرفة **1995**.

وقد ساعدت ملامح جميل راتب أن ينوع من أدواره، بالإضافة إلى قيامه بدور الشرير الظريف في أفلام عديدة منها "شعبان تحت الصفر"

لبركات 1980 و"البداية" لصلاح أبو سيف عام 1986 أبو سيف هو الذي قدمه أولا في "الكداب"، في دور رئيس مجلس إدارة إحدى شركات القطاع العام التي تصنع النسيج، حيث أن إنتاج المصنع يتسرب إلى تجار السوق السوداء كي يبيعوه بأضعاف ثمنه الحقيقي، ويثرون على حساب الشعب الذي يبحث عن القماش الشعبي فلا يجده، وهذا الرجل يثور حول ما تنشره إحدى الصحف عن هذا التسرب، ويضغط على العاملين الذين أدليا بأقوالهما للصحفي، كي يقررا أنهما لم يصرحا بشيء، وأن كل ما كتب على لسانهما غير صحيح، ويطلب رئيس مجلس إدارة المصنع نشر تكذيب لكل ما نشر، ويرفع قضية ضد المجلة التي نشرت التحقيقات.

نحن إذا أمام واحد من أوائل الأفلام التي كشفت فساد الإدارات العليا في مؤسسات القطاع العام، فالشرير هنا هو رئيس المؤسسة جالس على مكتبه يدبر الخطط كي يسيطر على الموقف، فهو يهرب البضائع من ناحية، وهو المستفيد من وصولها إلى تجار السوق السوداء، كما أنه يجبر العاملين الذين أدليا بمعلومات إلى الصحفي أن يتراجعا عن أقوالهما.

تكررت الصورة نفسها في شخصية "رشدي بك" رئيس مجلس إدارة إحدى الشركات المسئولة عن الإسكان الشعبي، في فيلم "على من نطلق الرصاص"؛ ففي البداية نرى شخصا يطلق عليه الرصاص في مكتبه، ويهرب إلا أن سيارة تصدمه، ويتم نقل المصابين على المستشفي في عربة الإسعاف نفسها، وفي المشهد الأخير يطلب وكيل النيابة القبض على

المتهم "رشدي"، أما بقية أحداث الفيلم فهي بمثابة "فلاش باك" نعرف منها السبب الذي أطلق الشاب مصطفى الرصاص على رشدي بك في مكتبه، فوكيل النيابة يتوصل أن هذا الرجل الأنيق الذي تم إطلاق الرصاص عليه خلف مكتبه، يدير مؤسسة فاسدة، فالبنايات التي تتولى تشييدها ليست بالمواصفات المطلوبة، وعندما حاول المهندس سامي أن يكشف فساد الإدارة، فإن "رشدي بك" يتهم المهندس أنه وراء انهيار إحدى العمارات التي تتولى المؤسسة بناءها، ودفع به إلى السجن، بل زاد الأمر مأساوية حين قام رجال رشدي بدس السم للمهندس، ومات خلف الجدران حاملا سره معه، وذلك قبل أن يحاكم ويكشف الحقيقة .

وقد كشفت التحقيقات أن سامي الذي أطلق الرصاص على رشدي بك، هو صديق حميم لرئيس مجلس الإدارة الفاسد، وأنه حصل على بعض المعلومات المؤكدة حول قيام رجال رشدي بك بدس السم لصديقه في الزنزانة، وذلك من سجين سابق .

هكذا طلع جميل راتب على مشاهديه لأول مرة، بعد عودته عام **1975**، وقد كانت هذه الأدوار بمثابة سبب لتهافت المخرجين عليه، لوضعه في هذا الإطار، ليس في كل أفلامه، بل في بعضها، وقد رأيناه في دور الثري، أو رجل الأعمال، أو صاحب المنصب الكبير في أفلام مثل "بنت غير كل البنات" لكمال صلاح الدين عام **1978**، وهو هنا صاحب شركة التي يغوي خطيبة موظف يعمل في شركته، ويجعلها عشيقة له، إلا أن دور عميل الموساد الإسرائيلي في فيلم "الصعود إلى الهاوية"

لكمال الشيخ في العام نفسه، كان واحدا من الأدوار الأنسب، فهو أدمون الشرير الحرباء، والثعبان، إنه يعيش في باريس، المدينة التي عاش فيها جميل راتب نفسه، يدعي أنه عضو في منظمة عربية للسلام، وهو يقوم بتجنيد الشباب العرب المقيمين في باريس من أجل العمل في الموساد، ومنهم عبلة كامل، التي يقوم بإغرائها بالمال كي تحصل من خطيبها الضابط المصري على المزيد من المعلومات العسكرية .

الشرير هنا جاسوس، والجاسوس له دهاؤه الخاص في الإيقاع بفرائسه، فهو يستخدم الحيلة واللين، ووسائل الإقناع، والجنس، والمال، وهو كاذب يظهر أنيابه عند اللزوم، وكما أشرنا، فإن جميل راتب قد نجح في هذا النوع من الأدوار، التي هي أقرب إلى أدوار هربرت لام، فهو هنا لا يدفع الثمن، ولا يتم الخلاص منه، على طريقة الأشرار التقليديين، بل أنه يستمر في تجنيد المزيد من الشباب، خاصة طلاب الجامعة، ويحصل على المزيد من الأسرار العسكرية المهمة.

وفي العام نفسه، قام الممثل بدور أفندينا في فيلم "شفيقة ومتولي" لعلي بدرخان. وهو باشا جاءته شفيقة على طريق مقاول الأنفار الطرابيشي، وقد صور الفيلم هذا الباشا على أنه ماسوشي، يستمتع بالتعذيب والكرباج قبل أن يستمتع بالمرأة، يردد: "كلهم بيتمحلسولي وبيتندلولي، نفسي أتذل شوية"، وتحوله شفيقة أمام الجميع، الرعاع والمهرجين والقوادين والقوم إلى "قرد" يرقص "عجين الفلاحة"، "نوم العازب" وعندما يسترد وعيه، يدرك خطورة شفيقة، وخطورة ما تعرفه

عن عالم الفساد، لذا فإنه يطلق عليها الرصاص بنفسه، في نهاية الفيلم، في اللحظة التي يكاد أخوها متولي أن يطعنها دفاعا عن الشرف.

نحن، إذن أمام شخص ماسوشي يميل إلى استخدام الجنس العنيف، وهو فاسد وقاتل ودموي، وهو هنا لا يأخذ جزاءه ضمن أحداث الفيلم، بل يستمر في جرائمه .

وقد تكررت الشخصية في فيلم "شعبان تحت الصفر"، إخراج بركات عام 1980، فهو عبد الجواد الذي يدبر خطة متقنة، لتوريث أموال الغطريفي الثري إلى شاب ريفي ساذج بعيد عن الشبهات، هو شعبان، والمجرم هنا بالغ الذكاء، إنه مزور ومحتال ونصاب، ويعرف كيف يخطط للاستيلاء على المال، فالوريث الحقيقي فريد الغطريفي قد هرب من البلاد بسبب ارتكابه جريمة، ولن يعود أبدا لأن حبل المشنقة ينتظره، وعبد الجواد يعرف كيف يحيك الجريمة، فيأخذ نصف الميراث، وهو يستخدم كافة أسلحة الإغراء، حيث يدفع شريكته ناريمان لاستخدام سلاح الجنس بدافع الاستيلاء على الأموال التي راحت إلى شعبان..

هو إذن مجرم يتناسب مع هذه الفترة من الزمن أنيق وذكي، ويعرف كيف يستخدم أسلحته، وكل ما يحدث أنه في النهاية يتم القبض عليه قبل أن يتمكن من الهرب، لقد استطاع بذكائه أن يخطط للجريمة الكاملة، وأن يجعل شعبان يجلس في مكان فريد الغطريفي الذي ظهر فجأة، رغم الحكم الذي في انتظاره، والنتيجة أن شعبان هو الذي يساق إلى المحاكمة ..

في العام نفسه، جسد جميل راتب دور الشرير الشعبي، أي الذي يسكن الأحياء الشعبية، كان قد قام بدور زوج غليظ القلب في فيلم "بيت بلا حنان" لعلي عبد الخالق عام **1976**، إلا أن فيلم "دندش" ليحيى العلمي، دار الحدث حول مدبولي الذي يعمل في تزييف العملة، وهو يعرض على الأسطى مرسي أن يعمل معه، لكن هذا الأخير يرفض. مدبولي هذا مجرم مركب، فهو ليس فقط مزيف النقود، بل أنه يوهم مرسي أنه قتل أحد أعوانه، أي أحد أعوان مدبولي إثر شجار نشب بين مرسي ورجال المزور، مما يضطر مرسي إلى القبول بالعمل مع مزيف الأموال، كما أن مدبولي هذا يبلغ دندش زوجة مرسي، بحقيقة وظيفة زوجها الجديدة كمزور، ويغويها، ويقيم معها علاقة جنسية، وفي المشهد الختامي، فإن مدبولي يتشاجر مع خصمه، ويطلق عليه الرصاص .

أمام هذا النوع من المجرمين، لا توجد فتحة واحدة للتوبة، أو التراجع، وكما أشرنا فإن المجرم هنا يرتكب الشر بشكله التراكمي، فهو المزور، القاتل، الخائن، الانتهازي المخادع، لديه هدف سام بالنسبة له، وهي أن يمتلك أشياء عديدة جسد الرجل الذي خدعه أكثر من مرة، والمزيد من المال، ويستخدم الدسيسة لتحقيق مآربه.

وفي عام **1983**، عاد جميل راتب مرة أخرى إلى أدوار الشر الأنيقة، في فيلم "حب في الزنزانة" فهو الشرنوبي صاحب الشركة الذي ارتكب جريمة، والذي يحاول سكرتيره أبو الفتوح أن يجعله ينفذ من هذا العقاب بأن يقنع أحد الموظفين البسطاء الذين يعملون لديه أن يعترف أنه

هو الذي ارتكب الجريمة أي أننا أولا أمام مجرم يسعى للإفلات مما ارتكب عن طريق التزوير، وبالفعل، فإن "أبو الفتوح" يسعى إلى إغواء الموظف صلاح بأن يعده بتملك شقة، وراتب شهري أثناء سجنه لأسرته، ويعطيه عقد تمليك ورشة خراطة عقب خروجه من محبسه.

أما الجزء الثاني من شر الشرنوبي، فإنه لا ينفذ وعده لصلاح، فعندما تخرج فايزة من السجن وتطلب من صاحب الشركة أن يعطيها ما وعد به زوجها صلاح، فإن الشرنوبي يتنكر تماما للأمر، مما يدفع بصلاح إلى أن يحاول الهرب من السجن للانتقام من الرجل الذي خدعه، ويتفنن في إيجاد سبل الهروب من الشرطة، حتى يدخل عليه وهو يستحم في البانيو ويقتله.

السؤال هو: هل يستحق الشرنوبي أن يموت مقتولا، لأنه لم يدفع لصلاح ما يستحق من أموال وعقار؟

المجرم هنا أيضا يرتكب ما يمكن تسميته بالشر المركب، فهو ليس فقط مجرما يفلت من العقاب، بل أنه يخدع الموظف الذي أنقذه من السجن عدة مرات، ولا ينفذ وعده، وأعتقد أن شخصية صلاح التي تطارده ليست أقل منه شرا، فصلاح يلجأ إلى التزييف أكثر من مرة كما أنه قاتل مع سبق الإصرار والترصد.

وقد قام جميل راتب في العام نفسه بدور رجل الأعمال "علي" في فيلم "إنهم يسرقون الأرانب" لنادر جلال عام **1983**، إنه رجل له

حيثيته، وجد طريقه إلى السجن، وهناك يعيش حياة الأثرياء، ويتمتع بمعاملة خاصة. هو إذن مجرم بالغ الأناقة، نقل أسلوب حياته إلى داخل السجن، يعيش في زنزانة مكيفة الهواء بكافة المعاني، ويمارس الجريمة الأنيقة، فهو مثلما في دندش مزور للنقود، ويحتفظ في الزنزانة بخريطة متقنة للسطو على أحد البنوك، هذه الخريطة التي يقوم السجينان حامد وثابت بالعثور عليها، ويقومان بتنفيذ الخطة، إلا أنه يتم القبض عليهما كي يعودا إلى السجن مرة أخرى، حيث ينتظرهما "علي".

رجل الأعمال الأنيق هنا، لم نره يرتكب الجريمة، بل يخطط لها وهو في السجن يدفع ثمن ما ارتكبه، وقد تمت صياغة الفيلم في إطار كوميدي، وفي هذا النوع من الأفلام فإن الجرائم تكون أيضا من النوع البسيط نسبيا..

من المعروف أن فيلم "وحوش الميناء" لنيازي مصطفى عام **1980** هو الجزء الثاني من فيلم "رصيف نمرة خمسة" الذي قام المخرج بإخراجه عام **1955** وقد جسد دور الشرير في الفيلم الأول زكي رستم، حيث أدى دور الرجل الطيب المتدين الذي يهرب المخدرات في ميناء الإسكندرية، وفي الفيلم الجديد فإن المجرم هنا هو الدمنهوري الذي يعمل لدى رجل الأعمال درويش الذي يخفي جرائمه، كمهرب مخدرات، والذي يجسده جميل راتب، المجرم هنا، هو أيضا مهرب ورجل دسائس وقاتل، فهو يوعز إلى رجاله أن يدسوا بالفتاة فاطمة أن تتزوج من الصول خميس الذي كان سببا في القبض على أبيها عتريس، المقصود به مهرب

الفيلم القديم، وتحاول فاطمة الانتقام لأبيها من ناحية، وأن تنقل إلى عصابة تهريب المخدرات أسرار زوجها وابنه جندي حرس الحدود البحرية..

ولعلها المرة الأولى التي يتم فيها التخلص بالموت لإحدى الشخصيات الشريرة التي جسدها الممثل، حيث يلقى درويش حتفه عندما ينفجر الوقود في المخزن الذي توجد به المخدرات أثناء معركة مع الصول خميس وابنه من ناحية، وا لمهرب وعصابته من ناحية أخرى..

لعل أكثر أدوار الشر قسوة التي قام بها الممثل هو دور مهرب المخدرات أيضا في فيلم "الكيف" لعلي عبد الخالق عام **1985** فهو أيضا تاجر المخدرات الأنيق البالغ الثراء الذي يعرف أن جمال يقوم بتوزيع نوع من الحشيش بالغ الجودة، رغم أنه حشيش صناعي تم إعداده كيماويا عن طريق أخيه صلاح الكيماوي بإحدى الشركات، يقرر تاجر المخدرات هنا وهو زعيم عصابة كثيرة العدد، أن يضيف مواد مخدرة على هذه التركيبة، ويود معرفة مما تتركب، فيطلب من رجاله القبض على جمال، والحضور به إلى مقره في مكان فخم، يطل على نهر النيل مباشرة، ويقوم الرجال بالضغط على المهرب جمال كي يبوح بسر الخلطة الكيماوية، ويرفض جمال لأن في ذلك إيذاء لأخيه صلاح، ويستعمل رئيس العصابة هنا كافة الأساليب الوحشية لدفع الشاب أن يبوح بالسر، فهو بالإضافة إلى الضرب واللكمات، يلجأ إلى استخدام المورفين لحقنه، حتى يتحول إلى مدمن، ويتم إحضار الأخ صلاح، وتقوم العصابة باستخدام أنوا ع أخرى من وسائل التعذيب، مثل قطع الأصابع، بالإضافة

إلى رش المياه على الجروح، وقد بدا جميل راتب هنا، وهو يؤدي شخصية بالغة الشراسة خارجة عن القانون، أشبه بالثعبان الأملس، فهو لا يميل إلى الزعيق، أو التهديد بالصوت العالي، أو باستخدام وسائل تقليدية معروفة عن ممثلين آخرين قدموا مثل هذه الشخصية، وهو يستخدم أسلوبي التحذير والترغيب، كي يدفع بالأخوين إلى الاعتراف بأسرار التركيبة، وتبدو وسائل التعذيب بالغة الوحشية كلما رفض صلاح أن يعترف، وكلما سخر من زعيم العصابة، الذي يحقق مناله في النهاية .

في فيلم "البداية" لصلاح أبو سيف عام **1986**، جسد دور نبيه بيه، الديكتاتور الظريف، الذي يسعى لامتلاك كل شيء في واحة بعيدة، عن طريق الديمقراطية الزائفة.. إنه الرجل المثقف الواعي الماكر الذي يعرف كيف يلعب على مشاعر الآخرين، كاذب ومخادع ووصولي، فعندما يستقر الحال في الواحة بهذه المجموعة التي هبطت فيها الطائرة، صار عليه أن يقيم ديمقراطية، وأن يحصل على أعلى الأصوات بالخديعة والاحتيال، وأن يطلق اسمه على الواحة "نبيهاليا"، وأن يستخدم القوة الغاشمة للدفاع عنه عند اللزوم، هو الرجل الأنيق نفسه الذي يلجأ إلى كافة الأساليب المضادة للقانون، وهو شخص لا منفذ إنساني إليه، فهو يخدع النساء بالكلام المعسول ليحصل من كل واحدة على ما يريده منها بطريقته الخاصة، وهو يولد الكراهية من حوله، فهو أناني يحب اسمه، ونموذج للديكتاتور يحب المنصب والبقاء فيها، ويحب لرعيته أن يثملتوه، وفي النهاية فإنه الوحيد الذي يبقى في الواحة، ليكون إمبراطورا في مكان يخلو من البشر، وإن كان مليئا بالبلح.

في العام نفسه قدم جميل راتب دور الشرير، صاحب المكانة السياسية والاجتماعية في فيلم "ابنتي والذئاب" إخراج حسن الصيفي، هو أيضا زعيم عصابة لتهريب المخدرات لا يقوم فقط بالتهريب، بل يتسبب في حبس حسن زميله في شركة الأدوية التي يمتلكها، وهو عاشق لزوجة سعيد ويحاول إغواء سها ابنة سعيد.. إذن فهو يعمل في المخدرات وتصديرها إلى السوق، وهو كما نرى مجرم متعدد الزوايا ..

تجددت صورة الشرير الأنيق في فيلم "نوارة والوحش" لبركات عام **1980** فهو أحد ملاك الأرض، يسعى للاستحواذ على أكبر قدر من الأرض والنفوذ، ويدور الصراع بين طاهر بك، وبين كاملة هانم التي يطمع في أرضها، والمجرم هنا يستخدم كافة أساليبه من أجل الحصول على ما يريد، فهو يرسل رجاله لقتل ماشية كاملة بالسم، كما يقوم بإرسال رجاله إلى قسم الشرطة لاقتحامه، وتخليص أحد رجاله الأشداء، كما أنه رجل حسني، فهو يسعى لامتلاك جسد الراقصة الغجرية نوارة، أي أننا أمام رجل مزدوج الشكل الاجتماعي، فهو في الواجهة رجل وقور ثري، يحظى باحترام الجميع، أما الوجه الثاني، فهو شرير يرتكب كافة ألوان الشر المتاحة له لتنفيذ مراده، وهي صورة كما نرى تقليدية للغاية وضع فيها الممثل من فيلم لآخر.

في عام **1988** أدى جميل راتب الدور نفسه في فيلم "حالة تلبس" إخراج بركات، ثم "الدرجة الثالثة" لشريف عرفة، فهو في هذا الفيلم الأخير، هو عوف رئيس النادي الذي يستولي على ميزانية النادي، بالتعاون مع بقية أعضاء مجلس الإدارة، وهو في سبيله لبناء مقصورة

فخمة من أجل أعضاء المجلس، ويدفع جمهور الكادحين ثمن تلك الرفاهية التي يعيش بها الكبار، ويسعى عوف إلى استقطاب سرور أهم المشجعين البسطاء، فيما بعد يفكر في خطة للتخلص من سرور عن طريق نسف مدرجات الدرجة الثالثة ليظل الملعب حكرا على الكبار فقط.

الجدير بالذكر، رغم أن جميل راتب المولود عام **1926** تقدم في السن، فإن هذه الأدوار ظلت تطارده، ولم يتوقف عن أدائها، بدرجات مختلفة، فهو في فيلم "البلدوزر" لحسام الدين مصطفي الزوج العجوز الذي هربت زوجته مع صديقها الشاب فيدفع رجاله إلى إحضار الاثنين معا إلى مزرعته، ويذيقهما العذاب، وينتقم منهما شر انتقام، وقد أدى هذا الدور أنتوني كوين في فيلم أمريكي قبل سنوات.

ولعل من أهم وأطرف أدواره في الفترة الأخيرة، هو دوره في "طيور الظلام" لشريف عرفه عام **1995** فهو هنا الوزير رشدي البالغ الذكاء الذي يعرف جيدا ما يريد، حيث يستعين بمحام شاب شديد المهارة، ليجعله مديرا لمكتبه، هذا الوزير – المكيافيلي – يحاول الاحتفاظ بمنصبه، بأي ثمن، فهو يستعين بفتحي المحامي، كي يخطط له حملته الانتخابية في إحدى القرى، وهو فيما بعد يصبح عشيقا لامرأة كانت فيما قبل فتاة ليل، ثم صارت عشيقة لفتحي، وسيدة أعمال، وحرصا على اسمه فإن الوزير يتزوج عرفيا من المرأة التي تكشف سره عن طريق الخطأ..

إذن، فجميل راتب، كان أداة جيدة لدى المخرجين لأداء هذه الأدوار على طريقته الخاصة دائما أكثر مما هو على طريقة المجرمين، ففي

أغلب الأحيان فإن المشاهد يرى الممثل جميل راتب أمامه بنفس النبرة الصوتية وملامح الوجه، والشارب الكثيف، ونطق الكلمات. وأيضا بالملامح نفسها: البدلة الأنيقة، والشعر المعتنى به جيدا، وقد استطاع الممثل أن يصبغ أغلب هذه الشخصيات بطابعه هو. ولعل تلك عبقرية خاصة بشخصه، يعكس أن جميل راتب كان في حاجة أن يعيش أطول زمن المخرجين العظام مثل عز الدين ذو الفقار، وكمال الشيخ، وصلاح أبو سيف. وقد استفاد منه هذان الأخيران بشكل ملحوظ في أعمالهما.

فاروق الفيشاوي

كل هذه الأقنعة شريرة

فاروق الفيشاوي، هو أغزر أبناء جيله من النجوم الذين ظهروا في السينما طوال العقدين الأخيرين من القرن العشرين.

وقد أتاح هذا للممثل أن تتنوع أدواره، والشخصيات التي قام بأدائها في هذا الكم الكبير من الأفلام، ومن المعروف أن الفيشاوي قد ظهر في أدوار صغيرة في بداياته، خاصة في أواخر السبعينات إلا أن المسيرة الحقيقية للفنان قد بدأت مع بداية الثمانينات، ففي عام **1980** قام بالاشتراك في ثلاثة أفلام جسد فيه جميعا دور الشرير أو الخارج على القانون، ابتداء من "غاوي مشاكل"، ثم "الباطنية"، و"عذاب الحب"

هي ثلاثة أدوار متنوعة، لكننا أمام شرير جديد يفد إلى السينما، مع عقد آخر من عمرها، ففي "غاوي مشاكل" لمحمد عبد العزيز، فهو يقوم بدور قريب الزوج الراحل الذي تلجأ إليه عزة، مع أنه أخوها، وذلك طمعا في ميراث الزوج الراحل، وتنطلي الحيلة على أم الزوج، أما القريب الذي يجسده الفيشاوي، فإنه يتقدم للزواج من عزة بهدف الاستيلاء أيضا على الميراث .

هو وغد في المقام الأول، أما فتحي في "الباطنية" لحسام الدين مصطفى، فهو ابن عميد تاجر المخدرات العقاد في حي الإتجار بالمخدرات الشهيرة، وفتحي هذا تخلى عن وردة، صاحبة المقهى التي عشقته، فلما حملت منه سلبها ابنها، وادعى أنه مات، وقام بتربيته في دار العقاد، ثم يتزوج من امرأة أخرى، وينسب إليها بنوة الطفل، وهذا الرجل هو تاجر مخدرات وزعيم عصابة، فهو ينافس عصابات أخرى في الإتجار، والمال، ويستخدم السلاح، وقد فتح هذا الدور أبوابا كثيرة للممثل أن ينوع من أدواره كما سنرى، وخاصة بالنسبة لعالم الشر.

لعل أبرز هذه الأدوار هو سرسق في فيلم "مرزوق" لسعد عرفه عام **1983**، وهو نصاب فقير يسكن في حي شعبي، يرمي بشباكه على الشحاذة الجميلة مرزوقة، ابنة الشحاذ الشرير برعي، ويتفق مع الفتاة على سرقة الأموال التي جمعها أبوها من الشحاذة، ثم يهرب بالثروة وحده، ويختفي من حياتها.

سرسق، يستفيد من الأموال المسروقة كي يتحول إلى رجل أعمال في الإسكندرية، ويتزوج من فتاة ثرية، أما مرزوقة فإنها تضطر للعودة لأبيها، دون أن تتوقف في البحث عن الرجل الذي خدعها إلى أن تعثر عليه، يبدو شخصا مختلفا، غيرته الأموال، وينكر بشدة أصله، وأنه سرسق ثم يبدأ في مساومة مرزوق مقابل مبلغ رمزي، أما الأب الشحاذ برعي، فإنه ينجح في اختطاف سرسق، وحبسه في إحدى المقابر لإرغامه على إعادته النقود، يتم القبض على الرجلين، وفي المحكمة ينكر سرسق

معرفة برعي وابنته، لأنه رجل أعمال، وأمام إصراره على موقفه، فإن مرزوقة تحسم الموقف بطعنه بالسكين..

فاروق الفيشاوي، إذن، هو شرير مودرن، وإن كان تقليديا، كأن يكون مهرب مخدرات، أو رجل أعمال صعد من القاع، وهو لم يسقط في فخ الأدوار الشريرة، بل – كما أشرنا – كان مهتم بتنوع أدواره، ففي فيلم "غدا سأنتقم" لأحمد يحيى في نفس العام، سنراه يقوم بدور الزوج الوغد، فمدحت يعيش سعيدا مع زوجته حنان حيث تساعد المرأة زوجها في أعماله لبناء مستقبله، وفي أثناء عودهما من سهرة بمناسبة الاحتفال بأول عمل له في تنفيذ ديكور مترل أحد الأثرياء، يصدم مدحت بائعا متجولا، ويقتله بالخطأ، وفي قسم الشرطة تعترف الزوجة أها هي التي كانت تقود السيارة حتى تدخل السجن، وتتيح لزوجها أن يستكمل مشاريعه، ويُحكم عليها بالسجن ثلاث سنوات.

وفي أثناء غياب الزوجة، يتعرف مدحت على صافيناز زوجة الثري، وهنا تبدأ الجريمة الثانية، فصافيناز تخون زوجها مع مدحت، مما يؤدي إلى وفاته، ويتزوجها ويطلق حنان التي ضحت بنفسها من أجله، أي أنه مجرم وغد، خاصة أنه طلق حنان التي أنجبت له طفلا.. لذا، فإن هذه تقرر الانتقام منه عقب خروجها من السجن، لقد أصبح الآن من كبار رجال الأعمال – مثلما حدث مع "مرزوقة" – فتكيد حنان له، في جريمة قتل زوجته، بعد أن تلحق به خسائر كبيرة، ويحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما..

والمشهد النهائي من الفيلم يتمثل في ذهاب حنان لزيارة مدحت في السجن وإخباره أنها كانت وراء إدخاله السجن..

في العام نفسه أيضا، قدم دور الوغد الذي يخدع إحدى بنات الليل، إنه يحبها، وذلك في فيلم "درب الهوى" لحسام الدين مصطفى، فالموظف مراد يتردد على الماخور، ومن أجل أن يمارس الجنس مجانا، فإنه يوهم سميحة أنه يحبها وسوف يتزوجها، وسميحة هي الفتاة التي هربت من منزلها الريفي بسبب سوء معاملة زوج أمها، والمرأة تصدقه، وتتمنى لو أنقذها من البيت بحثا عن عالم نقي، لكن عند اللزوم، فإن مراد يهرب، ويخرج من حياتها..

في عام **1984** ظهر فاروق الفيشاوي في إثنى عشر فيلما، مما يعكس تواجده، وأيضا تنوع أدواره، وقد لعب دور الوغد مجددا في بعض هذه الأفلام مثل: "الشيطان يغني"، و"لا تسألني من أنا"، و"الأرملة والشيطان".

ففي هذا الفيلم الأخير الذي أخرجه بركات، يقوم الفيشاوي بدور سائق سيارة تعطف عليه الأرملة الثرية حنان التي ترفض الزواج مرة أخرى بعد رحيل زوجها، وتعطف على مخدومتها وأيضا على لبنى التي تعمل في محل خياطة، وتمنحها حجرة بحديقة الفيلا كي تقيم بها مع زوجها السائق، هذا الرجل الذي يتسلل إلى المرأة، ويرمي بشباكه حولها، تكتشف لبنى العلاقة التي تولدت بين حنان وزوجها، وتقع مشاجرة تنتهي بموت الزوجة، ويشترك العاشقان في إخفاء الجثة.

عاطف هنا خائن وقاتل ووغد ووصولي، هو مجرم مركب، ويعيش في كنف الأرملة التي يتزوجها، وتصل خطابات تهديد ومكالمات هاتفية لحنان لابتزاز مبالغ كبيرة من أموالها إلى أن تكتشف أن لبنى مازالت حية وتعيش في شقة مع زوجها مما يضاعف شكل المجرم هنا، بصفة الخداع، ويتم القبض عليه.

ولعل شكل المجرم في فيلم "الخونة" إخراج وصفي درويش قد تشابه مع الدور السابق، فقرر أن يخدع عشيقته بهيرة بعد وفاة زوجها، ويسرق ثروتها، وقبل أن يغادر الشقة يسرق حقيبة النقود، أي أننا أمام لص وخائن وهو مراوغ يلجأ فيما بعد لاقتسام الأموال المسروقة مع مسعد الذي اعترضه وتشابك معه.

وفي فيلم "الشيطان يغني" ليس إسماعيل يس، يقوم بدور الشاب عماد الذي يطارد المؤلف المشهور عصام، ويوهمه أن بينهما قوة خفية، حيث أنه هو الذي يلهمه أفكاره ومؤلفاته، إنه يطلب حقه الأدبي والمعنوي منه، مما يتسبب في إصابة المؤلف بحالة نفسية توقفه عن الكتابة..

هذا نوع جديد من الأشرار، إنه استلاب فكري له جذوره العلمية، وهو موضوع به شبهة الاقتباس من أفلام أمريكية مشابهة، ففي الإسكندرية يتصل عماد بالمؤلف، ويقدم له بعض الأدلة التي تثبت التخاطر الذهني بينهما، مما يؤكد أنه هو مؤلف جميع الأعمال التي نشرها عصام، وكانت سببا في شهرته.

وبعد أن يموت عصام تثبت التحقيقات أن عماد كان على علاقة بكاريمان زوجة المؤلف، وأنها فعلت ذلك انتقاما من أمها التي قتلت أبيها، لذا قامت باستغلال خطيبها عماد، وكانت تمده بجميع المعلومات الخاصة عن مؤلفات زوجها.

كما قام فاروق الفيشاوي بدور الوغد الذي يرسم العواطف على فتاة غنية وارثة في فيلم "لا تسألني من أنا" لأشرف فهمي، فهو واحد من أقارب شريفة هانم، ومن أجل الاستيلاء على الميراث يقوم الشاب برسم العواطف حول خطيبته، إلى أن يتم اكتشاف الحقيقة فتلفظه زينب، وترمي له بدلته كي تبدأ حياة جديدة مع أسرتها الحقيقية، بعد أن اكتشفت أنها ابنة الخادمة عائشة، وليس شريفة هانم.

قام فاروق الفيشاوي بأدوار البطولة في ثلاثة عشر فيلما عام 1985 وفي أغلب الأفلام لعب دور العاشق أو الشاب الشهم الشجاع، وأحيانا المغامر، وأيضا المنتقم مثلما حدث في فيلم "الأوغاد" لأحمد النحاس، فهو سائق سيارة أجرة، يعيش سعيدا مع زوجته إلى أن يتم القبض عليه بتهمة إصابة الشاب مدحت وسرقة عشرين ألف جنيها. إذن فنحن أمام مواطن طيب، هو محمود الذي لن يلبث أن يتحول إلى منتقم يحاول الحصول على اعتراف من مجموعة شباب ببراءته، لكنهم يعاملونه بعنف لدرجة إحراق السيارة، فيختفي في المقابر، ثم يتخفى في عدة هيئات، ويبدأ في مطاردة الشباب الواحد تلو الآخر، ويصبح مطاردا من

ضابط المباحث كمال، ويتسبب عن طريق الخطأ في قتل بعض الشباب الذين يطاردهم.

وقد أسند إليه يس إسماعيل يس في العام نفسه بطولة فيلم من نوعية الفنتازيا في "بصمات فوق الماء"، فهو رمزي المحامي الذي يعيش في سعادة مع زوجته سلوى وابنتهما مروة، وهو شخص مليء بالقسوة تجاه أخته بسيمة، فيرفض أن يمنحها نصيبها من الميراث عقابا لها على زواجها من كلاف يعمل بأرضهم قتل أباه دون رضاه. ويبدو الممثل هنا، جامد الوجه والعواطف، وهو يجسد الشخصية، وتنتحر الأخت، ويبدأ شبحها في الظهور في حياة رمزي، مما يثير الرعب من حوله، لدرجة أن الابنة تموت من جراء مطاردة الشبح، أما الزوجة سلوى فتكاد تكون على شفا الجنون من غموض الأحداث والرعب الذي يسببه الشبح، وفي النهاية يكتشف أن أخته لم تمت، وأنها أوهمته بذلك حتى تنتقم منه.

وإذا كان صادق في فيلم "نأسف لهذا الخطأ" لمحسن سيف الدين، قد هجر حبيبته ابنة جارته كي يقترن بـــ "علا" ابنة المحامي الكبير الذي يعمل عنده، فإنه لن يلبث أن يدفع الثمن، فالمرأة التي تزوجها لعوب، ولا تستطيع أن تعيش مع رجل من طبقته، ويحاول أن يظهر في حياة عروسه القديمة مرة أخرى، ويفسد عليها حياتها إلى أن يكتشف زوج الفتاة الأمر، فيطلقها.

ليس هذا بدور الشرير، إلا أن الفيشاوي كان يؤدي مثل هذه الأدوار بين وقت وآخر، ففي فيلم "الأنثى" لحسين الوكيل، فإن الأخ

عطوة يخون أخاه سالم مع زوجته أثناء سفر الأخ بعيدا عن مدينة بورسعيد، وعندما يعرف سالم بالأمر فإنه يشتبك معه، ويقع سالم أثناء الشجار من أعلى البناية ويموت، ثم يطارد عطوة زوجة أخيه دلال، ويقتلها في يخت الثري فكري الذي يبلغ الشرطة..

إنه الشر المركب وصراع قابيل وهابيل الأزلي ففي فيلم "السكاكيني" لحسام الدين مصطفى يقوم الفيشاوي بدور سمير طالب الطب الذي يقع في غرام الغانية بسبوسة، إنه يحاول معالجتها من الإدمان، ويقترض من أجل ذلك مبلغا من المال، وسمير يسرق المال الذي في عهدة أخيه دون أن تتسرب الشكوك إليه، يصاب سمير بطلق ناري، وقبل أن يلفظ أنفاسه يعترف بأنه هو والمعلم جميل قاما بالسرقة

وقد أسند علي عبد الخالق دورا مشابها في فيلم "الحناكيش" فهو عصام ابن الثري طاهر سليمان، الذي يعود مع ولديه عصام وعمر من الخارج، ويطلع ولديه على سر دفنه في حديقة الفيلا التي كان يمتلكها قبل نفيه لخزينة مليئة بالمجوهرات وسبائك الذهب.

مهمة عصام هي أن يغازل الشغالة عواطف، وأن يبلغها، لكن عصام يقع بالفعل في غرام عواطف ويطلعها على الخطة، ويتفق الاثنان على الزواج بعد إنهاء العملية، وتنجح عملية نقل الكنز، أثناء حفل زفاف صاحب الفيلا، وأثناء الهروب يقوم طاهر بقتل عواطف، ويلحق به ابنه عصام في الميناء، حيث يموت طاهر أسفل السيارة التي تحمل شحنة الذهب.

وفي فيلم "القرداتي" لنيازي مصطفى، عاد الفيشاوي مجددا لهذا النوع من الأدوار، فهو اللص الشاب فتوح الذي يخرج من السجن، فيعود إلى حياة النصب والاحتيال، وعندما يطارده رجال الشرطة يبحث عن مكان أمين يختفي فيه، ولا يجد سوى حي القرادتية، وأن يلجأ إلى صديقه القديم بيومي الذي تعرف عليه في السجن، فيأخذ منه القرد سمسم، ويستخدم القرد في عمليات السرقة من البيوت، ويلم فتوح الكثير من المال، ويصبح رجل أعمال، مثلما سبق أن رأينا في "مرزوقة"، حيث يخدع سنية ابنة صديقه بيومي، ويعتدي عليها، ومثلما خرجت مرزوقة للبحث عن سرسق، فإن سنية تخرج للبحث عن فتوح، وهو أيضا يتهرب منها، ويشعر فتوح بالخطر يقترب منه عندما تتوصل الشرطة إلى القرد، فيقرر أن يتخلص منه، ومثلما طعنت مرزوقة حبيبها الخائن، فإن سنية تطعن فتوح لكنه هنا لا يموت..

ورغم أن دوره قصير في فيلم "المرأة الحديدية" لعبد اللطيف زكي، وأنه يموت بين ذراعي حبيبته أثناء شهر العسل، فإن حسن العائد من أوروبا تبدو أموره المالية وقد تحسنت، وبدت عليه مظاهر الثراء، ونفهم أنه قد عمل في بعض الأعمال المالية القذرة، لذا قرر خصومه التخلص منه، كي تفهم أرملته بعد ذلك أنه كان خارجا على القانون.

في عام **1989** كان فاروق الفيشاي هو واحد من ثلاثة شبان، يطاردون فتاة اسمها عفاف تخرج من عملها ليلا لتذهب إلى حفل زفاف أخيها، فيلاحقها الشباب، بعد أن لعبت بعقولهم الخمر، تقاوم عفاف،

لكن لا أحد يشفق عليها أو يصدقها، ممن تحاول اللجوء إليهم، تتمكن عفاف من الهروب إلى المزارع، وتستمر المطاردة، تصل إلى بيت منعزل يعيش فيه رجل مسن وزوجته، لكن الشبان يلاحقوها، وينتحل ممدوح شخصية أخيها، ويدعي أنها هربت ليلة الزفاف إلا أنها تتمكن من الهرب من نافذة الحمام، وفيما يبدو، وفيما بعد، فإن ممدوح يتعاطف معها، ويبدأ في التطهر ويدخل في معركة دامية مع زميليه تنتهي بمصرع الثلاثة معا..

وقد قام بدور الإرهابي لأول مرة في الفيلم الذي أخرجه نادر جلال باسم "الإرهاب" فهو رجل بالغ الذكاء، إنه زعيم الإرهابيين، تسعى الصحفية عصمت للتعرف عليه عن قرب بعد نشر صورته في إحدى الصحف المنافسة، وتعرف أنه ليس إرهابيا، يأخذها إلى بيته حيث تعيش أمه وابنته الطفلة مريضة القلب، يقنعها بأنه ضحية، وليس إرهابيا. تحاول الصحفية أن تخفيه عن أعين الشرطة، وبالتالي فإنها تصبح مطاردة من البوليس، وتسعى لتهريبه إلى خارج البلاد، يعهد عمر لعصمت أن تحمل هدية صغيرة إلى صديق له بالخارج. لكنها قنابل ناسفة، لكي تنفجر الطائرة التي تقلها إلى بلد عربي. وأخيرا تقوم عصمت بقتل الإنسان الذي أحبته أثناء معركة بينه وبين الشرطة..

وف فيلم "المرشد" لإبراهيم الموجي نراه ضابطا يحاول استغلال أحد الشباب لمراقبة زوجته السابقة، إنه رجل يستغل منصبه للضغط على مواطن بريء، ويحاول الضابط شريف تضييق الخناق على الشاب نفسه، ويهدده بالكشف عن كافة جرائمه السابقة، مما يدفع بالمرشد هذا إلى

محاولة الانتقام من الضابط، وذلك لصالح مباراة مصارعة سيكون اللاعب الرئيسي فيها شقيقا للضابط.

وقد عاد الفيشاوي إلى دور المنتقم مرة أخرى عام 1990 في "الخادم" لأحمد يحيى، فهو محمود الذي يسعى للانتقام لأبيه الذي دخل السجن بواسطة صديقه شاهين. هذا الأخير يقوم بتربية محمود بناءً على وعد منه لصديقه المسجون، لكنه يلحقه للعمل لديه كسائق، ورغم هذا، فإن محمود يدرس حتى يتخرج من كلية الحقوق، وعندما يعرف الشاب أن أباه بريء، وأن شاهين كان سببا لدخوله السجن، يكون انتقامه من خلال أبناء شاهين، فيقيم علاقة جنسية مع مي الابنة التي تعيش مع زوج عاجز جنسيا، ثم يدفع أخاها علاء لإدمان المخدرات، ويكون شركة لتوظيف الأموال مع صديقه مغاوري، ليواصل تدمير أسرة شاهين .

الانتقام هنا هو تحقيق العدالة بعيدا عن رجال الشرطة، أو العدل، وهو يتم بشكل يدمر الآخرين، بنفس الأسلوب الذي عاني منه محمود وأبوه، فشاهين في نهاية الأحداث يصاب بالشلل بعد أن فقد أمواله.

أطرف ما في فيلم "اللص" لسعد عرفه، أن المخرج عاد مرة ثانية لجعل المجرم يسمى "سرسق"، وهو هنا ليس الفيشاوي، بل وحيد سيف، أما عمر فهو لص يسرق حقيبة بها مليون جنيه، ويحتفظ بالمبلغ ليقيم مشروعا تجاريا، فكرة مكررة تماما، ويحدث أن يعرض عمر على شريكه اللص سرسق أن يتنازل له عن زوجته مقابل ثلثي المبلغ المسروق

إنه عالم اللصوص المستوحى من حادثة حقيقية، فاللص سرق مبلغا مشبوها، لم يجرؤ صاحبه على الإبلاغ عنه، ولأنه مبلغ مسروق، فإن اللص لا يهمه أن يبدد المبلغ مقابل حصوله على زوجة شريكه، وبعد كل هذه السرقات والمواقف الإجرامية، يسلم اللص المبلغ للشرطة .

في "انفجار" لسعيد محمد مرزوق عاد الفيشاوي ليؤدي دور الإرهابي في فيلم "انفجار" إنه هنا يصل إلى مصر حاملا حقيبة متفجرات عليه أن يدمرها، أو أن يفتدي بالعملية الجديدة مجموعة من زملائه المحبوسين، وهو يتوجه إلى مجمع التحرير لتفجير الحقيبة، وعندما يستشعر الخطر، يستبدل حقيقة المتفجرات التي يحملها بحقيبة أخرى يحملها مواطن عادي دون أن يدري سوف يذهب بعد ذلك حاملا الحقيبة إلى مباراة كرة قدم .

وفي العام نفسه أيضا مارس حسن جريمة التصنت على المكالمات الهاتفية مع خطيبته توحيدة في فيلم "السقوط" لعادل العصر، فهما يعملان كموظفين صغيرين في هيئة التليفونات، إنهما يسجلان بعض المكالمات، ويهددان بها أصحابها، ثم يبلغان الشرطة، ويحققان من وراء ذلك ثروة تحقق لهما حلم الحياة بالزواج .

وبعد الاقتران، تطلب المرأة من حسن أن يكفا عن هذه العمليات، إلا أن الزوج يتابع مكالمات شخصيات ثرية تلعب في الممنوع، ويطالب بمليون جنيه ثمنا لسكوته، وبعد أن يحصل على المبلغ، يدفع الثمن حين تموت زوجته إثر طعنة داخل البنك .

في عام 1992 كان الفيشاوي قد بدأ يقلل من أدوار الشر، بل من ظهوره السينمائي، ويكثف عمله في التلفزيون والمسرح، وفي "غرام وانتقام بالساطور" لمحمد شبل، قام فتحي البائع في أحد المحلات بقتل زوجته فتحية بعد أن استدرجها إلى القناطر الخيرية، وهو الذي تزوجها طمعا في ثروتها، وبعد جريمته يتزوج من ماجدة التي يحبها بعد أن أغراها بأموال فتحية، هو هنا قاتل، ومخادع، وخائن، لذا فإن زوجته تظهر له في أكثر من مكان، وتنغص عليه حياته، وقد ارتدت أقنعة لبث الرعب في قلبه.

وفي فيلم "الفضيحة" لفاروق الرشيدي، كرر الفيشاوي أداء شخصية الشاب العاطل الذي يسرق حقيبة نقود من موظف عجوز، ويصبح من كبار الأثرياء، ومحسن هذا يرمي بشباكه على زوجة جاره كامل فيبهرها بثرائه وهداياه، فتستسلم له وتقع في هوة الخيانة الزوجية..

هو لص، وخائن، ولا يفي بالعهد، فبعد أن يتم طلاق عشيقته أمينة من زوجها محسن يتهرب منها ويقترن بامرأة ثرية، ومثل كل الأفلام السابق الإشارة إليها، فإن مصير هذا الشخص هو الموت بشكل بشع.

كما أن مدحت السباعي أسند له دور واحد من ثلاثة أصدقاء يلتقطون فتاة من طريق العجمي ويحاولون اغتصابها، لكنها تموت من هول الصدمة، فيلقون بها في البحر، وتمر السنوات ويلتقون مجددا بعد أن صار لكل منهم مكانة في المجتمع، لكن لا يزال شبح القتيلة يطاردهم، فرغم

مكانتهم فإن بذرة الفساد القديمة لا تزال تطاردهم وتدب الخلافات بينهم فيلقى اثنان منهم مصرعهما برصاص الثالث الذي يصاب بالجنون.

وكما هو ملاحظ فإن قائمة الأفلام التي جسد فيها الفيشاوي دور الشرير طويلة، ويرجع ذلك إلى ما يتسم به من تكوين جسماني وموهبة، وأيضا لتواجده المكثف في الأعمال الفنية، مما جعله يكرر الأدوار التي قام بها، خاصة في مجال الجريمة والشر، ففي فيلم "الجاسوسة حكمت فهمي" لحسام الدين مصطفى عام **1994** قام بدور الجاسوس الألماني جون إيلر، الذي رمى بشباكه حول الراقصة حكم فهمي، وأهمها أنه شاب مصري يدرس في ألمانيا حين التقته هناك، ثم يأتي إلى القاهرة، ويساعدها في العمل في الملاهي، ويحاول التعرف من خلالها على أسرار الإنجليز والمصريين، إلى أن يتم اكتشاف أمره.

ومن دور الجاسوس إلى القواد الكبير في "رغبات" لكريم ضياء الدين، فهو يقدم نفسه إلى هدى على أنه رسام يُدعى باهر، ما تلبث أن تصير عشيقته رغم أنها أم متزوجة، ثم يجلبها إلى قصره الساحر الذي يديره للمتعة، ويجعلها تتصور أنها ملكة القصر المتوجة، ثم لا تلبث أن تصبح عاهرة مثل الأخريات، فالبيت مليء بالبغايا، وهو رجل سادي عنيف لا تستطيع هدى الفكاك منه، حتى وإن حاولت، فما لبث أن لحق بها أعوانه وكلابه لإعادتها حين حاولت الهروب من القصر، ويحبسها في حجرتها كنوع من العقاب.

وبنفس الملامح، جسد الفيشاوي دور البلطجي في فيلم "رجل له ماضي" لأحمد يس عام 2000 فهو يعرف أن شاكر العجوز قد عاد من ألمانيا، ويبحث عن ابنته كي يعطيها ميراثها قبل أن يموت، ويقوم البلطجي بإقناع الراقصة منال أن تقوم بدور الابنة المفقودة، وذلك بهدف الاستيلاء على الأموال، ويدخل الاثنان حياة الثري العائد الذي ينتظر الموت، ويكاد البلطجي أن يحصل على مراده، لولا أن منال تعترف لشاكر بالحقيقة..

رحلة طويلة من أدوار الشر، وكما أشرنا هنا، فإن كل هذه الأقنعة تبدو متشابهة تماما، بالنسبة لفاروق الفيشاوي.

حاتم ذو الفقار

رمز رجال الأعمال الفاسدين

لم يثر ممثل الكثير من الجدل في حياته الفنية والخاصة، مثلما حدث مع حاتم ذو الفقار، فهو واحد من الممثلين الذين انتقلت أخبارهم بسرعة من الصفحات الفنية إلى صفحات الحوادث، وقد أتاح بذلك الفرصة لمحرري صفحات الحوادث الكتابة عنه بمساحات متباينة، وأتاح أيضا للقارئ والمتفرج أن يعيد النظر إلى أعماله.

وما يهمنا في هذا النوع من الكتابة، هو الابتعاد عن الحياة الخاصة للفنان، والتوقف عند أدواره السينمائية، فهي التي سوف تبقى معه لسنوات طويلة، فحاتم ذو الفقار هو أحد الذين جسدوا أدوار رجال العدالة، والخارجين عن القانون بالكفاءة نفسها، وظل يتنقل بين هذه الأدوار طوال حياته الفنية، كما أنه أحد الذين عملوا بكثرة في أفلام المقاولات، وهي أعمال أقل أهمية، وقد اتسمت أدواره فيها بالسطحية، مما يتنافى مع البدايات التي رأيناه فيها يتعامل مع مخرجين يجيدون إدارة الممثل، خاصة سمير سيف.

في أدواره الأولى، لفت حاتم الأنظار إليه بشاربه الكثيف وطوله الملحوظ غير الفارع، وشعره الناعم الذي يجعل المخرجين يسندون إليه

أدوار الشاب الطيار في "حكمت المحكمة" لأحمد يحيى عام 1981، أو دور الطبيب الذي يموت في حادث سيارة في بداية فيلم "الإنسان يعيش مرة واحدة" في العام نفسه..

وقد ظل حاتم يقوم غالبا بأدوار ابن الذوات، أو الشاب العصري الذي تلقى تعليمه بصرف النظر عن كون هذه الأدوار ضد العدالة، أو معها، فهو ابن فهمي الكاشف في فيلم "الغول" لسمير سيف عام 1983، وفي العام نفسه هو أيضا ابن الذوات، أصحاب الأراضي الزراعية الذي يمتلك أرضا ويحاول شراء المزيد من الفلاحة مستورة أثناء غياب زوجها عنتر في فيلم "عنتر شايل سيفه" إخراج أحمد السبعاوي..

فنشأت الكاشف هو مركز الأحداث في فيلم "الغول" أبوه واحد من كبار رجال الأعمال يتصرف بعبث، ولا مسئولية، وهو تستهويه فتاة في البار، يحاول أن يغويها، ويأخذ هذه الفتاة نادية معه إلى الشقة يصحبها عامل البار، وأمام رفضها وهروبها، فإن نشأت يطارد عامل البار، ويدهسه بالسيارة ويقتله، ويصبح أمام الصحفي عادل أن يكشف حقيقة الجريمة التي تسعى أطرف عديدة لإخفائها، وأمام سطوة رأس المال، يبدو نشأت الابن المدلل الذي على أبيه أن يحميه مهما ارتكب، وبالفعل فإن القاضي يعلن براءته..

نشأت هنا، مثل الكثير من الشباب الذين تحميهم أموال آبائهم، وقد تكرر ظهور شبيه له في أفلام عديدة مثل "ضربة معلم" لعاطف الطيب عام 1987، و"واحد من الناس" لأحمد جلال عام 2006، فهو

نزق وشهواني ويعتمد على سطوة أبيه، ولا يعرف التراجع، كما أنه ينتصر في النهاية..

وبدا حاتم ذو الفقار كأن السينما وجدت فيه شرير السينما الجديد في الثمانينات، فأسند إليه السبعاوي دورا مشابها تماما في فيلم "عنتر شايل سيفه"، إنه مدحت الذي يود الاستيلاء على عقد أرض تملكها فلاحة أثناء غياب زوجها بعقد مزور، وهو لا يكتفي بالاستيلاء على الأرض، بل يسعى أيضا لاعتلاء جسد المرأة، وتبدو مستورة امرأة قوية تهاجم وتدافع عن نفسها، ولا تستسلم بسهولة رغم المحاولات المضنية لأخيها الذي يدافع عنها..

وهذا الميسور الأرعن هنا، لا يأخذ جزاءه القانوني، وكل ما يحدث هنا، أن يعود عنتر إلى وطنه عائدا من ايطاليا، بعد أن شارك في التمثيل في أفلام إباحية، دون أن يدري، وبعد التجربة الفاشلة يقرر عنتر البقاء في القرية..

إنه نوع جديد من المجرمين ظهر في العقد التاسع من القرن الماضي، لا يلقى جزاءه الحاسم، بل هو يستمر في ممارسة جرائمه، وإن كان هذا لا يمنع أن يتم القبض عليه أحيانا، فابتداء من عام **1984** استطاع حاتم أن ينتقل أحيانا إلى أدوار الطيبة، مثل دور الضابط في "التخشيبة" لعاطف الطيب، ثم دوره المهم في "بيت القاضى" فهو حسن الذي أصيب في الحرب، وصار فتوة في زمن الانفتاح.

لكن حاتم عاد مرة أخرى إلى أدوار الشر، أو ما شابه في فيلم "الحلال والحرام" إخراج سيد سيف عام **1985**، وكان قد قام بدور أحد شباب الشلة التي تسخر من الدكتور طلبة الذي ترك أسرته وانطلق إلى الإسكندرية وراء الفتاة العابثة نانا في فيلم "عشرة على عشرة" إخراج محمد عبد العزيز..

فيلم "الحلال والحرام" مأخوذ عن الفيلم الأمريكي "الجانب الآخر من منتصف الليل" إخراج تشارلز جاردت عام **1977**، وفيه جسد جون بيك دور ضابط صغير يغوى حبيبته، ثم يتخلى عنها، أما في الفيلم العربى فإن هذا الضابط صار سائقا يدعى خليل، يعمل لدى صاحب المصنع رجل الأعمال صفوت، وتتورط معه سهام، فتهرب كي تعود امرأة مختلفة، وقد تزوجت من صفوت، وتبدأ في تدبير خطة للانتقام منه، وهو الذي تزوج من امرأة أخرى، يعرف صفوت بالعلاقة، ويبدأ في الإعداد للانتقام من الاثنين معا..

الشرير هنا هو في المقام الأول، عاشق وغد، قضى وطره من فتاة، وتركها كي تواجه مصيرها، فلما عاودت الظهور مرة أخرى، وقد تغيرت إلى الأفضل، فحاول إحياء الماضي مرة أخرى معها، أي أن هذا الوغد، رغم أنه متزوج، فإنه يغامر بزوجته من أجل أن ينال عشيقته القديمة..

في فيلم "المذبح" لحسام الدين مصطفى، كانت أمامه فرصة ليقوم بدور الشرير، لكنه أسند إلى العقيد صلاح قابيل، وجسد حاتم دور أحد العاملين بالمذبح الذين يساعدون المعلمة أفكار في مواجهة حيتان المذبح..

يعتبر عام 1996 هو المنتج الأكبر لعدد الأفلام في السينما العربية، حيث عرض ست وتسعون فيلما، كان من نصيب حاتم ذو الفقار تسعة أفلام، تنوعت فيها أدواره بشكل ملحوظ، والذي يهمنا هنا، هو أدوار الشر التي قام بأدائها، وعلى رأسها "أجراس الخطر" إخراج محمد عبد العزيز وهو الذي يعتبر بمثابة الجزء الثاني من فيلم "المحفظة معايا"..

فقد قامت فكرة الفيلم الأول أن شكري رجل الأعمال الفاسد قد تصدى لزميل الدراسة جابر الذي هدده مرارا بالأوراق التي سرقها منه، وانتهي الفيلم بدخول جابر إلى السجن، وقد نجح الفيلم باسم عادل إمام، فعندما أراد كاتب السيناريو أحمد عبد الوهاب عمل جزء ثان مع المخرج لم تكن هناك فرصة للاستعانة بعادل امام، فأسند الدور إلى نور الشريف، أما دور شكري فقد أسند إلى حاتم ذو الفقار هو الذي سبق أن جسده سمير صبرى...

وهذه الشخصية ذات المكانة الاجتماعية، تبدو أنيقة ظريفة، تتسم بثقافة ومعرفة، وقدرة على التلون، ويمكن لحاتم ذو الفقار أن يؤديها، فبعد أن ألصق شكري التهمة لصديقه جابر، وقضى هذا الأخير ثلاث سنوات كمدة عقوبة في السجن، يتعرف خلالها على قاسم، فإنه

يلتقى بحبيبته نعيمة التي تعطيه مالا يبدأ حياة جديدة، ويقوم جابر بتكوين شركة مع زميل السجن قاسم، والذي يقنعه بفكرة عدم الانتقام من شكري. يعمل الاثنان مع مرسى شريك شكري، ويكسبان الكثير من العمليات المشبوهة، يتمكنان من الحصول على مستندات تدين شكري ويبدآن في استخدامها لإدانة شكري وابتزازه..

يتزوج جابر من نعيمة دون أن تعرف هوية مشاريعه، وتتغير مبادئ جابر، وينافس شكري فيستحوذ بدلا عنه على عدة صفقات تجارية، ويعرض شكري على جابر تكوين شركة واحدة، بدلا من المنافسة، فيقبل جابر، يغدر شكري بجابر فيدفع باثنين من أتباعه للتخلص منه بينما تلد زوجته.

إنه نفس الشخص تقريبا، غدار وصولى طموح، رجل أعمال أنيق، لا نكاد نعرف عنه أى معلومات أخرى، كأنه بلا جذور اجتماعية أو أسرة.

والغريب أن محمد عبد العزيز نفسه قدم بعد ذلك بأسابيع فيلما مشابها باسم "سرى للغاية" من تأليف نبيل صاروفيم، فبدلا من شاكر رجل الأعمال المنحرف هناك سالم الذي يتمكن بمعاونة كبار المسؤولين من فصل الموظف البسيط شاكر الذي يحتفظ ببعض المستندات التي تدين سالم، وشاكر أيضا يموت أثناء مطاردة رجال سالم له، ومثلما كان هناك صحفي في الجزء الأول من "المحفظة معايا"، فإن الصحفي – فاروق الفيشاوى – هو الذي يتصدى لسالم ويحاول كشف جرائمه. العزف

على النجاح مرتين، بعمل فيلمين متشابهين، ويقوم بدور رجل الأعمال الشرير الممثل نفسه، وقد عكس هذان الفيلمان المنظور العام لرجال الأعمال في تلك السنوات، الذين صعدوا اقتصاديا واجتماعيا بسرعة غير متوقعة، وقد رأت هذه الأقلام أن وراء كل منهم وثيقة تدينه، يحملها إما في حافظة نقوده أو بين أوراقه المهمة في خزانته..

وفي نفس أسبوع عرض الفيلم "سرى للغاية" عرض فيلم آخر هو "الخط الساخن" إخراج كمال عيد قام فيه حاتم ذو الفقار بدور الرائد عصام الذي يتولى التحقيق في قضية قتل..

في فيلم "انتحار صاحب الشقة" إخراج أحمد يحيى، اختلف نوع الشر كثيرا حمدي متزوج من فريدة، ويعيش معها في شقة أسرته والاثنان زميلان في الشركة نفسها، ويحدث أن يراها مدير الشركة عبد العزيز فيعجب بها، ويرمي عليها شباكه، وأمام إغراءات الرجل العجوز، فإن الزوجة تطلب من حمدي أن يطلقها، وتتزوج من المدير صاحب النزوات العديدة، حيث تكتشف نزواته مع الخادمات..

وفي النصف الأول من الفيلم يبدو حمدي الذي جسده حاتم ذو الفقار، موظفا بسيطا مغلوبا على أمره، حتى يموت المدير، وترث فريدة الرجل الذي مات منتحرا، وتعود إلى حمدي، وخوفا من الورثة فانها تتنازل له عن الشقة، حتى لا يستولي عليها الورثة، وهنا يبرز جانب الانتهازي والشرير، حيث يستولي حمدي على الشقة ويطرد زوجته، ويأتي بأهله للإقامة بها، حتى تضيع حقوق فريدة..

السؤال الذي يطرح نفسه هنا.. من هو الشرير في هذا المثلث المعقد، هل هو المدير صاحب النزوات، أم فريدة التي جذبتها الإغراءات، فتركت زوجها إلى المدير الميسور الذي أتاح لها أن تسكن في شقة بهذه الفخامة، أم حمدي الذي هجرته امرأته، وعادت إليه كي تمنحه الشقة، ليس حبا فيه وإنما حتى لا تضيع ملكيتها لها، وهذا الزوج الذي يطرد امرأته من المكان.. إنها دائرة من تصفية الحسابات، ومجموعة من الأشرار، يخلص كل منهم حق الآخر في طرف ثان..

لعل أحمد السبعاوى، هو المخرج الذي أسند إلى حاتم ذو الفقار هذه الأدوار، وهو كما سبقت الإشارة، الذي أسند اليه أحسن أدواره في "بيت القاضي" وفي بداية عام **1987** عرض فيلم "الخرتيت" للسبعاوي، وفيه أسند دور عادل إلى الممثل، وعادل هذا يقف إلى جوار وردة زوجة صديقه القتيل، بهدف مساعدتها باعتبار أن جابر قد اكتشف أن الدواجن الموجودة في مخزن المعلم سلطان قد طعمت في بطنها بمخدرات..

وعادل هذا يفكر في الزواج من الزوجة وردة – سهير رمزي – لكنه سرعان ما يسحب وعوده عندما يعلم أن خاله المعلم سلطان يرغب في الزواج منها. وعندما ترفض وردة، فإن سلطان يدبر لها ما يدخلها السجن وهناك تتعرف على امرأة تُدعى نرجس تنجح فيما بعد في الإيقاع بين المعلم سلطان وابن أخته عادل، ويبدأ هذا الأخير في التنكر لخاله، ويكشف عن جرائمه..

عادل هنا، وغد وضعيف، وفاقد الحيلة، ولا يستطيع أن يفي بوعوده، هو رجل سلبي، أمام جبروت خاله، يتنازل بسهولة له عن حبه، كي ينال رضاء خاله، لكنه في لحظة استكشاف يبدأ في المواجهة يبوح بما يعرفه..

وفي العام نفسه، قام حاتم مجددا بأداء شخصية مشابهة في فيلم "عودة الماضي" إخراج ناصر حسين، فهو الموظف صفوت الذي دبر له رجل الأعمال أبو الفتوح تهمة اختلاس مبلغ كبير من المال، فيقضي في السجن سبع سنوات، وعقب خروجه من السجن يذهب لمقابلة أبو الفتوح الذي وعده بسداد جزء من المبلغ المختلس، إلا أنه يجده قد هرب مع عشيقته منار. يبحث صفوت عنها، حتى يصل لها ويقتل أبو الفتوح وعشيقته، وبعد أن يتزوج صفوت من منى، يحكي لها يوما عن ماضيه، ويكتشف أنها قرينة أبو الفتوح، فيقتلها أيضا ويخفيها في مكان بعيد..

نحن هنا أمام منتقم قاتل، يقتل ثلاثة أشخاص، قد تكون جريمة أبو الفتوح كبيرة، وهي اتهام موظف برئ بالاختلاس، أما منار العشيقة فقد ماتت بلا ذنب، ومنى الزوجة ماتت لأنها ابنة القتيل. لكن الفيلم لا يقتل منى الزوجة، فقد نجت من الخنق، وذهبت لإبلاغ الشرطة بالحقيقة، وقد تغيرت النهاية هنا، باعتبار أن من قتل يقتل، ولو بعد حين، حيث مات صفوت برصاص الشرطة..

في عام 1988 قام حاتم ذو الفقار بالعمل في فيلمين فقط، هما: "الأوهام" إخراج أحمد النحاس، ثم "فتوات السلخانة" إخراج ناصر

حسين، وفي الفيلم الأول لم يكن حاتم سوى الدكتور عصام الذي تعترف له بسمة بالجريمة التي ارتكبتها مع عواطف..

لم يكن حاتم ذو الفقار في أحسن حالاته كممثل، خاصة في أدوار الشر إلا حين قام بهذه الأدوار أمام عادل إمام، فلاشك أن دور نشأت الكاشف في "الغول" كان من أهم أدواره السينمائية الأولى، والتي رسخت من مواهبته، وقد تجددت هذه الفرصة بعد سبع سنوات في فيلمين متتاليين، هما: "جزيرة الشيطان" عام **1990** من إخراج نادر جلال، ثم "مسجل خطر" عام **1991** من إخراج سمير سيف.

ففي الفيلم الاول يقوم بدور محمود الذي يعرف من خطيبته فاطمة سر الذهب المخبأ في جزيرة الشيطان بالغردقة، والمخبأ بها صناديق تحوي الذهب..

محمود هذا شاب ضعيف الشخصية متردد وضعيف النفس وغيور ومندفع، لذا فذهابه معها يمثل بالنسبة لها عائقا واضحا، فهو يشعر بالغيرة من خلال، الغواص المحترف الذي تستعين به البعثة، كما أنه يتعامل بطمع، مما يؤدي بفاطمة إلى التقارب العاطفي مع جلال.. ومحمود هذا يعمل مدرسا بسيطا، وتتذكر فاطمة المبلغ الذي ادخرته معه، كي تسترده وتستعين به في الرحلة، فيكون ذلك بمثابة أول احتكاك معه، حيث تعرف أن محمود قد بذر المبلغ. أما في أثناء الرحلة، فقد تطور سلوكه تطورا سريعا باتجاه الشر دون أن يثبت في الرهن قصورا قويا وناسيا عن ودائعه الحقيقية التي تبرر سلوكه العدوانى..

ومصيره محمود في الفيلم، هو أن يموت بالحرب والعبارات النارية التي تفجرت أثناء المواجهة.

أما الفيلم الثاني "مسجل خطر" فإننا نرى رجلا أقرب إلى المخنث، منه إلى الشرير، العتيد، لكنه بائع المهارات في اصطياد خصومه، والتخلص منهم. فهو محاط بمجموعة البنات، ويتصرف على أنه واحد منهن، لا يختلف عنهم بالمرة، ورغم ذلك فهو عريض الجسم، قوى، والغريب أن حاتم هنا لم يكن في صف أشرار الفيلم، بل كان إلى جانب الأشخاص الثلاثة الذين غادروا السجن لتوهم، فهو يساهم في مقاتلة عربة الأشرار التي تحمل حقيبة الدولارات، والتي سوف يتم تسليمها لأحد تجار المخدرات، وتنطلق المطاردة في الطريق السريع، إلى أن تندلع المجزرة عند أحد الكباري العلوية..

في العام نفسه 1991، جسد حاتم ذو الفقار دور الشاب المدمن في فيلم "مراهقون ومراهقات" لأحمد يحيى، فهو رجل يتحكم في مصير الفتاة العرجاء الحزينة، المنكسرة عايدة رياض، التي تؤدي التدريبات على عجلة في مركز للعلاج الطبيعي، يديره شخص يسيطر عليها تماما هو حاتم ذو الفقار حيث يمنحها دفئا كاذبا، يخفق له قلبها، ويعدها بالشفاء فتتعلق به تعلق الغريق بطوق النجاة، لكنه يدفعها بعد ذلك إلى إدمان الهروين، ويدفعها أن تختلي بالرجال في أماكن مظلمة وتستولي على أموالهم عقب تهديدها بموسى حلاقة تخفيه تحت لسانها.. مصير المجرم هنا

هو القبض عليها، مع مساعديه وأعوانه، والشخصيات التي تنجح في إغوائها.

في هذا العقد الاخير من القرن العشرين، بدأ حاتم ذو الفقار يواجه مشاكله الخاصة التي أبعدته عن السينما، حيث أن آخر فيلم شارك في تمثيله هو المعلمة والأستاذ، وقد جسد في عام **1992** وحده خمسة أفلام، منها: "الشقي" لإبراهيم عرايس، و"مذبحة الشرفاء" لناصر حسين، و"آه وآه من شربات" لمحمد عبد العزيز، ثم "الراقصة والشيطان" إخراج محمود حنفي..

فهو في "مذبحة الشرفاء" يقوم بدور كمال ابن الشبراوي، أحد كبار رجال السياسة والمال في المجتمع، الذي يحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات، ورغم اعتراف كمال بجريمته، فإن والده يمارس ضغوط على القاضي النزيه أحمد آدم من أجل إثنائه عن حكمه، إنه دور مشابه لدور نشأت الكاشف والفيلم بمثابة مواجهة بين رجل السياسة، والقاضي..

أما فيلم "آه وآه من شربات" فإننا أمام رجل عصابات، يعيش بين الغجر والنشالين، يدفع بشربات إلى السرقة، وهو الذي قام بتدريب حبيبته شربات إلى احتراف فنون السرقة، والنشل بالإضافة للغناء والرقص، ونكتشف فيما بعد أن شربات هي الأخت التوأم لأختها نهى ابنة اللواء المتقاعد، وأنها قد فقدت من أبيها وهي طفلة، وهذا اللص هنا، يبدو ظريفا، عاشقا، صاحب مكائد، ينتهي به الأمر في السجن..

وفي "الشقي" فإن حسن الأعرج يعجب بجارته الحسناء سنية، لكنها لا تبادله مشاعره لأنها تحب المعلم عبده الذي يحبها بجنون ويغار عليها، يتدخل بضرب حسن ضربا مبرحا لإبعاده عنها. ويحاول أن يدخل شقتها عنوة للاعتداء عليها لتهاونها في صد حسن، لكن أهل الحارة يتصدون له لمنعه من إيذائها، فيتسلل حسن من النافذة لإنقاذها ويقوم بضرب عبده ليفقد وعيه في شقته. يطلب حسن من سنية مغادرة شقتها ويشعل فيها النيران، ويهرب ومعه سنية، يشاع في الحارة أن عبده هو الذي أشعل النار في شقة سنية، وأنها قد ماتت أثناء الحريق، ويتهمون عبده بقتلها، يحكم عليه بالسجن.

يدعي حسن لسنية أنها متهمة بقتل عبده، وأن البوليس يطاردها للقبض عليها ومحاكمتها ويقنعها بالزواج منه لحمايتها، يسافر معها للاستقرار في الإسكندرية، حيث يعمل بالميناء ويمنعها من مغادرة الشقة لأى سبب، فتضيق سنية بحياتها معه وتطالبه بطلاقها دون جدوى.

وبعد سنوات يتم الإفراج عن عبده الذي يبدأ البحث عن الحقيقة، ويتأكد أن حسن كان السبب في حبسه وفراقه عن حبيبته سنية، ويتحرى عن مكانه ليعرف أنه بالإسكندرية، ويعمل عبده بالميناء من قبيل المصادفة ليلتقي بحسن. وحسن يموت صريعا أسفل ونش، كي تعود سنية إلى عبده.

حاتم ذو الفقار، لم يعمل طويلا في السينما، فرحلته لا تزيد عن الخمسة عشر عاما، ومع ذلك فقد ترك أثره بشكل أو بآخر، وقد تباينت

الأفلام التي قام بها بالعمل، والغريب أنه لم يعمل في أفلام المقاولات، رغم أنه ازدهر في حين مجدها، ولا شك أن ابتعاده عن السينما، وعودته إليها قد أثر كثيرا على مسيرته، لكنه أيضا من بين الذين اختفوا تماما بعد ظهور موجة أفلام الكوميديا التي ازدهرت في السنوات الأخيرة..

ليلى فوزي

بحثت عن أي علامات تؤكد أن صاحبة هذا الوجه اقتربت من الثمانين، فلم أجد سوى رتوشا بسيطة أقرب إلى الماكياج تحت عينيها، حدث ذلك حين جمعنا مصعد واحد في مهرجان الإسكندربة السينمائي قبل رحيلها بقليل، إنه الشباب الدائم، كأنها شخصية دوريان جراي في إحدى روايات أوسكار وايلد، حيث اجتمع الجمال مع الشباب والخلود

ليلى فوزي جميلة الجميلات تمثل أيضا نموذجا للجمال التركي الذي وفد إلى مصر، وصار جزءا منا يبهرنا، هذا الجمال الذي كشفت لنا كاميرات السينما أنه يمكن أن يكون شريرا يرتكب الجرائم الكبرى، هي مولودة في أسرة تركية الجذور،كانت تتكلم التركية داخل البيت، ويبدو هذا في اللكنة البالغة الرقة التي تنطق بها اللغة العربية، وأهمية هذم الممثلة المولودة في حلوان عام 1926، أنها أطلت بجمالها على الشاشة في فترة مبكرة، حين كانت في سن الخامسة عشرة، بوجه صبوح مستدير دوران القمر، صار يميل إلى الاستطالة لأعلى مع الزمن، وقد احتفظت بهذا الرونق حتي رحلت عام 2005 عن سن الثامنة والسبعين، وكات قد توقفت عن العمل بالسينما لكنها أطلت بقوة على الناس في الدراما التلفزيونية.

وقد أتيحت لي الفرصة التي أشرت إليها أن أتأملها عن قرب كي أرى كيف يبقى الوجه نضرا للغاية، رغم تجاعيد بالغة البساطة للغاية، وتأكدت أن من أطلق عليها اسم جميلة الجميلات كان محقا، ليس فقط لأنها شديدة الحسن، بل أيضا لأن الكثيرات من زميلاتها اللائي ظهرن معها قد أصابهن الزمن بعلاماته المتعددة الأشكال ومنهن مديحة يسري، وشادية، وهند رستم، وبعضهن أصغر منها سنا..

أطل علينا هذا الوجه البالغ الجمال، وصاحبته صغيرة السن، وبدت ابنة الخامسة عشرة في فيلم "مصنع الزوجات" لنيازي مصطفى عام **1941** بالغة البراءة والجاذبية، وهي تقوم بالبطولة المطلقة في أول كوميديا موسيقية تعتمد على الاستعراض، ولعل محمد كريم هو صاحب الفضل في هذه الطلة ونحن نرى عينيها الساحرتين تقولان أشياء كثيرة دون أن تتكلم في فيلم "ممنوع الحب" عام **1942**، وسرعان ما تنافس المخرجون لمنحها أدوار البطولة، ومنها علي سبيل المثال دور الأميرة الجميلة مرجانة في فيلم "علي بابا والأربعين حرامي" إخراج توجو مزراحي، تبدو صاحبة الجمال التركي وقد امتلكت موهبة تتمثل في وجهها الجميل وعينيها، وصوتها الرخيم، وهي ئؤدي دور الجارية التي تحب حسن ابن الحطاب دون أن تدري أنها الأميرة التي تم اختطافها من قصر أبيها، وهي رضيعة، وتربت في عرين ملك اللصوص بما يعني أن الأميرة يجب أن تكون لها كافة تفاصيل الوجه الجميل خاصة الشفتين التين تتغني بهما.

حتى وإن حدث ذلك بصوت مطربة أخرى، وتلك سمة يمكن أخذها في الحسبان لصالح ليلى فوزي، ففي هذه الفترة من سنوات مجد الفيلم الغنائي فإن الممثلة يزداد جمالها مع قوة صوتها بأن تكون مغنية مثل حالة ليلى مراد، ورجاء عبده، وفتحية أحمد.

في فيلم "بنت ذوات" ليوسف وهبي عام **1942** كررت تجربة الغناء بصوت مطربة أخرى لكن ظهورها علي الشاشة يؤكد أن الجميلات ذوات الأصل الأجنبي قد ملأن الشاشة، فلا شك أن وقوفها أمام راقية إبراهيم هنا قد أكد علي أنه عصر ازدهار الجمال، وقد جاء ترتيب اسم ليلى فوزي في العناوين رقم ثلاثة بعد يوسف وهبي وراقية إبراهيم، وهي تقوم بدور منيرة أخت الفلاح إبراهيم الذي تربى معها في بيت الباشا، وصار ثريا، إلا أن ابنة الباشا لا تقبل الزواج منه لوضاعة أصله، أما منيرة فان ابن الباشا يقع في غرامها ويتمنى الزواج منها حتى وإن ارتدى أفرول العمال..

وهكذا ولد وجه جميل على الشاشة وفي وقت كانت أغلب جميلات السينما المصرية من الطبقة الراقية ومن أصول غير مصرية، وهي المرحلة التي سوف تتوج بظهور شادية، وكاميليا، وكان جمال ليلى فوزي أشبه بإشراق القمر، وتهافت عليها المخرجون لتعمل كثيرا، تكون أحيانا البطلة، وفي أحيان أخرى مجرد وجه ملائكي تعشقه الشاشة في أفلام منها "سفير جهنم" أمام يوسف وهبي أيضا، وكانت الحبيبة الملائكية للبطل أمام فريد الأطرش في فيلم "جمال ودلال" إخراج استيفان روستي عام **1945**

قبل الحديث عن جمال ليلى فوزي في هذا الفيلم من المهم الإشارة إلى أن السينما المصرية منحت ليلى فوزي ألقابا تتعلق بعرش الجمال من خلال عناوين الأفلام في تلك السنوات، وقبل أن تسمى ليلى فوزي بجميلة الجميلات في فيلم "الناصر صلاح الدين" بقرابة ثمانية عشر عاما، من هذه الأسماء:"أحلاهم"،"جمال ودلال" وكلاهما من إخراج "استيفان روستي"، وأيضا "ملكة الجمال" إخراج توجو مزراحي عام **1946**، فيما بعد كانت هي"حلاوة" إخراج إبراهيم عمارة، و"أفراح"، و"ست الحسن" إخراج نيازي مصطفى عام **1950**بالإضافة إلى أن عناوين الأفلام التي قامت ببطولتها كانت توحي بالتفاؤل مثل فيلم "خبر أبيض" إخرج عباس كامل **1951**

في فيلم "جمال ودلال" يوحي العنوان بما سوف نراه، وليس المقصود به هو الراقصة ببا عز الدين التي جسدت دور الحبيبة الشريرة التي تدفع بالمطرب للهرب من وطنه، لكنها الفتاة الجميلة التي تعبر عن الإخلاص والتفاني، وهي هنا مثل كل الممثلات الجميلات في ذلك العصر تقف سعيدة أمام حبيبها وهو يغني لها، تكتفي بالاستماع، والابتسام، وفي بعض الأحيان تلقي برأسها علي كتفه، وهو يغني لها:"أحبك أنت يا قلبي أنت أنت الحياة أنت"، وهكذا كان دور الممثلات الجميلات اللاتي لا يجدن الغناء، ما يعكس أن الجمال هنا هو نوع من الديكور الحي الجميل، وجمال هنا هو اسم المطرب الذي أحب الفتاة دلال، الا أن الراقصة تكيد لهذا الحب فيهرب الشاب إلى المغرب، ثم يعود من أجل حبيبته بالطبع.

هذا الجمال الخارق، ومنصب ملكة الجمال لم يكونا بوابة كافية للعمل في أفلام مهمة طوال المسيرة إلا في استثناءات قليلة للغاية، وكانت الممثلة في حاجة إلى مخرج يقتنع بها، أو يرتبط بها كي يدخلها إلى عالم النجومية أو الأدوار الأهم، حتى وإن كانت أقل موهبة من قريناتها، أو أن لم تكن مطربة مثلما كانت المرحلة تتطلب، أو ربما أن تكون نجمة مسرح مثلما حدث مع فاطمة رشدي.. بالنسبة لمحمد عبد الوهاب، فقد نظر إليها مع مخرجه محمد كريم على أن كل ما فيها من جمال يتركز في وجهها، وخاصة عينيها، وعليه فإن الأفلام الثلاثة التي ظهرت فيها معهما لم نرها بعيدا عن هذه المكانة، حتى وإن قامت ببطولات مطلقة خارج هذه الدائرة، وصار في إمكان عبد الوهاب أن تكون البطلة أمامه هي نور الهدي في فيلم "لست ملاكا" عام **1946** في دور ثانوي تكتفي بالابتسام، بينما نور الهدى تملأ الأحداث بحيويتها، نعم إنه التعبير الصحيح: "حيويتها"، فهناك شئ ما من الحيوية، أو الشقاوة المفقودة، وربما لم يكن هناك المخرج من طراز كمال الشيخ أو يوسف شاهين اللذين ظهرا فيما بعد

المخرج الوحيد الذي كان يمكنه أن يغير لها مسيرتها هو توجو مزراحي الذي قدمها في فيلمه الأخير "ملكة الجمال" عام **1946** قبل رحيله عن مصر، والمقصود بملكة الجمال بالطبع هي ليلى فوزي، وهل هناك من يمكنها أن تكون صاحبة اللقب عداها باستثناء راقية إبراهيم التي بدأت السينما تسند إليها أدوار الأم الشابة في تلك الفترة، إنه دور بطولة كوميدي، حول الفتاة التي يذهب أبوها إلى مسابقة لاختيار ملكة

الجمال، ومن أجل كسب الجولة فالأب يبيع كل ما لديه حتى يبدو كالأثرياء في الحفل، وتقع الأسرة في شرك أن شابا فقيرا يتصنع الثراء ويرمي شباكه علي نادية، وهو موضوع أشبه بفيلم قامت نجاة الصغيرة ببطولته بعد اثني عشر عاما في"سبعة أيام في الجنة"

كما أشرنا فإن الإقبال زاد علي الفتاة الجميلة، وكانت المشاركة في أفلام شبابية، تؤدي أدوارا كوميدية: "العقل قي أجازة" لحلمي رفلة، وهو أول أفلام شادية، و"الستات عفاريت" لحسن الإمام في عام **1947**، وبدت على الأفيشات وعلى الشاشة ملكة جمال في أفلام أخرى تحمل عناوين "حلاوة " لإبراهيم عمارة، و"سحر العيون" لإبراهيم حلمي، ففي الفيلم الأول مثلا نرى رواية ميلودرامية مليئة بالمتناقضات، فهي الممثلة الجميلة التي يحبها زميلها، وفي نفس الوقت تلتقي بعم هذا الشاب الذي يقع أيضا في غرامها دون أن يعرف أنها ابنته التي أنجبتها منه امرأة ماتت بعد أن حملت منه، هي تصد الرجل الكبير الذي يغازلها، وتحتفظ ببراءتها وسط هذا العالم، في الوقت الذي يسعى فيه الأب إلى عرقلة الزواج كي يفوز بالفتاة، وقبل أن يتم الزفاف تعرف حلاوة القصة كلها، ويندم الأب، ويوافق أن تتزوج ابنته من ابن أخيه إلا أنها ترفض ذلك أيضا، وكما نرى فإنه رغم البيئة والظروف التي تحوطها، فإن الفتاة تحتفظ بحلاوتها وروحها نقية وتصبح قادرة علي تحديد مصيرها

وست الحسن هنا مكتوب عليها أن تتزوج من أمير بلد أخرى، لكنها تقوم بالهرب أثناء ترحيلها إلى إمارة الخردل. لقد وصل الأمر

بالمخرجين أن جعلوا ليلى فوزي تجسد شخصية ست الحسن فتاة أحلام كل الصغار في القصص التي حكاها لنا الكبار في طفولتنا، ست الحسن هنا مكتوب عليها أن تتزوج من أمير بلدة أخرى، لكنها تقوم بالهرب أثناء نرحيلها إلى ولاية الخردل، وتتخفى في زي الفقراء، وتلتقي بشاب فقير، وتقع في حبه، دون أن تعرف أنه الأمير الموعود لها، وأنه هرب أيضا مثلها، فهو لا يريد أن يتزوج بالشكل التقليدي، والجدير بالذكر أن الفيلم رغم أجواء الصحراء العربية فإنه مأخوذ من المسرحية الفرنسية "زواج فيجارو" لبومارشيه، وهي المسرحية التي تم اقتباسها في أكثر من فيلم في تلك الآونة

انتقلت ليلى فوزي في تلك الفترة بين مخرجين وضعوها في أطر بعينها تتناسب وروعة جمالها، وكانت – كما أشرنا – الفتاة الطيبة بالغة الحسن، ولم يفكر أحد بعد أن أفضل أدوارها ستكون حين ترتدي قناع الشر، من هؤلاء المخرجين: حلمي رفلة الذي أسند إليها الأدوار الفكاهية في أفلام منها:"بنت باريز"، و"علي كيفك"، و"ابن للإيجار"، و"المرأة كل شئ"

أما حسن الأمام فقد قدمها في "أنا بنت مين" وهو من الميلودراما البارزة في خريطة الفيلم العربي، وقدمها عز الدين ذو الفقار في"ابن الحارة"، وعلى المستوى الشخصي فقد ارتبطت هذه الجميلة بالممثل والمطرب عزيز عثمان الذي لم يوحي بالمرة أنه فارس أحلام أي امرأة خاصة ليلى فوزي، بالإضافة إلى فارق السن الكبير بينهما، وبدا التناقض

الواضح بين الصور التي كانت المجلات تنشرها لهما معا، ثم قيامها بالبطولة أمام زينة شباب التمثيل، ومنهم: كمال الشناوي، ومحسن سرحان، وحسين صدقي، ومحمود ذو الفقار، وأنور وجدي الذي كان قد تقدم للزواج منها في النصف الأول من الأربعينيات، لكن أباها لم يوافق، وقد عادت إلى حبيبها هذا عام **1954** أي قبيل عام من وفاته، فعاشت معه فترة المرض والوفاة، وهي فترة ابتعدت فيها عن التمثيل..

لعل من أبرز أدوارها هنا هو فيلم" الشيخ حسن" إخراج حسين صدقي، وفيه تجسد للمرة الأولى دور فتاة أجنبية فهي اليونانية المسيحية التي تتزوج من خريج أزهري، وسط اعتراض من الأسرة، حيث بدأت تدخل في العقيدة الاسلامية بسبب حبها لزوجها، واقتناعا بمنطقه، وهكذا فإن ملامح المرأة الأجنبية صار يتناسب مع الممثلة، وسوف يسند إليها عز الدين ذو الفقار أول دور كشريرة في فيلم"بورسعيد" عام **1957**، حيث ستقوم بدور الممرضة الإنجليزية بات التي تنجح في إغواء بعض شباب من المناضلين أثناء عدوان **1956**

الصورة تغيرت تماما بالنسبة للممثلة الجميلة، فكي تكون الحسناء شريرة، لابد أن تكون مغرية، ولابد أن تقدم جسدها، وفي الحقيقة فإن ليلى فوزي لم تكن في حاجة إلى التعري لتكون مغرية، كان عليها أن تستخدم عينيها وصوتها، وأن تجيد التعبير بوجهها، وهكذا نجحت بشكل ملحوظ في أدوار الشر ابتداء بفيلم "حطف مراتي"، فهي الصديقة التي تسعى أن تفصل بين الزوجين أنور وصباح، كي تفوز

بالزوج لنفسها، وتحاول بكل ما لديها من دهاء إقناع الزوجين بالانفصال، أما بات فهي الممرضة الإنجليزية التي عاشت في بورسعيد، وعندما يبدأ العدوان فإنها تعمل جاسوسة لصالح وطنها الأصلي، وتنتقل بين أحضان الشباب المصريين الذين انضموا إلى المقاومة كي تنقل الأخبار إلى الطرف الذي تنتمي إليه، وهي تنجح في إحداث التفرقة بين طلبة، وشقيق حبيبته، لكنها لا تلبث أن تنكشف.

لم تتحول ليلى فوزي الجميلة إلى أدوار الشر، لكنها استطاعت أن تغير الصورة تماما بالنسبة للجميلات اللائي تخصصن في أدوار الشر، ومنهن في قمة القائمة الممثلة زمردة، وفي فيلم "من أجل امرأة" لكمال الشيخ **1958** فإنها جسدت أفضل أدوارها على الإطلاق، والجدير بالذكر أن الممثلة الأمريكية بربارا ستانويك التي جسدت الدور نفسه في الفيلم الأمريكي "تأمين مزدوج" قد ساعدتها الشخصية على أن تتدفق موهبتها، ما يعني أن ليلى فوزي كانت في حاجة إلى مخرج مثل كمال الشيخ ليسند إليها هذا الدور، في بطولة مطلقة أمام عمر الشريف وهي تقوم بدور الزوجة التي تغوي موظف التأمين كي يستخرج وثيقة تأمين علي حياة زوجها، ثم توهمه أنها واقعة في غرامه وتحثه على قتل زوجها في خطة محكمة، كي يفوز الاثنان بمبلغ كبير، وما يلبث الاثنان أن يختلفا، فيطلق كل منهما الرصاص على الآخر

وقد بدت الممثلة هنا بالغة الذكاء والدهاء والإغراء، ولم تقل بأي حال عن زميلتها الأمريكية، واستطاعت أن تغير خريطة المرأة الشريرة،

فهي أولا جميلة للغاية، عكس المراة البريئة. والغريب أن كمال الشيخ قد أسند إليها دورا مختلفا في فيلمه التالي وهو "من أجل حبي" أمام فريد الأطرش، لكن بدا أن ليلى فوزي قد أفرغت كافة ما لديها في الفيلم السابق، ورغم أن حلمي رفلة أسند إليها دور الفتاة الشريرة صاحبة المكائد في فيلم "عش الغرام" عام **1959** فكان هناك فارق واضح بين الشريرة التي تدبر المكائد للعاشقين كي تفوز بحبها القديم، وبين امرأة تجند رجلا كي تقتل زوجها من أجل تدبير المال لرجل ثالث، وليس بالطبع لموظف التأمين، والغريب أن أدوار الممثلة قد قلت، وبدأت تزحف إلى الأدوار الثانية، وقد عادت إلى أدوار الشر، والإغراء الناجم عنه في فيلم "رجل في الظلام" إخراج حسن رضا عام **1963**، وهي السنة التي تألقت فيها أيضا في أدوار الشر في أفلام أخرى مثل "الناصر صلاح الدين" ليوسف شاهين، ثم "بياعة الجرايد" لحسن الإمام

في الفيلم الأول هناك امرأة فاتنة تهوى التعرف على أبطال الرياضة، خاصة في عالم الملاكمة، وتسلبهم قواهم في الفراش مثلما تعرفت علي عبده الملاكم في بيروت، والذي يحس بمدى خطورتها فيفلت منها في بيروت، إلا أنها تلاحقه في القاهرة وتستكمل رحلة القضاء عليه فينسي حياته حتى يتماسك من جديد، وهكذا تغيرت عناوين الأفلام التي تقوم ببطولتها، فهذا هو الظلام يحل مكان الحلاوة والجمال حسب عناوين أفلامها في البدايات، وراحت الصحافة تراها شريرة فاتنة مغرية، وهي ابنة الأكابر التي تهدم الحياة المستقرة للملاكم، أما شخصية "فرجينيا جميلة الجميلات" في" الناصر صلاح الدين" فهي التي أكدت تسمية ليلى

فوزي أنها جميلة الجميلات، إنه الدور يتكرر، فهي الملكة الفرنسية التي جاءت علي رؤوس الجيوش الصليبية الغربية لاحتلال القدس الشريف، وهي أنثى وأميرة تسعى إلى إشباع طموحاتها مع الرجال كما تريد وبالأسلوب الذي تريد

من المعروف أن هذا الدور كان محصلة للتسميات العديدة للممثلة في أفلامها الأولى، وصارت ملكة الجسد والمؤمرات.. إنها الجميلة الشريرة التي تقضي حاجتها كما تريد، ويكون مصيرها في النهاية أن يحترق وجهها أثناء إحدى المعارك.

رغم أنها كشفت عن موهبتها، ورغم أن الجمال لم يتأثر مع الزمن فإن الأفلام بدأت تتقلص، والجدير بالذكر أن ليلى فوزي جسدت دورها الحقيقي في الحياة في فيلم "طريق الدموع" لحلمي حليم عام **1962** حول حياة أنور وجدي، وفي النصف الثاني من الستينيات قامت بالأدوار الثانية في العديد من الأفلام كان بعضها تاريخي تكرر شخصية المرأة الشريرة في "ألف ليلة وليلة" إخراج حسن الإمام عام **1964**، و"فارس بني حمدان" لنيازي مصطفى عام **1966**، وبدأت في القيام بدور المرأة الناضحة في قيلم "حكاية العمر كله" **1965** كانت هي المرأة التي تحب المطرب الشهير فريد من طرف واحد، لا يكاد يشعر بها، ويحب امرأة أخرى، فتتعذب من أجله دون أن يلتفت إليها، أما محمود ذو الفقار فقد قدمها في دور الزوجة التي لم تنجب، في فيلم "المراهقة الصغيرة" عام **1966**، وهي تتولى رعاية ابنة الجيران وتحاول حمايتها من قسوة أبيها.

وفي سنوات السبعينيات لم نرها سوى في خمسة أفلام منها دور الأم التركية في فيلم "أمواج بلا شاطئ" فهي الأم التي يصدم ابنها حين يراها في أحضان مدير المصانع الذي تمتلكه الأسرة فأراد الانتقام منها، فأتى لها بعاهرة التقاها على الشاطئ وأعلن زواجه عليها انتقاما من أمه، وقد ظلت جميلتنا صاحبة الحسن وهي تعود إلى أدوار الشر في فيلم "ضربة شمس" إخراج محمد خان **1980** فهي سيدة العصابة الغامضة التي تطارد المصور الصحفي تسعى إلى قتله دون أن تتكلم بكلمة واحدة

لم تكن هذه بالطبع هي كلمة الختام في رحلة الجميلة مع التمثيل، ففي المسلسلات التلفزيونية العديدة التي تفرغت لها بدت كأن موهبتها الحقيقية قد انطلقت بقوة وجمال ومنها على سبيل المثال:"الحرملك"، و"هوانم جاردن سيتي" و"علي الزيبق"، وغيرها..

الفهرس